دانيال ستيل

DANIELLE STEEL

كافئي نفسك

Honor Thyself

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

كافئي نفسك

دانيال ستيل
DANIELLE STEEL

ترجمة
جودي صفير

مراجعة وتحرير
مركز التعريب والبرمجة


الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL


كلمة
KALIMA

إهداء

إلى أمي نورما

التي لم تقرأ أبداً أياً من كتبي،

لكنها كانت فخورة بي على أي حال، وهذا ما أتمناه.

إلى العلاقات الصعبة بين بعض الأمهات والبنات غير المحظوظات كثيراً،

والفرص الضائعة، والنوايا الجيدة التي انحرفت،

وفي النهاية الحب الذي يوجه الإنسان،

مهما بدا الكتاب أو ظهر أو كان.

في كل النواحي التي كانت تهمني في ذلك الحين،

خسرت أمي حين كنت في السادسة،

حين لم تعد موجودة لتمشط لي شعري،

كي لا أبدو سخيفة في المدرسة.

عرفنا بعضنا بصورة أفضل كراشدتين،

وكنا امرأتين مختلفتين تماماً،

مع وجهات نظر مختلفة جداً،

خيبنا آمال بعضنا غالباً،

وفهمنا بعضنا قليلاً،

لكنني أقدر جهودنا معاً على المحاولة والمثابرة حتى النهاية.

هذا الكتاب مهدى إلى الأم التي تمنيت أن أحظى بها،

الأم التي انتظرتها في كل مرة التقيتها،

الأم التي حضّرت الفطائر المقلية وكرات اللحم السويدية

حين كنت صغيرة، قبل أن تغادر،

الأم التي أنا واثقة تماماً من أنها حاولت أن تكونها لاحقاً،

وأخيراً مع الحب والحنان والتسامح للأم التي كانت.

علمتني بطريقتها الخاصة أن أكون الأم التي أنا عليها الآن.

أحبك أمي

دانيال ستيل

إذا أصبحت كاملاً يأتي كل شيء إليك.

تاو تي تشينغ

الفصل الأول

كـــان صباحاً هادئاً ومشمساً من شهر نوفمبر، عندما أبعدت كارول باربـــر نظرها عن شاشة الكمبيوتر، وحدّقت إلى حديقة منزلها في بيل – آير. كان منزلاً حجرياً كبيراً، عاشت فيه طوال خمس عشرة سنة. الغرفة الزجاجية المشمسة التي تستعملها بمثابة مكتب، تطلّ على شجيرات الورود التــي زرعـــتها، والنافورة، والبركة الصغيرة التي تعكس صورة السماء. المـــشهد هـــادئ والمنزل صامت. بالكاد تحركت يداها فوق لوحة مفاتيح الكمبيوتـــر خـــلال الـــساعة الأخيرة. الأمر محبط فعلاً. فعلى الرغم من مـــسيرتها الطويلة والناجحة في الأفلام، كانت تحاول تأليف كتابها الأول. لقد كتبت العديد من القصص القصيرة على مرّ السنوات، لكنها لم تنشر أبداً أياً منها. لقد حاولت ذات مرة المشاركة في تأليف سيناريو فيلم. طوال فترة زواجها، تحدثت هي وزوجها المرحوم شون عن إعداد فيلم سينمائي معاً، لكـــنهما لم يحققا أبداً ذلك. كانا مشغولين كثيراً في إنجاز أمور أخرى، كل في مجال عمله الأساسي.

كان شون منتجاً ومخرجاً، بينما كانت هي ممثلة. لكنها لم تكن مجرد ممثلة عادية. كارول باربر نجمة كبيرة، وقد حققت النجومية منذ كانت في الثامـــنة عشرة. أصبح عمرها الآن خمسين سنة، واحتفلت بذكرى ميلادها مـــنذ شهرين. وبمحض إرادتها، لم تشارك في أي فيلم سينمائي منذ ثلاث ســـنوات. ففـــي عمرها، وحتى مع جمالها الذي لا يزال مميزاً، أصبحت الأدوار الجيدة نادرة.

توقفت كارول عن العمل حين مرض شون. وفي السنتين اللتين تلتا وفاته، سافرت وزارت ولديها في لندن ونيويورك. انخرطت في مجموعة من القضايا الإنسانية، يتعلق معظمها بحقوق النساء والأطفال، مما دفعها إلى السفر إلى أوروبا مرات عدة، والصين، والعديد من الدول الفقيرة حول العالم. اهتمت كثيراً بقضايا الظلم، والفقر، والاضطهاد السياسي، والجرائم ضد الأبرياء والضعفاء. لقد دوّنت في دفاترها اليومية تفاصيل كل رحلاتها، وكان آخرها واحدة مؤثرة جداً في الأشهر التي سبقت وفاة شون. تحدثت وشون عن رغبتها بتأليف كتاب، في الأيام الأخيرة من حياته. ورأى شون أنها فكرة رائعة وشجعها على الانطلاق في المشروع. لكنها انتظرت سنتين بعد وفاته للشروع في ذلك. كانت تناضل للكتابة خلال السنة الماضية. فالكتاب سيعطيها فرصة للتحدث عن الأمور التي تهمّها، والغوص في أعماق نفسها بطريقة لم تفعلها أبداً من قبل. رغبت كثيراً بإنجاز الكتاب، لكن يبدو أنها لن تنجح في الانطلاق في الكتابة. ثمة شيء يمنعها، ولا تعرف أبداً ما هو. إنها حالة كلاسيكية لجمود الكاتب، لكنها ترفض الاستسلام والتوقف تماماً مثل الكلب والعظم. لا شك في أنها تريد العودة إلى التمثيل في النهاية، لكن ليس قبل أن تنهي الكتاب. فهي تشعر وكأنها تدين بذلك لشون ولنفسها.

في شهر أغسطس، رفضت ما بدا بمثابة دور جيّد في فيلم مهم. كان المخرج ممتازاً، وحاز مؤلف الفيلم على عدة جوائز أوسكار على أعمال سابقة. كان العمل مع زملائها النجوم ممتعاً، لكن حين قرأت النص، لم يحرك فيها أي شيء. لم تشعر أنها مشدودة إليه على الإطلاق. لم تَعُد تريد التمثيل إلا إذا أحبّت الدور. كانت منهمكة في كتابها، الذي لا يزال في مراحله الأولى، وهذا ما منعها من العودة إلى العمل. عرفت في مكان ما في أعماق قلبها أنه عليها إنجاز الكتابة أولاً. فهذا الكتاب هو صوت روحها.

أخيراً، حين باشرت كارول بتأليف الكتاب، أصرّت على ألا يتناول حياتها أو يكون عن نفسها. لكن حين غاصت أكثر في الكتاب، أدركت أنها

تتحدث بالفعل عن نفسها. فالشخصية الأساسية في الكتاب تملك جوانب عدة من كارول، وكلما غاصت كارول أكثر في الكتاب، وجدت صعوبة أكبر في الكتابة، كما لو أنها لا تتحمل مواجهة نفسها. وها هي متوقفة عن التأليف منذ أسابيع. إنه كتاب عن امرأة متقدمة في السن تتمعن في حياتها. أدركت الآن أن هذه الشخصية مرتبطة كثيراً بها، وبالحياة التي عاشتها، والرجال الذين أحبتهم، والقرارات التي اتخذتها خلال حياتها. فكلما جلست إلى مكتبها للكتابة، وجدت نفسها تحدّق إلى الفراغ، تحلم في الماضي، من دون التوصل إلى كتابة أي شيء على شاشة الكمبيوتر. فقد كانت أصداء حياة تطاردها، وعرفت أنها لن تستطيع إتمام روايتها أو حل مشاكلها ما لم تتصالح مع تلك الأصداء. كانت بحاجة إلى المفتاح لفتح تلك الأبواب الموصدة أولاً، لكنها لم تعثر عليه بعد. فكل سؤال أو شك ساورها بشأن نفسها في الماضي كان يعود إليها مجدداً ما إن تباشر بالكتابة. راحت تسأل نفسها فجأة عن كل خطوة قامت بها. لماذا؟ متى؟ كيف؟ هل كانت محقة أم مخطئة؟ هل كان الأشخاص في حياتها هم فعلاً مثلما رأتهم في ذلك الوقت؟ هل كانت غير عادلة؟ استمرت في طرح الأسئلة نفسها على ذاتها، وتساءلت عن سبب أهمية الأمر الآن، لكنها أدركت أنه مهم كثيراً. لن تستطيع إنجاز أي شيء في الكتاب ما لم تتوصل إلى الأجوبة المتعلقة بحياتها الخاصة. وكان ذلك يدفعها إلى الجنون. بدا وكأنه حين قررت تأليف الكتاب، أجبرت نفسها على مواجهة ذاتها بأساليب لم تعهدها من قبل، أساليب تجنبتها طوال سنوات عدة. ولا يمكنها الاختباء منها الآن. فالأشخاص الذين عرفتهم كانوا يراودون رأسها ليلاً، فيما هي مستيقظة، أو حتى في أحلامها. وكانت تستيقظ مرهقة في الصباح.

إلا أن أكثر وجه راودها هو وجه شون. إنه الشخص الوحيد التي كانت واثقة تماماً من معرفتها له، ومن كان، وماذا عنى بالنسبة إليها. كانت علاقتهما صريحة جداً وواضحة. أما بقية العلاقات فلم تكن كذلك. ليس إلى هذه الدرجة. طرحت في قرارة نفسها أسئلة عن الأشخاص الذين

عرفتهم جميعاً، باستثناء شون. كان قلقاً جداً عليها لتأليف الكتاب الذي وصفته له، وشعرت أنها تدين له بذلك، كنوع من هدية أخيرة. وأرادت أن تثبت لنفسها أنها تستطيع فعل ذلك. خافت كثيراً ألا تتمكن من ذلك، وتعجز عن تأليف الكتاب. يساورها الحلم منذ ثلاث سنوات تقريباً، وأرادت أن تعرف ما إذا كان هناك كتاب بداخلها أم لا.

كلما فكّرت في شون، كانت تخطر في بالها كلمة سلام. كان رجلاً لطيفاً، ورقيقاً، وحكيماً، وودوداً، ورائعاً جداً معها. لقد أعاد النظام إلى حياتها في البداية، وأسسا معاً ركيزة صلبة لحياتهما. لم يحاول أبداً تملّكها أو السيطرة عليها. لم تكن حياتهما يوماً متداخلة أو متشابكة، بل سارا جنباً إلى جنب، وفق وتيرة مريحة لهما معاً، حتى النهاية. ونظراً إلى طبيعة شون، حتى موته جرّاء إصابته بمرض السرطان، كان اختفاء هادئاً، نوعاً من الانتقال الطبيعي إلى بُعد آخر حيث لم يعد بإمكانها رؤيته. لكن بسبب تأثيره القوي في حياتها، شعرت دوماً أنه قريب منها. لقد تقبل الموت على أنه خطوة إضافية في رحلة حياته، انتقال يتوجب عليه فعله في مرحلة ما، كما لو أنه فرصة رائعة. تعلم الدروس من كل شيء قام به، وتقبّل بشكر كل ما صادفه في حياته. وفي موته، علّمها درساً مهماً جداً بشأن الحياة.

بعد سنتين على رحيله، لا تزال تشتاق إليه، إلى ضحكته، ورنّة صوته، وذكائه المتّقد، ورفقته، ومشاويرهما الهادئة معاً على شاطئ البحر، لكنها شعرت دوماً أنه موجود في مكان ما قربها، ينجز أعماله الخاصة، يسافر، ويشاركها النعمة، تماماً مثلما كان يفعل حين كان حياً. لقد كان التعرف إليه والوقوع في غرامه من أعظم الهدايا التي تلقتها. وقد ذكّرها قبل أن يموت أنه لا يزال عليها فعل الكثير، وألحّ عليها العودة إلى العمل. أرادها أن تشارك مجدداً في الأفلام السينمائية، وتؤلف الكتاب. لطالما أحب مقالاتها وقصصها القصيرة، وقد كتبت له على مرّ السنوات عشرات القصائد التي قدّرها كثيراً. جمعتها كلها في إضبارة جلدية قبل أشهر من وفاته، وكان يمضي ساعات وهو يقرأها مراراً وتكراراً.

لم يتسنّ لها الوقت للشروع في الكتاب قبل وفاته. كانت مشغولة كثيراً في الاهتمام به. أخذت إجازة لمدة سنة لقضاء الوقت معه، والاهتمام به بنفسها حين كان يمرض كثيراً، خصوصاً بعد العلاج الكيميائي وفي الأشهر الأخيرة من مرضه. بقي شجاعاً حتى النهاية. ذهبا في نزهة معاً قبل يوم واحد من وفاته. لم يتمكنا من السير كثيراً، وتحدثا قليلاً مع بعضهما. مشيا جنباً إلى جنب، ممسكَين بيدي بعضهما بعضاً، وجلسا بشكل متكرّر كلما شعر بالتعب، وبكيا كلاهما فيما جلسا وراقبا مغيب الشمس. عرفا كلاهما أن النهاية باتت قريبة. مات في الليلة التالية، بسلام، بين ذراعيها. ألقى عليها نظرة أخيرة وطويلة، وتنهد مع ابتسامة لطيفة، ثم أغمض عينيه ورحل.

نظراً إلى طريقة موته، مع مثل هذا القبول الراقي، بدا مستحيلاً أن تشعر بالحزن العميق عليه حين تفكر فيه. فقد كانت بدورها مستعدة لتقبّل الأمر برقيّ، لا بل كانا كلاهما. شعرت في غيابه بفراغ لا يزال يسيطر عليها حتى الآن. وهي تريد ملء هذا الفراغ من خلال فهم نفسها بصورة أفضل. عرفت أن الكتاب سيساعدها على فعل ذلك، إذا نجحت فعلاً في تأليفه. أرادت المحاولة على الأقل كي تكون على مستوى توقعاته والثقة التي وضعها فيها. كان مصدر إلهام مستمراً بالنسبة إليها، في حياتها وفي عملها. لقد منحها الهدوء والسعادة، ونوعاً من السلام والتوازن.

في العديد من النواحي، شعرت بالارتياح لعدم المشاركة في أفلام خلال السنوات الثلاث الماضية. فقد عملت بكدّ لوقت طويل لدرجة أنها احتاجت إلى إجازة حتى قبل مرض شون. وعرفت أن أخذ إجازة من العمل سيمنح أيضاً معنى أكبر لتمثيلها. شاركت في بعض الأفلام المهمة على مرّ السنوات، ومثلت بعض الإعلانات التجارية المهمة. لكنها تريد الآن شيئاً أكثر من ذلك. تريد أن تمنح عملها شيئاً لم تفعله أبداً من قبل. ذلك العمق الذي يأتي فقط مع الحكمة والنضوج والوقت. صحيح أنها ليست عجوزاً في سن الخمسين، لكن السنوات التي مضت منذ مرض شون

ولد. أحب شون كثيراً ولديها، واتّفق كلاهما على أنهما مشغولان كثيراً ولا يملكان الوقت لإنجاب ولد آخر. اهتما بدلاً من ذلك ببعضهما وبزواجهما. كان أنطوني وكلويه في الثانوية حين تزوجت بشون، وكان هذا جزءاً من قرارها قبول الزواج بشون. فهي لا تحب أن تظهر لولديها أنها تقبل العيش مع رجل من دون التزام رسمي، وقد رحّب ولداها بإيجابية بالزواج. أرادا أن يبقى شون معهما، وأثبت لهما أنه صديق وزوج أم جيد لكليهما. والآن، كبر ولداها وغادرا المنزل، مما سبب لها حزناً كبيراً.

كانت كلويه في وظيفتها الأولى بعد تخرجها من جامعة ستانفورد. كانت مساعدة المحررة المساعدة للأكسسوارات في مجلة موضة في لندن. كان العمل مهيباً وممتعاً، يقوم على المساعدة في التنسيق، وإعداد الصور، والقيام بجولات، من دون أي راتب تقريباً وإنما مع روعة العمل في النسخة البريطانية من مجلة فوغ. أحبت كلويه ذلك. كانت تشبه والدتها كثيراً، وتستطيع أن تكون عارضة أزياء، لكنها فضلت العمل في مجال التحرير، وهي تبلي حسناً في لندن. كانت فتاة ذكية ومنفتحة ومتحمسة كثيراً للأشخاص الذين تلتقيهم في عملها. كانت تتحدث غالباً مع كارول عبر الهاتف.

أما أنطوني فكان يحذو حذو والده في وول ستريت، في عالم المال، بعد حصوله على شهادة الماجستير في إدارة الأعمال من هارفارد. كان رجلاً شاباً جاداً ومسؤولاً، جعل أهله دوماً فخورين به. كان وسيماً مثلما كانت كلويه جميلة، وإنما خجولاً قليلاً. خرج مع الكثير من الفتيات الذكيات والجميلات، لكن أياً منهنّ لم تعنِ له الكثير حتى الآن. كانت حياته الاجتماعية أقل أهمية بالنسبة إليه من عمله في المكتب. كان حريصاً على مهنته في المال، ويذكّر نفسه دوماً بالأهداف التي يصبو إليها. ثمة أشياء قليلة كانت تردعه، وفي أغلب الأحيان كان لا يزال يعمل أمام مكتبه حين تتصل به كارول على هاتفه الخلوي في وقت متأخر من الليل.

كان الولدان متعلقين كثيراً بشون وبأمهما. لطالما كانا حذرين، وحساسين، وودودين، على الرغم من الخلافات العرضية التي كانت

تحصل بين كلويه وكارول. لطالما احتاجت كلويه إلى وقت أمها وانتباهها أكثر من أخيها، ولذلك كانت تتذمر بشدة حين تسافر أمها لتصوير فيلم سينمائي، خصوصاً خلال المرحلة الثانوية، حين أرادت كارول قربها، مثل بقية الفتيات. والواقع أن هذه التذمرات جعلت كارول تشعر بالذنب، على الرغم من أنها كانت تدعو الولدين لزيارتها في موقع التصوير كلما سنحت الفرصة، أو تعود هي إلى المنزل في إجازات التصوير لتكون معهما. تأقلم أنطوني مع الوضع، وفعلت كلويه ذلك بشكل أقل، على الأقل بالنسبة إلى كارول. رأت كلويه أن والدها يعيش في الخيال، ورغبت كثيراً بالتركيز على أخطاء أمها. أما كارول فقالت لنفسها إنها طبيعة العلاقات بين الأم وابنتها. من الأسهل أن تكون أماً لابن رائع.

والآن، بعد أن أصبحت لوحدها وكبر الولدان وغادرا المنزل، ويعيش كل منهما حياته سعيداً، أصبحت كارول مصممة على إنجاز الكتاب الذي وعدت نفسها بتأليفه قبل وقت طويل. خلال الأسابيع القليلة الماضية، شعرت بإحباط كبير وبدأت تشك في إمكانية تأليفها للكتاب. بدأت تتساءل ما إذا أخطأت في رفض الدور الذي عُرِض عليها في شهر أغسطس. يتوجب عليها ربما الإقلاع عن الكتابة والعودة إلى الأفلام السينمائية. أصبح مايك أبلسون، وكيل أعمالها، منزعجاً منها. غضب من رفضها المستمر للأدوار المعروضة عليها، وسئم من سماع حكاية الكتاب الذي لم تكتبه.

كانت الحبكة تحيّرها، والشخصيات لا تزال غامضة، فيما النتيجة ومحور الكتاب يبدوان عالقين في مكان ما في رأسها. الأمر أشبه بعقدة عملاقة، مثل كرة صوف لعب بها الهرّ. ومهما فعلت، أو سعت جاهدة، بدا أنها عاجزة عن الخروج من الفوضى. بات الأمر يحبطها أكثر مما تتصور.

ثمة جائزتا أوسكار معروضتان على الرف فوق مكتبها، وجائزة غولدن غلوب فازت بها مباشرة قبل السنة التي أخذتها إجازة حين مرض

شون. لم تنسَها هوليوود بعد، لكن مايك أبلسون أكّد لها أنه سيتمّ نسيانها في النهاية إذا لم تعد إلى العمل. نفدت منها الأعذار التي تقدمها له، ومنحت نفسها مهلة حتى آخر السنة للشروع في الكتاب. لا يزال أمامها شهران، ولم تتوصل إلى أي شيء. بدأت تشعر بالخوف كلما جلست إلى مكتبها.

سمعت الباب يُفتح برفق خلفها، والتفتت مع نظرة قلقة. لم تكترث بالمقاطعة، لا بل إنها رحبت بها. في اليوم السابق، أعادت تنظيم خزانات حمامها بدلاً من العمل على الكتاب. حين التفتت، شاهدت ستيفاني مورو، مساعدتها، تقف بتردد عند باب مكتبها. كانت جميلة، وأستاذة مدرسة في الأساس، وظّفتها كارول لفصل صيف، قبل خمس عشرة سنة، حين عادت للمرة الأولى من باريس. اشترت كارول المنزل في بيل - آير، وقبلت المشاركة في فيلمين سينمائيين تلك السنة، ووقّعت على عقد لمدة سنة في مسرحية على خشبة برودواي. اهتمت كثيراً في حقوق النساء، وتوجب عليها الترويج لأفلامها، فاحتاجت إلى المساعدة في تنظيم شؤون ولديها وعملها. جاءت ستيفاني لمساعدتها لمدة شهرين، وبقيت إلى الأبد. بعد خمس عشرة سنة، أصبح عمرها تسعاً وثلاثين سنةً. عاشت مع رجل، لكنها لم تتزوج أبداً. كان متفهماً لعملها ويسافر كثيراً. لم تكن ستيفاني واثقة ما إذا كانت تريد فعلاً الزواج، لكنها متأكدة من أنها لا تريد إنجاب الأولاد. دللت كارول كثيراً وقالت إنها طفلتها. ردّت عليها كارول بالمثل بالقول إن ستيفاني هي مربيتها. كانت مساعدة مذهلة، تتعاطى مع الصحافة بذكاء، وتستطيع تدبر أمرها لوحدها في كل الظروف. ما من شيء لا تستطيع ضبطه.

حين كان شون مريضاً، فعلت كل ما في وسعها لمساعدة كارول. كانت موجودة لمساعدة الولدين، وشون، وكارول. حتى إنها ساعدت كارول في تحضير الجنازة واختيار التابوت. على مرّ السنوات، أصبحت ستيفاني أكثر من مجرد موظفة. فعلى الرغم من فارق في السن يصل إلى إحدى عشرة سنة، أصبحت المرأتان صديقتين حميمتين، مع محبة كبيرة

واحترام متبادل. لم يكن هناك أي غيرة لدى ستيفي، مثلما كانت تناديها كارول. كانت تسعد لانتصارات كارول، وتبكي لمآسيها، وتحب عملها، وتواجه كل يوم بصبر ومرح.

أصبحت كارول متعلقة كثيراً بها، واعترفت علناً أنها كانت لتضيع من دونها. كانت المساعدة المثالية، ومثلما يفعل الأشخاص في مهن مثل مهنتها، كانت تضع حياة كارول أولاً وحياتها هي ثانياً، أو حتى تنسى حياتها هي تماماً. أحبت ستيفي كارول وعملها، ولم تكترث. كانت حياة كارول أكثر إثارة من حياتها هي.

يبلغ طول ستيفي ستة أقدام، وهي ذات شعر أسود وعينين بنيتين. كانت ترتدي سروال جينز وقميصاً قطنياً فيما وقفت عند باب مكتب كارول. "شاي؟"، همست لها.

"لا، سمّ"، قالت كارول مع تأوه، فيما تأرجحت في كرسيها. "لا أستطيع تأليف هذا الكتاب اللعين. ثمة شيء يمنعني، ولا أعرف ما هو. قد يكون مجرد خوف. وكأنني أعرف أنني لا أستطيع فعل ذلك. لا أعرف لماذا ظننت أنني أستطيع فعل هذا". نظرت إلى ستيفي، مقطبة حاجبيها بيأس.

"بلى، يمكنك"، قالت ستيفي بهدوء. "امنحي نفسك الوقت. يقولون إن البداية هي أصعب شيء. عليك فقط الجلوس لوقت طويل لإنجازه". خلال الأسبوع الماضي، ساعدتها ستيفي في إعادة تنظيم كل خزاناتها، وإعادة تصميم الحديقة، وتنظيف المرأب. وقررتا إعادة تأهيل المطبخ. كانت كارول تبتكر كل مصدر إلهاء وعذر ممكن لتفادي الشروع في الكتابة مجدداً. وهي تفعل ذلك منذ أشهر. "أنت بحاجة ربما إلى استراحة"، اقترحت عليها ستيفي، وتأوهت كارول.

"حياتي كلها استراحة هذه الأيام. عاجلاً أم آجلاً، عليّ العودة إلى العمل، إما في فيلم سينمائي أو لتأليف هذا الكتاب. سيقتلني مايك إذا رفضت فيلماً آخر".

مايك أبلسون هو منتج، ويعمل كوكيل لها منذ اثنتين وثلاثين سنة، منذ أن اكتشفها في عمر الثامنة عشرة، قبل سنوات عدة. قبل زمن بعيد، كانت فتاة ريفية من الميسيسيبي، ذات شعر أشقر طويل وعينين خضراوين كبيرتين، جاءت إلى هوليوود بدافع الحشرية أكثر من دافع الطموح الحقيقي. جعلها مايك أبلسون على ما هي عليه اليوم. بالإضافة طبعاً إلى موهبتها الحقيقية. فاختبارها الأول على الشاشة في عمر الثامنة عشرة أذهل الجميع. أما البقية فأصبح تاريخاً. تاريخها هي. أصبحت الآن واحدة من أشهر الممثلات في العالم، وتخطى نجاحها كل أحلامها. ماذا تفعل إذاً في محاولتها تأليف كتاب؟ لا يسعها إلا طرح السؤال نفسه مراراً وتكراراً. إنها تعرف الجواب، تماماً مثل ستيفي. إنها تبحث عن جزء من نفسها، عن جزء خبأته في جارور في مكان ما، عن جزء من نفسها أرادته واحتاجت إلى العثور عليه كي يصبح لبقية حياتها معنى.

أثّر فيها ذكرى ميلادها الأخير كثيراً. فبلوغ العقد الخامس كان معلماً مهماً بالنسبة إليها، خصوصاً وأنها أصبحت الآن لوحدها. لا يمكن تجاهل ذلك. قررت أنها تريد إعادة حبك كل قطع حياتها مع بعضها، بأساليب لم تفعلها من قبل، لربطها معاً، بدلاً من امتلاك قطع وأشلاء من ذاتها متناثرة هنا وهناك. أرادت أن يكون لحياتها معنى، من أجلها هي إن لم يكن من أجل شخص آخر. أرادت العودة إلى البداية وترتيب كل شيء.

حصلت لها الكثير من الأمور عن طريق الصدفة، في سنواتها الأولى على وجه التحديد، أو هذا ما بدا على الأقل. حظ جيد وسيئ، وإن كان بمعظمه جيداً، في مسيرتها المهنية على أي حال، ومع ولديها. لكنها لم تشأ أن تبدو حياتها مثل حادثة تصادفية أو ما شابه. فالعديد من الأمور التي قامت بها كانت بمثابة ردود فعل على ظروف أو أشخاص آخرين، وليست قرارات اتخذتها عمداً. بدا من المهم الآن معرفة ما إذا كانت الخيارات التي اتخذتها هي الخيارات الصحيحة. ثم ماذا؟ استمرت تسأل نفسها عن الفرق الذي ستحدثه معرفة الإجابة. لكن هذا قد يعدّل مسار حياتها في السنوات المقبلة. هذا هو

الفرق الذي تريده أن يحصل. ومع رحيل شون، بدا مهماً لها الآن اتخاذ القرارات والخيارات، وليس فقط انتظار الأمور لتحصل لها. ما الذي تريده؟ تريد تأليف كتاب. هذا كل ما تعرفه. وربما تأتي البقية بعد ذلك. قد تمتلك حينها مفهوماً أفضل للأدوار التي ترغب بتأديتها في الأفلام السينمائية، والتأثير الذي تريد تركه في العالم، والقضايا التي تريد دعمها، ومن تريد أن تكون لبقية حياتها. لقد كبر ولديها. وحان الآن دورها.

اختفت ستيفي ثم عادت للظهور مجدداً مع فنجان شاي. شاي الفانيلا الخالي من الكافيين. تشتريه لها ستيفي من مارياج فرير في باريس. أصبحت كارول مدمنة عليه حين عاشت هناك، ولا يزال الشاي المفضل لديها. تشعر دوماً بالامتنان حين تعطيها ستيفي أكواب الشاي الساخنة. فهذا مريح لها. بدت كارول شاردة فيما وضعت فنجان الشاي على شفتيها ورشفت منه قليلاً. "أنت محقة ربما"، قالت كارول بكثير من الاهتمام وهي تلقي نظرة على المرأة التي رافقتها طوال سنوات. سافرتا معاً، إذ كانت كارول تصطحبها معها إلى موقع التصوير في أثناء المشاركة في فيلم سينمائي. كانت ستيفي المرأة الشاملة التي جعلت حياة كارول ناعمة مثل الحرير، وقد استمتعت بفعل ذلك لها. لقد عشقت مهنتها، وكانت تأتي إلى العمل كل يوم. كان كل يوم مختلفاً وبمثابة تحدٍّ. لا يزال العمل يثيرها بعد كل هذه السنوات التي عملت خلالها لدى كارول باربر.

"ما هو الشيء الذي أنا محقة فيه؟"، سألت ستيفي وهي تمدد ساقيها الطويلتين في كرسي الجلد المريح داخل الغرفة. كانتا تمضيان الكثير من الساعات في تلك الغرفة، تخططان الأمور وتسوّيان الخلافات. لطالما رغبت كارول بالاستماع إلى آراء ستيفي، حتى لو كانت تفعل شيئاً مغايراً في النهاية. لكن في معظم الأوقات، كانت تجد نصيحة مساعدتها صلبة ومهمة بالنسبة إليها. وبالنسبة إلى سيتفي، لم تكن كارول مديرتها فقط، وإنما مثل عمة حكيمة. تشاركت المرأتان الآراء في الحياة، وكانتا تريان الأمور غالباً بالطريقة نفسها، خصوصاً في ما يتعلق بالرجال.

"أنا بحاجة ربما إلى القيام برحلة". ليس لتفادي الكتاب، وإنما ربما في هذه الحالة لتحطيمه، مثل القشرة القاسية التي تقاوم ولا يمكن فتحها بأي طريقة أخرى.

"يمكنك الذهاب لزيارة الولدين"، اقترحت عليها ستيفي. أحبت كارول زيارة ابنها وابنتها، لأنهما نادراً ما يأتيان إلى المنزل. بات يصعب على أنطوني الابتعاد عن المكتب، على الرغم من أنه كان يحرص دوماً على رؤيتها في المساء حين تأتي إلى نيويورك، مهما كان مشغولاً. كان يحب أمه، تماماً مثل كلويه التي كانت تترك كل شيء للتجول في لندن مع أمها بهدف اللهو والتسوق. كانت تشبع من حب أمها ووقتها، مثل الزهرة في المطر.

"لقد فعلت ذلك قبل أسابيع قليلة. لا أعرف... أحتاج ربما إلى فعل شيء مختلف تماماً... الذهاب إلى مكان لم أزره من قبل... مثل براغ أو ما شابه... أو رومانيا... أو السويد...". لم تكن هناك الكثير من الأماكن في هذا الكوكب التي لم تزرها بعد. فقد شاركت في محاضرات حول النساء في الهند، وباكستان وبيجينغ. التقت برؤساء دول حول العالم، وعملت مع اليونيسيف، وتحدثت في مجلس الشيوخ الأميركي.

ترددت ستيفي في ذكر المكان البديهي. باريس. عرفت كم تعني هذه المدينة لها. فقد عاشت كارول في باريس لمدة سنتين ونصف، وعادت إليها مرتين فقط خلال السنوات الخمس عشرة الماضية. قالت كارول إنه لم يعد لديها أي شيء هناك. أخذت شون إلى باريس بعد فترة وجيزة من زواجهما، لكنه كره الفرنسيين، وفضّل دوماً الذهاب إلى لندن. عرفت ستيفي أنها لم تزر باريس منذ عشر سنوات. وقد زارتها مرة واحدة فقط خلال السنوات الخمس التي سبقت لقاءها بشون، حين باعت المنزل في شارع جاكوب، أو بالأحرى في زقاق صغير خلفه. ذهبت معها ستيفي لإقفال المنزل، وأحبته. لكن في ذلك الوقت، انتقلت حياة كارول إلى لوس أنجلوس، وقالت إنه لم يعد منطقياً الاحتفاظ بمنزل في باريس. صَعُب

عليها الأمر حين أغلقت المنزل، ولم تعد أبداً مجدداً إلا حين قامت برحلتها مع شون إلى هناك. مكثا في فندق الريتز، وكان يتذمر طوال الوقت. أحب إيطاليا وإنكلترا، ولكن ليس فرنسا.

"لقد حان الوقت ربما لكي تعودي إلى باريس"، قالت ستيفي بحذر. عرفت أن أشباح الماضي تطاردها هناك، لكن بعد خمس عشرة سنة، لا تتخيل أنها لا تزال تؤثر في كارول. ليس بعد قضاء ثماني سنوات مع شون. فما حصل مع كارول في باريس شفي منذ زمن طويل، ولا تزال تتحدث عن المدينة بشغف بين الحين والآخر.

"لا أعرف"، قالت كارول وهي تفكر في الأمر. "تمطر كثيراً في شهر نوفمبر. الطقس جيد جداً هنا".

"يبدو أن الطقس لا يساعدك على تأليف الكتاب. اذهبي إذاً إلى مكان آخر. فيينا... ميلانو... البندقية... بوينس آيرس... مكسيكو سيتي... هاواي. أنت بحاجة ربما إلى بعض الوقت على الشاطئ، إذا كنت تبحثين عن الطقس الجيد". لكنهما تعرفان جيداً أن الطقس ليس المشكلة.

"سأرى"، قالت كارول مع تنهيدة فيما نهضت من كرسي مكتبها. "سأفكر في الأمر".

كانت كارول طويلة القامة، وإن ليس بطول مساعدتها. كانت نحيلة، ورشيقة، وصاحبة طلة لافتة. صحيح أنها تمارس التمارين الرياضية، ولكن ليس بوتيرة كافية لتبرير طلتها. إنها تملك جينات رائعة، وبنية عظمية جيدة، وجسداً يتحدى سنوات عمرها، ووجهاً يخفي حتماً عمرها، ولم تخضع لأي جراحة تجميلية فيه.

كارول باربر كانت ببساطة امرأة جميلة. شعرها لا يزال أشقر، وتتركه طويلاً وأملساً، مربوطاً في الغالب إلى الخلف على شكل ذيل حصان أو كعكة. عشق مصففو الشعر في بلاتوهات التصوير شعرها الأشقر الحريري منذ كانت في الثامنة عشرة. كانت عيناها كبيرتين وخضراوين، ووجنتاها عاليتين، وقسماتها دقيقة ومثالية. تملك وجه وجسم

عارضة أزياء، وليس مجرد نجمة. كما أن مشيتها توحي بالثقة واللباقة والجاذبية. لم تكن فظة، وإنما مرتاحة مع ذاتها، وتتحرك بأناقة الراقصة. جعلها أول استوديو تعاقدت معه تأخذ دروساً في الباليه. لا تزال تتحرك مثل راقصة اليوم، مع وضعية مثالية. كانت امرأة مذهلة الطلة، ونادراً ما تضع الماكياج. لديها بساطة في الأسلوب جعلتها أكثر لفتاً للنظر. أصيبت ستيفي بالذهول حين جاءت في المرة الأولى للعمل معها. كانت كارول في الخامسة والثلاثين حينها، وهي الآن في الخمسين، وقد يصعب تصديق ذلك. تبدو بسهولة أصغر بعشر سنوات من عمرها الفعلي. وعلى الرغم من أن شون كان أصغر منها فعلياً بخمس سنوات، كان يبدو دوماً أكبر منها سناً. كان رجلاً وسيماً، وإنما أصلع، ويميل إلى البدانة قليلاً. أما كارول فلا تزال تملك الطلة نفسها كما كانت في العشرين. إنها تنتبه إلى ما تأكله، لكنها محظوظة على الأغلب. تملك هذه النعمة منذ ولادتها.

"سأتجول قليلاً"، قالت لستيفي بعد دقائق معدودة. وضعت كنزة كاشمير بيضاء حول كتفيها، وحملت حقيبة بيج من جلد التمساح اشترتها من محال هيرمس. إنها مولعة بالثياب البسيطة وإنما ذات النوعية الجيدة، خصوصاً إذا كانت فرنسية. في عمر الخمسين، ثمة شيء في كارول يذكّر بالنجمة غرايس كيلي حين كانت في العشرين. لديها النوع نفسه من الأناقة والأرستقراطية، على الرغم من أن كارول بدت أكثر ودية. ما من شيء صارم في كارول، وكانت متواضعة جداً مقارنة مع هويتها، والشهرة التي حصلت عليها طوال حياتها. ومثل كل الأشخاص الآخرين، أحبت ستيفي هذه الصفة لديها. لم تكن كارول أبداً مغرورة بنفسها.

"هل تريدين أن أفعل لك شيئاً؟"، عرضت عليها سيتفي.

"نعم، اكتبي الكتاب فيما أنا أتنزه خارجاً. سأرسله إلى وكيلتي صباحاً". لقد عيّنت وكيلة أدبية، لكنها لم ترسل لها أي شيء بعد.

"حسناً"، ابتسمت لها كارول. "أنا أحمي الحصن هنا. وأنت تذهبين إلى روديو".

"لن أذهب إلى روديو"، قالت كارول بتزمت. "أريد البحث عن كَراسٍ جديدة لغرفة الطعام. أظن أن غرفة الطعام تحتاج إلى التغيير. فكري في الأمر، لكنني جبانة كثيراً لأشتري واحدة جديدة. لا أريد أن أستيقظ في الصباح وأبدو شخصاً مختلفاً. احتجت إلى خمسين سنة للاعتياد على الوجه الذي لديّ الآن. أكره تبديله".

"لست بحاجة إلى ذلك"، طمأنتها ستيفي.

"شكراً، لكنني أصبحت ألاحظ علامات الزمن في المرآة".

"لديّ تجاعيد أكثر منك"، قالت ستيفي وهي محقة في ذلك. لديها بشرة إيرلندية ناعمة لم تصمد جيداً مثل بشرة مديرتها، الأمر الذي أثار حزنها.

بعد خمس دقائق، خرجت كارول في سيارتها. إنها تقود السيارة نفسها منذ ست سنوات. على عكس بقية نجوم هوليوود، لا تحتاج إلى أن تكون في سيارة رولز أو بنتلي. سيارتها العادية تكفيها. والمجوهرات الوحيدة التي تضعها كانت قرطين ماسيين، بالإضافة إلى خاتم الزواج الذهبي العادي حين كان شون على قيد الحياة، وقد نزعته أخيراً من إصبعها هذا الصيف. كانت تعتبر أي شيء غير ذلك بمثابة أكسسوار غير ضروري، ولذلك كان المنتجون يستعيرون لها المجوهرات كلما أرادت الترويج لفيلم. في حياتها الخاصة، كانت قطعة المجوهرات الأكثر تكلفة التي تضعها كارول عبارة عن ساعة ذهبية بسيطة. والشيء الأكثر لفتاً للنظر في كارول كان كارول نفسها.

عادت بعد ساعتين فيما كانت ستيفي تأكل سندويشاً في المطبخ. ثمة ركن مكتبي خاص بها، حيث تعمل، وقد شكت دوماً من قربه الشديد من المطبخ الذي كانت تزوره غالباً. كانت تتمرن في النادي الرياضي كل ليلة للتعويض عما تأكله في العمل.

"ألم تنتهِ بعد من الكتاب؟"، سألتها كارول فيما دخلت. بدت بمعنويات أفضل مما كانت عليه حين غادرت.

"تقريباً. أصبحت في الفصل الأخير. أعطني نصف ساعة إضافية وسأكون جاهزة. كيف كانت الكراسي؟".

"لم تكن مناسبة للطاولة. علوها ليس مناسباً. إلا إذا اشتريت طاولة جديدة أيضاً". إنها تبحث عن مشاريع جديدة، وقد عرفت كلاهما أنه عليها العودة إلى العمل أو تأليف الكتاب. الكسل ليس أسلوبها. بعد عمر من العمل المستمر، والآن بعد رحيل شون، تحتاج كارول إلى فعل شيء ما. "قررت الأخذ بنصيحتك"، قالت كارول وهي تجلس إلى طاولة المطبخ مقابل ستيفي مع نظرة حزينة.

"أي نصيحة؟". لم تعد ستيفي تتذكر ما قالته لها.

"بشأن القيام برحلة. أحتاج إلى الخروج من هنا. سآخذ الكمبيوتر معي. عند الجلوس ربما في غرفة فندق، قد أتمكن من الانطلاق في الكتاب. لا أحب ما أنجزته حتى الآن".

"أنا أحبه. الفصلان الأولان جيدان. عليك فقط التركيز على ما كتبته والمتابعة. تماماً مثل تسلق الجبل. لا تنظري إلى الأسفل ولا تتوقفي قبل الوصول إلى القمة". إنها نصيحة جيدة.

"ربما. سأرى. على أي حال، أحتاج إلى إفراغ رأسي"، قالت بتنهد. "احجزي لي رحلة إلى باريس لبعد غد. ليس لدي شيء لأفعله هنا، ولن تأتي مناسبة الشكر قبل ثلاثة أسابيع ونصف. من الأفضل لي ربما الخروج من هنا قبل أن يأتي الولدان للاحتفال بهذه المناسبة. إنه التوقيت المثالي". فكّرت في الأمر طوال عودتها إلى المنزل واتخذت قرارها. تشعر بالتحسن الآن.

أومأت ستيفي برأسها وامتنعت عن إضافة أي تعليق. إنها مقتنعة بأن الابتعاد سيفيدها على أي حال، خصوصاً إذا ذهبت إلى مكان تحبه.

"أظن أنني مستعدة للعودة"، قالت كارول بنعومة مع نظرة شاردة. "يمكنك حجز غرفة لي في فندق الريتز. كرهه شون، لكنني أحبه".

"وكم تريدين المكوث فيه؟".

"لا أعرف. لمَ لا تحجزين لي الغرفة لأسبوعين بحيث تكون لي. أظن أنني سأستعمل باريس كقاعدة. أريد بالفعل الذهاب إلى براغ، ولم أزر بودابست أيضاً من قبل. أريد التجول قليلاً، واختبار شعوري حين أكون هناك. أنا حرة مثل العصفور، وأريد الاستفادة من ذلك. قد يأتيني الإلهام إذا رأيت شيئاً جديداً. وإذا أردت العودة إلى المنزل في وقت أبكر، يمكنني ذلك. سأتوقف أيضاً في لندن لرؤية كلويه ليومين في طريق عودتي. وإذا كان الوقت قريباً كفاية من مناسبة الشكر، قد ترغب بالسفر معي. قد يكون هذا ممتعاً. سيأتي أنطوني إلى مناسبة الشكر أيضاً، ولذلك لا أحتاج إلى التوقف في نيويورك في طريق العودة". كانت تحاول دوماً رؤية ولديها كلما سافرت إلى مكان ما، إذا كانا يملكان الوقت وهي أيضاً. لكن هذه الرحلة مخصصة لها.

ابتسمت لها ستيفي، فيما دوّنت ملاحظة لنفسها مع التفاصيل. "ستكون العودة إلى باريس ممتعة. لم أزرها منذ أن بعت المنزل. مضى على ذلك أربع عشرة سنة". بدت كارول محرجة قليلاً حينها. لم توضح نفسها جيداً.

"أكره أن أكون فظة. أحب أن نسافر معاً. لكنني أريد السفر لوحدي هذه المرة. لا أعرف لماذا، لكنني أظن أنني أحتاج إلى أن أكون لوحدي. إذا أخذتك معي، سأتحدث معك بدلاً من الغوص في أعماقي. أنا أبحث عن شيء ما، ولست واثقة ما هو. إنه أنا، حسبما أظن". كانت مقتنعة تماماً أن الأجوبة التي تفيد مستقبلها، والكتاب، باتا من الماضي. تريد العودة الآن لنبش كل شيء تركته خلفها وحاولت نسيانه منذ زمن بعيد.

بدت ستيفي متفاجئة، وإنما ابتسمت لمديرتها. "هذا جيد. أنا أقلق عليك حين تسافرين لوحدك". لا تفعل كارول ذلك غالباً، ولا تحب ستيفي هذه الفكرة.

"أنا أقلق أيضاً"، اعترفت كارول. "وأنا كسولة جداً. لقد أفرطتي في تدليلي. أكره التعاطي مع العتّالين وطلب الشاي بنفسي. قد يفيدني الأمر ربما. وكم ستكون الحياة صعبة في الريتز؟".

"ماذا لو ذهبت إلى أوروبا الشرقية؟ هل تريدين أحداً معك هناك؟ أستطيع استئجار أحدهم لك في باريس، عبر جهاز الأمن في الريتز". كانت هناك تهديدات عدة على مرّ السنوات، على الرغم من عدم ورود أي شيء في الأونة الأخيرة. كان الناس يتعرفون إليها في كل الدول تقريباً. وحتى لو لم يفعلوا، كانت امرأة جميلة تسافر لوحدها. وماذا لو مرضت؟ كانت كارول تستحضر الأم في ستيفي في كل مرة. أحبت الاهتمام بها وحمايتها من الحياة الحقيقية. إنها مهمتها في الحياة ووظيفتها.

"لا أحتاج إلى الأمن. سأكون بخير. حتى لو تعرفوا إليّ، ماذا سيحصل؟ مثلما كانت تقول كاثرين هيبورن، سأبقي رأسي منخفضاً وأتجنب اتصال العينين". لا تزال كلاهما تتفاجآن بمدى جدوى هذه الطريقة. فحين لا تجري كارول اتصالاً بالعينين مع الأشخاص الموجودين في الشارع، يتعرفون إليها بصورة أقل. إنها حيلة هوليوودية قديمة، وإن كانت لا تنجح على الدوام. لكنها تنجح أكثر مما تخفق.

"أستطيع دوماً الذهاب إليك إذا بدّلت رأيك"، عرضت ستيفي وابتسمت كارول. عرفت أن مساعدتها لا تحتال للحصول على رحلة. ستيفي قلقة عليها، مما أثّر في صميم كارول. ستيفي هي المساعدة الشخصية المثالية، التي تكافح دوماً لجعل حياة كارول أسهل وتستبق المشاكل قبل أن تحصل.

"أعدك بأن أتصل بك إذا وقعت في مشكلة أو شعرت بالوحدة أو الغرابة"، طمأنتها كارول. "من يعلم، قد أقرر العودة إلى هنا بعد أيام قليلة. من الممتع السفر من دون وضع أي خطط مسبقة". أجرت ملايين الرحلات سابقاً للترويج لأفلامها، أو تواجدت في مواقع التصوير في أثناء مشاركتها. نادراً ما تأخذ مثل هذه الإجازة، لكن ستيفي رأت أنها فكرة جيدة، حتى لو كان الأمر غير اعتيادي بالنسبة إليها.

"سأبقي هاتفي الخلوي مفتوحاً بحيث يمكنك الاتصال بي، حتى في الليل أو في النادي. أستطيع دوماً ركوب الطائرة التالية"، وعدتها ستيفي،

على الرغم من أن كارول كانت حريصة على عدم الاتصال بها في الليل. لقد حافظت على حدود صارمة على مرّ السنوات، وأصبح الأمر متبادلاً. احترمت حياة ستيفي الشخصية، وحين يكون لكارول واحدة، تحترمها ستيفي أيضاً. جعل هذا العمل بينهما أفضل على مرّ السنوات. "سأتصل بشركة الطيران وفندق الريتز"، قالت ستيفي وهي تنهي السندويش وتتوجه إلى وضع الطبق في غسالة الصحون. خفّضت كارول عدد موظفي المنزل منذ زمن طويل إلى امرأة واحدة فقط، بحيث كانت تأتي في الصباح خمسة أيام في الأسبوع. فبعد رحيل شون والولدين، لم تعد تحتاج إلى الكثير من المساعدة. كانت تنقّب في الثلاجة بنفسها ولم تعد تستخدم طاهية. وتفضل قيادة السيارة بنفسها. تفضل العيش مثل شخص عادي من دون كل تعقيدات متطلّبات حياة النجمة.

"سأبدأ بتوضيب الأغراض"، قالت كارول فيما غادرت المطبخ. انتهت بعد ساعتين. أخذت معها القليل من الأشياء. بعض السراويل القطنية، وبعض سراويل الجينز، وتنورة واحدة، وكنزات، وحذاء مريح للمشي، وحذاء بكعب عالٍ. ووضعت سترة واحدة ومعطفاً واحداً واقياً من المطر، وأخرجت معطفاً صوفياً مع قلنسوة لارتدائه في الطائرة. لا تحتاج إلى الكثير من الأشياء، لا بل إنها قد لا تستعمل حتى هذا، إذا لم يحصل لها أي شيء خلال الرحلة.

كانت قد انتهت للتو من توضيب حقيبتها حين دخلت ستيفي إلى غرفتها لإخبارها بأنه تم إنجاز الحجوزات. ستطير إلى باريس بعد يومين، وحجز لها فندق الريتز جناحاً في جهة الفاندوم من المبنى. قالت ستيفي إنها ستوصلها بنفسها إلى المطار. كانت كارول مستعدة تماماً لرحلتها للعثور على نفسها، في باريس، أو أي مكان آخر تذهب إليه. ومهما كانت المدن الأخرى التي ستقرر الذهاب إليها، يمكنها إجراء الحجوزات ما إن تصبح في أوروبا. أصبحت كارول متحمسة الآن لفكرة السفر. سيكون من الرائع التواجد في باريس بعد كل هذه السنوات.

أرادت المـــرور قـــرب منزلها القديم في شارع جاكوب، في الضفة اليـــسرى، وتقديم التحية لفترة السنتين والنصف اللتين أمضتهما هناك. بدا وكأن هذا حصل قبل زمن بعيد جداً. كانت أصغر من ستيفي حين غادرت بـــاريس. شـــعر ابنها أنطوني، الذي كان عمره إحدى عشرة سنةً آنذاك، بالـــسرور لعـــودته إلى الولايات المتحدة. كانت كلويه في السابعة وحزنت لتـــرك بـــاريس وأصـــدقائها هـــناك. كانت تتحدث الفرنسية بطلاقة. كان عمـــرهما ثماني وأربع سنوات حين وصلا إلى باريس للمرة الأولى، حين كانت كارول تصوّر فيلماً في باريس. استغرق الفيلم ثمانية أشهر، ومكثوا لمـــدة ســـنتين بعـــد ذلـــك. بدت فترة طويلة من الوقت آنذاك، خصوصاً للـــصغيرين، وحتى لها هي. وها هي الآن تعود، في رحلة حج نوعاً ما. لـــيس لديها فكرة عما ستجده هناك، أو كيف ستشعر. لكنها جاهزة. بالكاد تـــستطيع الانـــتظار للمغـــادرة. أدركـــت الآن أنها خطوة مهمة في تأليف الكتاب. قد تحررها هذه العودة وتفتح لها الأبواب المغلقة بإحكام. فالجلوس أمـــام جهاز الكمبيوتر في بيل – آير لم يساعدها على فتحها. لكن الأبواب ستفتح هناك من تلقاء نفسها. هذا ما تأمله.

ما إن عرفت أنها ستغادر إلى باريس، حتى استطاعت كارول الكتابة تلـــك اللـــيلة. جلـــست أمام شاشة الكمبيوتر لساعات طويلة بعدما غادرت ستيفي، وعادت إلى الكمبيوتر في صباح اليوم التالي حين وصلت.

كتـــبت بعـــض الرســـائل، ودفعت الفواتير، وقامت ببعض الجولات الأخيرة. وحين غادرت إلى المطار في اليوم التالي، كانت كارول مستعدة. ثرثـــرت بحـــيوية مـــع ستيفي خلال الطريق إلى المطار، مسترجعة آخر التفاصـــيل، وما يجب قوله للبستاني، وبعض الأشياء التي طلبتها وستصل خلال غيابها.

"ماذا أقول للولدين إذا اتصلا؟"، سألت ستيفي فيما وصلتا إلى المطار وأخرجت حقيبة كارول من السيارة. كانت تسافر خفيفة، بحيث يمكنها تدبر أمرها لوحدها بسهولة.

"قولي لهما فقط إنني مسافرة"، أجابت كارول بعفوية.

"فـــي بـــاريس؟". كانـــت ستيفي كتومة جداً وتخبر الأشخاص، حتى الولدين، بما تطلبه منها كارول فقط.

"لا بـــأس. فهـــذا ليس سراً. سأتصل بهما ربما في مرحلة ما. وفي الـــنهاية، سأتصل بكلويه قبل أن أذهب إلى لندن. أريد أن أرى ما سأقرر فعلـــه أولاً". أحـــبت شـــعور الحرية الذي تمتلكه، والسفر لوحدها، واتخاذ القرارات بشأن مقاصدها كل يوم بيومه. نادراً ما تكون بهذه العفوية وتفعل كل ما تتمناه. بدا هذا مثل هدية حقيقية.

"لا تنسي أن تخبريني بما تفعلينه"، قالت ستيفي. "أنا قلقة عليك". ربما أكثر من ولديها، اللذين لا يعيان الأمر ربما على الرغم من أنهما يحبانها. كانـــت ســـتيفي تتصرف معها بأمومة أحياناً. عرفت لدى كارول الجانب الـــضعيف الذي لا يراه الآخرون، الجانب الهش، ذاك الذي يؤذي. بالنسبة إلى الآخرين، كانت كارول تظهر الهدوء والقوة، لكن الحقيقة لم تكن هكذا على الدوام.

"سأرســـل لك بريداً إلكترونياً حين أصل إلى الريتز. لا تقلقي إذا لم تـــسمعي عنـــي بعد ذلك. إذا ذهبت إلى براغ أو فيينا أو إلى مكان آخر، ســـأترك الكمبيوتر على الأرجح في باريس. لا أريد أن أنزعج بالكثير من البـــريد الإلكترونـــي فيما أنا مسافرة. من الممتع أحياناً الكتابة على الدفاتر العادية. قد يفيدني هذا التغيير. سأتصل بك إذا احتجت إلى المساعدة".

"هذا أفضل. استمتعي بوقتك"، قالت ستيفي فيما عانقتها وابتسمت لها كارول.

"اعتنـــي بنفـــسك. اســـتمتعي بالإجازة"، قالت كارول فيما أخذ حمّال حقيبـــتها ودخلت إلى المطار. إنها تسافر في الدرجة الأولى. قام برد فعل متأخر فيما نظر إليها وابتسم لها بعد أن تعرّف إليها.

"حـــسناً، مـــرحبا آنسة باربر. كيف حالك اليوم؟". كان متحمساً للقاء النجمة وجهاً لوجه.

"بخيـــر، شكراً". ابتسمت له. أضاءت عيناها الخضراوان الكبيرتان وجهها.

"ذاهبة إلى باريس؟"، سألها وهو مذهول بها. كانت جميلة مثلما تبدو على الشاشة، وبدت ودودة ورقيقة وحقيقية.

"نعـم". مجـرد قـول ذلك يفيدها الآن، كما لو أن باريس تنتظرها. أعطـته بقشيـشاً كبيراً، ورفع قبعته لها، فيما هرع اثنان من بقية العتالين إليها وطلبا توقيعها. وقّعت لهما، ولوّحت لستيفي مرة أخيرة، ثم اختفت في الـرواق فـي سـروال الجينز، والمعطف الرمادي الكبير، وحقيبة السفر الكبيرة التي تحملها. كان شعرها الأشقر مربوطاً إلى الخلف على شكل ذيل حصان، ووضعت نظارتها الشمسية ما إن وصلت إلى الداخل. لم يلاحظها أحـد حـين مرّت. كانت مجرد امرأة عادية تسرع نحو رجال الأمن في طريقها إلى الطائرة. إنها تسافر في الأير فرانس. وحتى بعد مرور خمس عـشرة سنة، لا تزال ترتاح مع اللغة الفرنسية. ستتاح لها فرصة التمرن عليها في الطائرة.

غـادرت الطائـرة المطار في الوقت المحدد، وقرأت كتاباً أحضرته معها فيما شقت طريقها نحو باريس. نامت في منتصف الرحلة، ثم أيقظوها قـبل أربعين دقيقة من موعد الوصول، مثلما طلبت منهم، بحيث تسنى لها الوقت لتنظيف أسنانها، وغسل وجهها، وتمشيط شعرها، وشرب كوب من شاي الفانيلا. كانت على مقعدها، تنظر عبر النافذة حين حطّت الطائرة. إنه يـوم ممطـر من شهر نوفمبر في باريس، وخفق قلبها بقوة لمجرد رؤية المديـنة مجـدداً. لأسباب لم تكن واثقة منها، كانت تعود بالزمن في رحلة حج، وحتى بعد كل هذه السنوات، شعرت وكأنها تعود إلى منزلها مجدداً.

الفصل الثاني

كان الجناح في فندق الريتز جميلاً مثلما تمنته أن يكون. الأقمشة كلها مـن الحريـر والساتان، فيما الألوان، أزرق شاحب وذهبي خافت. لديها غرفة جلوس وغرفة نوم، ومكتب من طراز لويس الخامس عشر وضعت كمبيوتـرها علـيه. أرسلت بريداً إلكترونياً إلى ستيفي بعد عشر دقائق من وصـولها، فيما انتظرت الكرواسان وإبريق الماء الساخن. أحضرت معها مـؤونة تكفـي ثلاثة أسابيع من شاي الفانيلا الخاص بها. إنه متوافر هنا بكثـرة لأنه مصنوع أصلاً في باريس، لكنها لن تضطر بهذه الطريقة إلى الخروج وشرائه. أعطتها ستيفي إياه فيما كانت توضب حقيبتها.

قالت في البريد الإلكتروني إنها وصلت بخير، والجناح رائع والرحلة جـيدة. قالـت إنها تمطر في باريس، لكنها لا تبالي. وذكرت أنها ستطفئ جهـاز الكمبيوتر ولن تكتب لستيفي مجدداً، لفترة من الوقت أو حتى طوال الـرحلة. إذا واجهت مشكلة، ستتصل بالهاتف الخلوي بمساعدتها. فكّرت بعـد ذلك في الاتصال بولديها، لكنها قررت عدم فعل ذلك. تحب التحدث إلـيهما، لكن أصبح لهما حياتهما الخاصة الآن، وهذه الرحلة تخصها هي. إنها شيء تحتاج إليه لنفسها. لا تريد مشاركتها معهما الآن. وعرفت أنهما سيـستغربان فكـرة تجولها في أوروبا لوحدها. ثمة شيء محزن قليلاً في الأمـر، كما لو أنه ليس لديها شيء آخر لفعله، ولا أحد للتواجد معه، وهذا صحيح، لكنها مرتاحة في هذه الرحلة. أحسّت الآن أن مفتاح الكتاب الذي تُحاول تأليفه موجود هنا، أو أحد المفاتيح على الأقل. وعرفت أن ولديها قد

يقلقان عليها، إذا عرفا أنها تسافر لوحدها. في بعض الأحيان، تكون ستيفي والولدان مدركين لشهرتها أكثر منها هي. تحب كارول تجاهل الأمر.

وصل الشاي والكرواسان، وأحضرهما نادل مرتدٍ بزّة مميزة. وضع الصينية الفضية على طاولة القهوة، التي كانت مليئة أصلاً بقطع الحلويات الصغيرة، وعلبة شوكولا، ووعاء فاكهة، وقنينة شراب هدية من مدير الفندق. اعتنوا جيداً بها. لطالما أحبت الريتز. لم يتغير أي شيء. أصبح أكثر جمالاً من قبل. وقفت أمام النوافذ الفرنسية الطويلة، تنظر إلى ساحة الفاندوم تحت المطر. حطّت طائرتها في الحادية عشرة من هذا الصباح. توجهت مباشرة إلى الجمارك ووصلت إلى الفندق في الثانية عشرة والنصف ظهراً. إنها الساعة الواحدة من بعد الظهر الآن. لديها كل فترة بعد الظهر للتجول ورؤية الأماكن المألوفة تحت المطر. ما زالت لا تعرف إلى أين ستذهب بعد باريس، لكنها في الوقت الحاضر سعيدة. بدأت تفكر في أنها لن تذهب إلى أي مكان، وتبقى في باريس، وتستمتع بوقتها هنا. لا شيء أفضل من ذلك. ما زالت تعتبر باريس أجمل مدينة في العالم.

أفرغت من الحقيبة الأشياء القليلة التي أحضرتها معها، وعلّقتها في الخزانة. استحمت في المغطس الكبير والتفت بالمنشفة الوردية السميكة، ثم ارتدت ثياباً سميكة. وفي الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر، خرجت من ردهة الفندق وهي تحمل حفنة من المال في جيبها. تركت مفتاحها عند مكتب الاستقبال. فالعلاّقة النحاسية الكبيرة تجعل حمل المفتاح مزعجاً، وهي لا تحمل أبداً حقيبة يدوية حين تخرج للمشي. تسبب لها الحقيبة دوماً الكثير من المشاكل. وضعت يديها في جيبيها، ورفعت القلنسوة فوق رأسها، وأخفضت رأسها، وخرجت بهدوء من الباب الدوّار، ووضعت نظارتها الشمسية ما إن أصبحت في الخارج. تحول المطر الآن إلى رذاذ وأحست به برفق على وجهها، فيما نزلت الدرج الأمامي للريتز وتوجهت إلى ساحة الفاندوم. إنها مجرد امرأة مجهولة الهوية في باريس، تذهب في نزهة، فيما توجهت إلى ساحة الكونكورد سيراً على القدمين، وأرادت من

هناك الذهاب إلى الضفة اليسرى. إنها رحلة طويلة، لكنها مستعدة لها. للمرة الأولى منذ سنوات، تستطيع فعل ما تريده في باريس، والذهاب حيثما تريد. ليست مضطرة إلى سماع تذمر شون بشأن ذلك، أو ترفيه ولديها. ليست مضطرة إلى إرضاء أحد سوى نفسها. أدركت أن المجيء إلى هنا كان الخيار المثالي. لم تكترث حتى بمطر نوفمبر الخفيف، أو البرد في الهواء الطلق. فمعطفها السميك أبقاها دافئة، والحذاء مطاطي الكعب أبقى قدميها جافتين على الأرض الرطبة. نظرت حينها إلى السماء، وأخذت نفساً عميقاً وابتسمت. ما من مدينة مذهلة أكثر من باريس، مهما كان الطقس فيها. لطالما رأت أن السماء هنا هي الأجمل في العالم. بدت الآن مثل لؤلؤة رمادية مشرقة، فيما نظرت فوق الأسطح وهي تمشي.

مرّت أمام فندق الكريون ووصلت إلى ساحة الكونكورد، مع النوافير والتماثيل، وزحمة السير خلفها. وقفت لوقت طويل، تشبع روحها من المدينة مجدداً، ثم توجهت سيراً على القدمين نحو الضفة اليسرى، واضعة يديها في جيبيها. إنها مسرورة لأنها تركت حقيبتها اليدوية في الفندق. كان حملها سيزعجها. تشعر بحرية أكبر هكذا. وكل ما تحتاج إليه معها هو كمية كافية من المال لدفعها للتاكسي ليعيدها إلى الفندق، إذا وصلت إلى مكان بعيد جداً عن الفندق وكانت متعبة جداً للعودة سيراً على القدمين.

تحب كارول التجول في باريس. لطالما فعلت ذلك، حتى عندما كان الولدان صغيرين. لقد اصطحبتهما في كل أنحاء باريس، إلى كل التماثيل والمتاحف، للعب في غابة بولونيا، والتويلري، والباغاتيل، وحدائق اللوكسمبورغ. أحبت كثيراً السنوات التي أمضتها هنا، على الرغم من أن كلويه تتذكر القليل منها وأن أنطوني سَعِد بالعودة إلى المنزل. اشتاق إلى البايسبول والهامبرغر والميلكشايك، والتلفزيون الأميركي، ومشاهدة السوبر بول. في النهاية، صعُب إقناع أنطوني بأن الحياة أكثر إثارة في باريس. فهي ليست كذلك بالنسبة إليه، على الرغم من أن الولدين تعلما الفرنسية، وكذلك فعلت هي. لا يزال أنطوني يتحدث القليل منها، فيما كلويه لم تعد

تعرف شيئاً على الإطلاق، وسُرّت كارول حين وجدت على الطائرة أنها لا تزال تتدبر أمرها جيداً. نادراً ما تتاح لها فرصة التحدث بالفرنسية. علّمت نفسها اللغة حين عاشوا هنا، وأصبحت تتحدثها بطلاقة. لم تعد كذلك الآن، لكنها لا تزال تتحدثها جيداً، مع الأخطاء المتوقعة في التذكير والتأنيث التي يرتكبها الأميركيون. يصعب على أي شخص لم يترعرع على هذه اللغة أن يتحدثها من دون أخطاء. لكن حين عاشوا هنا، أصبحت قريبة جداً من إتقان هذه اللغة، وأثارت إعجاب كل أصدقائها الفرنسيين.

اجتازت الضفة اليسرى للوصول إلى جسر ألكسندر الثالث، متجهة نحو الإنفاليد، ثم ذهبت إلى الكاي، ومرّت أمام كل تجار التحف القديمة الذين لا تزال تتذكرهم. نزلت في شارع سان بير، وشقت طريقها نحو شارع جاكوب. لقد عادت إلى هنا مثل الحمامة التي تعود إلى موطنها، ودخلت في الزقاق الصغير حيث كان منزلها. خلال الأشهر الثمانية الأولى من مكوثها في باريس، عاشوا في شقة استأجرها لهم استوديو التصوير. كانت شقة صغيرة وضيقة عليها، وعلى ولديها، ومساعدتها، والمربية، فانتقلوا أخيراً إلى الفندق لفترة وجيزة. سجّلت الولدين في مدرسة أميركية، وبعد الانتهاء من الفيلم، حين قررت الانتقال إلى باريس، عثرت على هذا المنزل، مباشرة خلف شارع جاكوب. كان مثل جوهرة صغيرة، مع فناء خاص به، وحديقة رائعة خلفه. كان المنزل كبيراً كفاية بالنسبة إليهم، وفيه الكثير من الجاذبية. كانت غرف الولدين والمربية في الطابق العلوي مع نوافذ طويلة وسقف سندي. أما غرفتها في الطابق الأول فكانت جديرة بماري أنطوانيت، مع سقف عالٍ وعملاق، ونوافذ فرنسية طويلة تطلّ على الحديقة، وأرضيات وخشبيات من القرن الثامن عشر، ومدفأة من الرخام الوردي. كان لديها مكتب وغرفة ملابس قرب غرفة نومها، مع مغطس كبير حيث كانت تستحم مع كلويه أو تسترخي فيه لوحدها. وفي الطابق الأرضي، كانت هناك غرفة جلوس مزدوجة، وغرفة طعام ومطبخ، ومدخل إلى الحديقة، حيث كانوا يأكلون الطعام في الربيع والصيف. إنه منزل جميل جداً، جرى تشييده في القرن الثامن عشر لمحظي من البلاط

أو ما شابه. لم تعرف أبداً قصته الكاملة، لكن يمكن التصور بسهولة أنه رومنسي جداً. وكان هكذا بالنسبة إليها.

عثرت على المنزل بسهولة، ودخلت إلى الفناء إذ كانت الأبواب مفتوحة. وقفت تنظر إلى نوافذ غرفتها القديمة، وتساءلت من يعيش هنا الآن، وهل هم سعداء، وهل كان المنزل جيداً لهم، وهل تحققت أحلامهم هنا. عاشت سعيدة هنا طوال سنتين، ثم أصبحت حزينة جداً في النهاية. غادرت باريس مع قلب حزين. مجرد التفكير في ذلك يجعلها تشعر بثقل المأساة الآن. الأمر أشبه بفتح باب تركته مغلقاً طوال السنوات الخمس عشرة الماضية، وتذكر الروائح والأصوات والمشاعر، وحماسة التواجد هنا مع ولديها، وإنجاز اكتشافات جديدة، وتأسيس حياة جديدة، والمغادرة أخيراً للعودة إلى الولايات المتحدة. لقد كان قراراً صعباً، وفترة حزينة بالنسبة إليها. لا تزال تتساءل أحياناً ما إذا اتخذت القرار الصحيح، وما إذا كانت الأمور ستختلف لو بقوا هنا. لكن مع وقوفها الآن هنا، تشعر نوعاً ما أنها فعلت الشيء الصحيح، لولديها على الأقل. وربما حتى لنفسها. تصعب معرفة ذلك حتى بعد مرور خمس عشرة سنة.

أدركت الآن أن هذا هو سبب قدومها. لتصوّر الأمر مجدداً والتأكد من أنها كانت محقة. حين تعرف ذلك، في قرارة نفسها، يصبح لديها بعض الأجوبة التي تحتاج إليها للكتاب. إنها تسافر إلى الخلف في خريطة حياتها، قبل أن تتمكن من معرفة ما حصل. حتى لو كان الكتاب خيالياً، عليها أن تعرف الحقيقة أولاً قبل أن تتمكن من حبك الحكاية التي تؤلف الكتاب عنها. عرفت أيضاً أنها تفادت هذه الأجوبة لوقت طويل، لكنها أصبحت أكثر شجاعة الآن.

خرجت ببطء من فناء المنزل ورأسها إلى الأسفل، وارتطمت برجل داخل عبر البوابة. بدا مذهولاً لرؤيتها، واعتذرت منه بالفرنسية. أومأ برأسه وتابع سيره.

تجولت كارول بعد ذلك في الضفة اليسرى، ونظرت إلى محال التحف القديمة. توقفت أمام الفرن حيث كانت تصطحب الولدين واشترت

معكرون وضعته في كيس صغير وراحت تأكل منه فيما تمشي. كانت المنطقة مليئة بالذكريات الحلوة والمرة بالنسبة إليها، التي تدافعت داخلها مثل محيط في مدّ كبير، لكن الشعور لم يكن سيئاً. عادت إليها الذكريات بقوة وأرادت فجأة العودة إلى الفندق والكتابة. عرفت الاتجاه الذي يجب أن يسلكه الكتاب الآن، ومن أين يجب أن تبدأ. أرادت كتابة المقدمة من جديد، وفيما كانت تفكر في ذلك، أوقفت سيارة أجرة. إنها تمشي منذ ثلاث ساعات تقريباً، وأصبحت الدنيا مظلمة.

أعطت السائق عنوان الريتز، وتوجها نحو الضفة اليمنى، فيما جلست هي في سيارة الأجرة تفكر في منزلها القديم والأشياء التي شاهدتها بعد ظهر اليوم حين كانت تمشي. إنها المرة الأولى التي تتجول فيها في باريس من دون هدف وتسمح لنفسها بالتفكير في مثل هذه الأمور منذ رحيلها عن المدينة. كان الأمر مختلفاً حين جاءت إلى هنا مع شون، ومدى الحزن الذي شعرت به حين جاءت لإغلاق المنزل مع ستيفي. لم تشأ التخلي عن هذا المنزل، لكن لم يكن هناك جدوى من الاحتفاظ به. لوس أنجلوس بعيدة جداً، وكانت تعمل على فيلم تلو الآخر، ولم يعد لديها أي سبب لتأتي إلى باريس. لقد انتهى هذا الفصل بالنسبة إليها. هكذا، باعت المنزل بعد سنة من رحيلها. جاءت ليومين فقط، وأخبرت ستيفي بما يجب فعله، ثم عادت إلى لوس أنجلوس. لم تتباطأ في المرة السابقة، فيما لا تملك الآن سوى الوقت بين يديها. ولم تعد الذكريات تخيفها. بعد خمس عشرة سنة، أصبحت الذكريات بعيدة جداً لتشكل لها أي أذى. أو ربما أصبحت مستعدة الآن. بعد خسارة شون، يمكنها مواجهة خسارات أخرى في حياتها. لقد علّمها شون ذلك.

ضاعت في تفكيرها فيما دخلت السيارة في نفق مباشرة قبل اللوفر، وعلقت في زحمة السير. لم تهتم لذلك. كارول غير مستعجلة للذهاب إلى أي مكان. إنها متعبة من الرحلة، ومن فارق التوقيت، ونزهتها الطويلة. تنوي تناول العشاء باكراً في غرفتها ومن ثم العمل على كتابها قبل الخلود إلى النوم.

كانت تفكر في كتابها فيما تقدمت السيارة بضعة أقدام فقط في النفق ثم توقفت نهائياً. إنها ذروة الزحمة مع عودة الأشخاص إلى منازلهم وخروج آخرين للتنزه. في هذه الساعة، تكون زحمة السير في باريس خانقة على الدوام. ألقت نظرة سريعة على السيارة الموجودة قربها فشاهدت شابين في المقعد الأمامي يضحكان ويضغطان على الزمور للسيارة الواقفة أمامهما. ثمة شاب آخر أخرج رأسه من تلك السيارة ولوّح لهما. كانوا يضحكون بشكل هستيري على شيء معين، مما جعل كارول تبتسم. بدوا مغاربة أو من شمال أفريقيا، وكانت بشرتهم سوداء بلون الشوكولا بالحليب. في المقعد الخلفي للسيارة الموجودة قربها، جلس صبي في أواخر مرحلة المراهقة، لم يكن يشاركهم الضحك. بدا عصبياً ومستاء من شيء ما، والتقت عيناه بعينيّ كارول لبرهة طويلة. بدا خائفاً، وشعرت بالأسى عليه. بقيت حركة السير جامدة في خطها فيما تقدم أخيراً رتل السيارات الموجودة قربها. ما زال الشابان في المقعد الأمامي يضحكان، وفيما ابتعدا في السيارة، قفز الشاب الجالس في الخلف من النافذة وبدأ بالركض. كانت كارول تراقبه بذهول فيما ركض إلى الخلف في النفق واختفى. وما إن اختفى، سمعت صوت انفجار سيارة في مكان ما أمامها. حين سمعت ذلك، شاهدت السيارتين حيث كان الشباب يضحكون تتحولان إلى كرتي نار وشهد النفق بكامله سلسلة انفجارات وشاهدت جدار نار يتجه صوبها. قال لها عقلها بضرورة الخروج من السيارة والركض، لكن ما إن فكرت في الكلمات، فُتح باب السيارة وأحست بنفسها تطير فوق السيارات كما لو أنه أصبح لديها فجأة جناحان. لم ترَ سوى النار حولها، واختفت السيارة التي كانت بداخلها، إذ سحقت بالانفجار مع بقية السيارات الموجودة في المكان. كان الأمر أشبه بحلم، وشاهدت السيارات والأشخاص يختفون خلفها، فيما يطير أشخاص آخرون مثلها، ثم غاصت برفق في ظلام تام.

الفصل الثالث

بقيت عشرات سيارات الإطفاء خارج النفق قرب اللوفر لساعات طويلة. تم استدعاء الشرطة وفرق مكافحة الشغب، فجاؤوا في ثياب المعركة الكاملة، مع دروع وخوذات، يحملون أسلحتهم النارية. تم إغلاق الشارع. وصلت سيارات الإسعاف ومجموعات كبيرة من المسعفين. كانت الشرطة تضبط المتفرجين والمشاة، فيما بحث خبراء المتفجرات عن متفجرات أخرى لم تنفجر بعد. داخل النفق، كانت هناك نار مستعرة فيما استمرت السيارات في الانفجار نتيجة النار، واستحال تقريباً على الناس الخروج. ملأت الجثث أرض النفق، وتلاه الناجون، والذين استطاعوا المشي أو الركض أو الزحف خرجوا من النفق فيما شعرهم وثيابهم مشتعلة. إنه كابوس حقيقي، فيما وصلت فرق الأخبار لتغطية الحدث ومقابلة الناجين. كان معظمهم في حالة صدمة. حتى الآن، لم تتحمل أي مجموعة إرهابية معروفة مسؤولية العملية، لكن بحسب الأشخاص الذين كانوا في النفق ووصفوا العملية، يتضح جلياً أنها قنبلة، وعلى الأرجح قنابل عدة.

تجاوزت الساعة منتصف الليل حين قال رجال الإطفاء والشرطة للمراسلين إنهم يعتقدون أنهم أخرجوا كل الناجين. لا تزال هناك جثث عالقة في السيارات، أو بين الحطام والركام، لكن ستمضي ساعات عدة قبل أن يتمكنوا من إخماد النار وإخراج الجثث. توفي اثنان من رجال الإطفاء في النار، وهما يحاولان إنقاذ الأشخاص، حين انفجر المزيد من السيارات وسيطر الدخان واللهب على العديد من المنقذين، وكذلك رجال الإسعاف الذين كانوا

يحاولون مساعدة الأشخاص أو يتوجهون إليهم فعلقوا في النيران. مات نساء وأطفال ورجال. كان المشهد يفوق التصور، وأُخرج العديد من الأشخاص على قيد الحياة وإنما فاقدين الوعي. تم إرسال الضحايا إلى أربع مستشفيات، حيث تم إحضار فريق طبي إضافي للمساعدة. أصبح مركزان متخصصان في الحروق مكتظين بشكل هائل، فيما تم إرسال الأشخاص المحروقين بدرجة أقل إلى وحدة خاصة في ضواحي باريس. كانت جهود الإنقاذ والمنقذين استثنائية ومتناسقة بشكل مذهل، مثلما قال أحد مراسلي الأخبار، لكن لا يسعهم فعل الكثير أمام اعتداء من هذا النوع. يُفترض أن العملية أُنجزت على يد إرهابيين، بحيث إن قوة القنابل المستخدمة حطمت أجزاء من جدران النفق. يصعب التصديق أنه يوجد ناجين حين يرى المرء السواد المخيف للدخان والنيران التي لا تزال مستعرة في النفق.

في النهاية، حطّت كارول في فجوة صغيرة في النفق، حمتها بمحض الصدفة فيما النار استمرت في التقدم. كانت واحدة من الضحايا الأوائل الذين عثر عليهم رجال الإطفاء حين دخلوا. أصيبت بجرح بليغ في وجنتها، وكسر في ذراعها، وحرق في كلا ذراعيها وقرب الجرح في وجنتها، فضلاً عن إصابة بالغة في الرأس. حين وضعوها على الحمّالة ونقلوها إلى مركز الطوارئ حيث فحصها الأطباء والمسعفون، كانت فاقدة الوعي. قيّموا إصاباتها بسرعة، وأدخلوا الأنابيب في جسمها لمساعدتها على التنفس وأرسلوها إلى مستشفى لابيتييه سالبيتريير، حيث تم تحويل أسوأ الإصابات. كانت حروقها أقل وخامة من العديد من الحروق الأخرى التي رأوها. لكن إصابتها في الرأس تهدد حياتها بالخطر. كانت في غيبوبة عميقة. فتّشوها للعثور على شيء يعرّف بها، ولم يعثروا على أي شيء. لم تكن تملك أي شيء في جيوبها، ولا حتى المال. لكن جيوبها كانت لتفرغ أصلاً بقوة تحليقها في الهواء. وحتى لو كانت تملك حقيبة، لكانت أضاعتها حين قُذفت من السيارة التي كانت فيها. إنها ضحية مجهولة الهوية، جاين دو في هجوم إرهابي في باريس. ما من شيء معها يعرّف بها، ولا حتى مفتاح غرفتها في فندق الريتز. كان جواز سفرها على مكتبها في الفندق.

تركت مسرح الحادثة في سيارة إسعاف مع ناجٍ آخر فاقد الوعي خرج من الفندق عارياً مع حروق من الدرجة الثالثة في كل جسمه. اعتنى بهما المسعفون بالطريقة نفسها، لكن بدا صعباً وصول الشخص الآخر حياً إلى مستشفى لابيتييه. مات الضحية المحروق في سيارة الإسعاف. كانت كارول لا تزال على قيد الحياة، وإن بصعوبة كبيرة، حين أدخلوها بسرعة إلى وحدة الصدمات في المستشفى. ثمة فريق جاهز ينتظر وصول أول الضحايا. وصلت أول سيارتيّ إسعاف مع جثث متفحمة.

بدت الطبيبة المسؤولة عن وحدة الصدمات متجهمة حين فحصت كارول. فالجرح في وجنة كارول جرح بالغ، فيما الحروق في ذراعيها من الدرجة الثانية، وبدا الجرح في وجنتها بسيطاً مقارنة مع بقية إصاباتها. أرسلوا وراء طبيب في التجبير لتقويم ذراعها، لكن توجب عليه الانتظار حتى الانتهاء من تقييم الضرر الحاصل في رأسها. يجب إنجاز الصور الصوتية فوراً، لكن قلبها توقف عن الخفقان قبل أن يباشروا حتى بها. عمل أفراد فريق القلب بجهد كبير لإنقاذها، ونجحوا في تشغيل قلبها مجدداً، ثم انخفض ضغط دمها بشكل مفاجئ وكبير. عمل أحد عشر شخصاً على إنقاذها، فيما تم إدخال ضحايا آخرين، لكن كارول لا تزال إحدى أسوأ الضحايا حتى الآن. جاء جرّاح أعصاب لفحصها، ونجحوا أخيراً في إجراء الصور الصوتية. قرر الطبيب التريث في إجراء الجراحة، لأن وضعها غير ثابت كفاية للصمود بعد الجراحة. نظفوا حروقها، وجرى تجبير ذراعها، وتوقفت عن التنفس لوحدها فوضعوا لها جهاز تنفس. أطلّ الصباح قبل أن تهدأ الأمور قليلاً في وحدة الصدمات، وقام جراح الأعصاب بتقييم حالتها مجدداً. همهم الأساسي هو الورم في دماغها، وبدا صعباً معرفة القوة التي رطمتها بجدار النفق أو أرضيته، أو الضرر الذي سيظهر لاحقاً إذا بقيت على قيد الحياة. لا يزال غير راغب الآن بإجراء العملية، ووافقت معه رئيسة وحدة الصدمات في المستشفى. يفضلون تفادي الجراحة، إذا أمكن، لعدم زيادة الأذى لها. كارول تتشبث بالحياة بخيط رفيع.

"هل عائلتها هنا؟"، سأل الطبيب وهو يبدو متجهماً. افترض أن أهلها يرغبون بمعرفة آخر أخبارها. معظم العائلات فعلت ذلك.

"لا عائلة. لم نعثر على بطاقة هوية معها"، شرحت له رئيسة قسم الصدمات، وأومأ الطبيب برأسه. كان هناك العديد من الضحايا مجهولي الهوية في مستشفى لابيتييه تلك الليلة. ستبحث عائلاتهم وأصدقاؤهم عنهم عاجلاً أم آجلاً، وسيتم التعرف إلى هوياتهم. الأمر غير مهم في هذه المرحلة. فهم يقدمون أفضل رعاية موجودة في المدينة، مهما كانت هوية المرضى. إنهم أجساد مزقتها قنبلة. لقد شاهد ثلاثة أولاد يموتون تلك الليلة، بعد ثوانٍ قليلة من إحضارهم إلى المستشفى، إذ كانوا جميعاً محروقين بطريقة يستحيل معها التعرف إليهم. قام الإرهابيون بشيء رهيب ومروّع. قال الجرّاح إنه سيعود للاطمئنان على كارول بعد ساعة. إنها في قسم الإنعاش من وحدة الصدمات في هذه الأثناء، وتحظى بعناية فريق كامل يسعى جاهداً لإبقائها على قيد الحياة وإبقاء أعضائها الحيوية مستقرة. إنها تتأرجح فعلياً بين الحياة والموت. والشيء الوحيد الذي بدا أنه أنقذها كان الفجوة الصغيرة التي قُذفت إليها، إذ وفّرت لها كيساً هوائياً حماها من النار. وإلا لكانت احترقت حية مثل العديد من الأشخاص الآخرين.

ذهب جرّاح الأعصاب للنوم قليلاً عند الظهر، على حمّالة في حجرة صغيرة. كانوا يعالجون اثنتين وأربعين ضحية من تفجير النفق. وفي الإجمال، قالت الشرطة في مسرح الحدث إن ثمانية وتسعين شخصاً أصيبوا، وتم إحصاء إحدى وسبعين جثة حتى الآن، ولا يزال هناك المزيد من الجثث داخل النفق. إنها ليلة طويلة وبشعة.

تفاجأ الطبيب لبقاء كارول على قيد الحياة حين عاد بعد أربع ساعات. لا تزال حالتها مستقرة، ولا يزال جهاز التنفس يساعدها، لكن صورة صوتية أخرى أظهرت أن الورم في دماغها لم يتفاقم، وهذا أمر إيجابي. بدا أن أسوأ إصابة لديها موجودة في جذع الدماغ. لقد تعرضت لإصابة محورية متفشية، مع تمزقات بسيطة نتيجة ارتجاج وخيم في

الدماغ. وما من طريقة بعد لتقييم التأثير طويل الأمد لذلك. تأثر أيضاً مخّها، الأمر الذي سيؤثر حتماً في عضلاتها وذاكرتها.

جرى تقطيب الجرح بالغ في وجنتها، وحين نظر جرّاح الأعصاب إليها قال للطبيب الذي يفحصها إنها امرأة جميلة. عرف أنه لم يرها أبداً من قبل، لكن، ثمة شيء مألوف في وجهها. قدّر أنها في الأربعين أو الخامسة والأربعين من العمر على الأكثر. تفاجأ لأن أحداً لم يأتِ للسؤال عنها. لا يزال الوقت مبكراً. إذا كانت تعيش لوحدها، قد تمرّ أيام عدة قبل أن يدرك أحدهم أنها مفقودة. لكن الأشخاص لا يبقون مجهولي الهوية إلى الأبد.

اليوم التالي كانت يوم السبت، واستمرت فرق وحدة الصدمات في العمل على مدار الساعة. تمكّن عناصرها من نقل بعض المرضى إلى وحدات أخرى في المستشفى، فيما جرى نقل البعض بواسطة سيارات الإسعاف إلى مراكز حروق خاصة. بقيت كارول بين الضحايا الأكثر حرجاً، بالإضافة إلى ضحايا أخرى مثلها في مستشفيات أخرى في باريس.

يوم الأحد أصبحت حالتها أسوأ إذ أصيبت بحمى، وكان هذا أمراً متوقعاً. جسمها في حالة صدمة، ولا تزال تناضل للحياة.

استمرت الحمى حتى يوم الثلاثاء، ثم اختفت أخيراً. تحسن الورم في دماغها قليلاً، فيما استمر الأطباء في مراقبتها عن كثب. لكنها لم تصبح قريبة من الوعي أكثر مما كانت حين أُحضرت إلى المستشفى. رأسها وذراعاها مضمّدان، وذراعها اليسرى في جبيرة. بدأ جرح وجنتها يشفي، على الرغم من أنه سيترك ندبة وراءه. لكن خوف الأطباء الأكبر بقي دماغها. تركوها مخدّرة، بسبب جهاز التنفس، لكن حتى من دون المخدر كانت ترقد في غيبوبة عميقة. ما من طريقة لتقييم مدى الضرر اللاحق بدماغها على المدى الطويل، إذا بقيت على قيد الحياة. فهي لم تخرج بعد من مرحلة الخطر.

لم يتغير أي شيء يوميّ الأربعاء والخميس، واستمرت في التشبث بالحياة بخيط رفيع. يوم الجمعة، وبعد مرور أسبوع واحد على دخولها

المستشفى، كشفت الصور الصوتية الجديدة عن تحسن طفيف، وهذا مشجع. قالت رئيسة وحدة الصدمات في المستشفى إنها جاين دو الوحيدة التي لم يتم التعرف إليها بعد. لم يأتِ أحد للسؤال عنها، وهذا غريب. أما بقية الضحايا، سواء أكانوا أحياء أو أمواتاً، فقد تم التعرف إليهم.

في اليوم نفسه، تحدثت الخادمة الصباحية التي نظفت غرفتها إلى رئيس شؤون التنظيف في فندق الريتز. قالت إن المرأة في جناح كارول لم تنم في الجناح طوال الأسبوع. لا تزال حقيبتها وجواز سفرها في الغرفة، وثيابها، لكن السرير لم يستعمل أبداً. لا شك في أنها دخلت إلى الغرفة، لكنها اختفت بعد ذلك. لم تجد منظفة الغرف أن هذا الأمر غير اعتيادي، لأن النزلاء يفعلون أحياناً أشياء غريبة، مثل استئجار غرفة أو جناح، لإقامة علاقة سرية، ثم يظهرون بشكل متقطع أو نادر، أو لا يظهرون أبداً إذا لم تحصل الأمور مثلما كان متوقعاً. الشيء الغريب الوحيد بالنسبة إليها هو أن حقيبة النزيلة لا تزال هنا، وجواز سفرها على المكتب. بدا واضحاً أن شيئاً لم يُمسّ منذ وصول النزيلة. إلا أنها أبلغت مكتب الاستقبال بذلك كمجرد تصرف شكلي. أخذوا علماً بالحادثة، لكن السيدة حجزت الغرفة لمدة أسبوعين ولديهم بطاقة اعتماد تضمن ذلك. بعد مرور فترة الحجز، قد يساورهم القلق. إنهم يدركون تماماً هويتها، وهي تنوي أصلاً عدم استعمال الغرفة ربما، وإنما إبقاءها متوافرة لغرض غير مبرر. يفعل نجوم السينما أشياء غريبة. لا بد أنها تقيم في مكان آخر. ما من سبب لربطها بالهجوم الإرهابي في النفق. لكنهم دوّنوا ملاحظة في حسابها على مكتب الاستقبال (النزيلة لم تستعمل غرفتها منذ وصولها). لا شك في أنه لن يتم إبلاغ هذه المعلومة للصحافة أو لأي شخص آخر. إنهم يعرفون هذا الأمر جيداً. وبالنسبة إلى اختفائها، إذا كان اختفاء فعلاً، قد يكون له علاقة بحياتها العاطفية، ويحتاج بالتالي إلى التكتم، وهذا أمر لا جدل حوله بالنسبة إليهم. فكما هي حال كل الفنادق الفخمة، يحتفظ المسؤولون عن الفندق بأسرار عدة، ويشكرهم نزلاؤهم على ذلك.

يوم الاثنين التالي، اتصل جايسون واترمان بستيفي. إنه زوج كارول الأول وأب ولديها. إنهما على علاقة جيدة، لكنهما لا يتحادثان غالباً. أخبر ستيفي أنه حاول طوال أسبوع كامل الاتصال بكارول على هاتفها الخلوي، ولم يحصل على أي جواب من الرسائل التي تركها لها. ولم يحالفه الحظ أيضاً عندما حاول الاتصال بمنزلها في نهاية الأسبوع.

"إنها مسافرة"، شرحت ستيفي. التقت به مرات عدة، وكان دوماً لطيفاً معها. عرفت أن كارول بقيت على علاقة جيدة به، بسبب ولديهما. إنهما مطلّقان منذ ثماني عشرة سنة، على الرغم من أن ستيفي لم تعرف أبداً التفاصيل. إنه أحد الأمور القليلة التي لم تناقشها كارول معها. عرفت فقط أنهما تطلقا حين كانت كارول تصوّر فيلماً في باريس قبل ثماني عشرة سنة، وبقيت في باريس لمدة سنتين بعد ذلك، مع الولدين.

"هاتفها الخلوي معها، وهو لا يعمل حين تكون مسافرة. غادرت قبل أسبوعين تقريباً. يفترض أن أسمع أخبارها قريباً". لم تسمع ستيفي أخبارها منذ الصباح الذي وصلت فيه إلى باريس، قبل عشرة أيام، لكن كارول حذرتها من عدم الاتصال بها. افترضت ستيفي أنها تتجول في مكان ما، أو تكتب، ولا تريد أن يزعجها أحد. لا تفكر ستيفي أبداً في إزعاجها، وانتظرت حتى تتصل كارول بها حين تصبح جاهزة.

"هل تعرفين أين هي؟". بدا قلقاً.

"ليس تماماً. انطلقت من باريس، لكنها ستسافر قليلاً لوحدها". تساءل ما إذا كانت تقيم علاقة عاطفية جديدة، لكنه لم يشأ السؤال. هكذا رأى الأمور. "هل من مشكلة؟". تساءلت ستيفي فجأة عن حال الولدين. تريد كارول أن تعرف فوراً ما إذا حصل شيء لولديها.

"لا، ليس الأمر مهماً. أحاول التخطيط لذكرى الميلاد. أعرف أنهما ينويان قضاء مناسبة الشكر معها، لكنني لست واثقاً من مشاريعها لذكرى الميلاد. تحدثت إلى أنطوني وكلويه، ولا يعرفان هما أيضاً. عرض عليّ أحدهم منزلاً في سان بارتس لقضاء سهرة رأس السنة، ولا أريد أن أفسد

لها مشاريعها معهما". خصوصاً الآن، بعد رحيل شون، أصبحت العطلات مع ولديها تعني لها أكثر من أي وقت مضى. وكان جايسون دوماً لطيفاً في هذا الخصوص. عرفت ستيفي أنه تزوج مجدداً لفترة قصيرة وأنجب ولدين آخرين، يعيشان الآن في هونغ كونغ مع أمهما وأصبحا في عمر المراهقة. ذكرت كارول أنه لا يراهما غالباً، وإنما مرتين فقط في السنة. إنه أقرب إلى ولديه من كارول وأقرب إليها هي من قربه إلى مطلّقته الثانية.

"سأقول لها أن تتصل بك ما إن أسمع أخبارها. لا يفترض أن يطول الأمر. أتوقع سماع أخبارها في أي وقت".

"أتمنى أنها لم تكن في باريس حين انفجرت تلك القنبلة في النفق. كم كانت الفوضى كبيرة". طغى الخبر على كل نشرات الأخبار في الولايات المتحدة، وتبنت مجموعة أصولية متطرفة العملية أخيراً معلنة مسؤوليتها، الأمر الذي أحدث احتجاجاً عنيفاً في العالم العربي أيضاً إذ لم يشأ أن يكون له علاقة بمنفذي الهجوم.

"كان الأمر مريعاً فعلاً. شاهدته في الأخبار. قلقت عليها في البداية، لكن الانفجار حصل يوم وصولها. أنا واثقة من أنها كانت نائمة في الفندق تلك الليلة بعد الرحلة، ولم تكن أبداً في مكان قريب منه". فالسفر لمسافات طويلة يضنيها عادة، وتمكث غالباً في غرفتها وتنام في الفندق يوم وصولها.

"هل حاولت إرسال بريد إلكتروني لها؟"، سأل جايسون.

"جهاز الكمبيوتر خاصتها مطفأ. أرادت فعلاً بعض الوقت لنفسها"، أجابت ستيفي بطبيعية.

"أين تمكث؟"، سأل وهو يبدو قلقاً. بدأ يزعج ستيفي أيضاً. فكرت هي أيضاً في الموضوع، لكنها قالت لنفسها إن القلق سخيف فعلاً. إنها واثقة من أن كارول بخير، لكن قلق جايسون كان معدياً.

"في فندق الريتز"، قالت ستيفي بسرعة.

"سأتصل بها وأترك لها رسالة".

"إنها مسافرة ربما، ولذلك قد لا تحصل على جواب قبل يومين. لست قلقة كثيراً".

"لن يضير ترك رسالة لها. بالإضافة إلى ذلك، أريد أن أعرف الجواب بشأن هذا المنزل وإلا أخسره. وأنا لا أريد أخذه إلا إذا أراد الولدان المجيء. قد يكون الأمر ممتعاً لهما".

"سأبلغها إذا اتصلت بي"، طمأنته ستيفي.

"سأرى ما إذا كنت أستطيع الاتصال بها في الريتز. شكراً". أغلق السماعة حينها، وجلست ستيفي أمام مكتبها تفكر في الأمر. بدا لها أمراً مستبعداً حصول شيء لكارول، ولذلك كانت ستيفي مصممة على عدم القلق. ما هو احتمال وجودها في الهجوم الإرهابي؟ واحد على مئة مليون تقريباً. أبعدت ستيفي الفكرة عن رأسها فيما عادت للعمل على مشروع كانت تنجزه، ألا وهو جمع المعلومات لكارول لمشروع متعلق بحقوق المرأة. ومع وجود كارول بعيداً، تعتبر ستيفي الفرصة سانحة لكي تعمل. والبحث الذي تنجزه متعلق بخطاب ستلقيه كارول أمام الأمم المتحدة.

ما إن أقفل السماعة، اتصل جايسون بفندق الريتز في باريس وطلب غرفة كارول. وضعوه قيد الانتظار، فيما اتصلوا بغرفتها لإبلاغها بالاتصال. تطلب دوماً مراقبة اتصالاتها أياً كان الفندق الذي تنزل فيه. عادوا إليه مجدداً وقالوا له إنها غير موجودة في غرفتها، وحولوه إلى مكتب الاستعلامات، وهذا أمر غير مألوف. قرر البقاء على الخط لمعرفة ما سيقولونه. طلب منه موظف الاستقبال الانتظار لبرهة، ثم ردّ عليه مساعد مدير بلكنة بريطانية وسأل جايسون عن هويته. ازداد الاتصال غرابة أكثر فأكثر، ولم يعجبه الأمر.

"اسمي جايسون واترمان، وأنا الزوج السابق للسيدة باربر. وأنا زبون قديم لفندق الريتز. هل من خطب ما؟". بدأ يشعر بألم وانزعاج في معدته، ولم يكن واثقاً من السبب. "هل السيدة باربر بخير؟".

"أنا واثق من أنها بخير سيدي، لكننا تلقينا ملاحظة من مسؤولة التنظيفات بشأن غرفتها. تحدث مثل هذه الأمور، وقد تكون السيدة مسافرة أو تمكث فعلياً في مكان آخر. لكنها لم تستعمل غرفتها منذ أن جاءت إلى الفندق. أنا لا أذكر هذا الأمر عادة، لكن عاملة التنظيفات كانت مشغولة البال. يبدو أن كل أشيائها لا تزال هناك، وكذلك حقيبتها وجواز سفرها موجودان على المكتب. ما من دليل على أي نشاط في الغرفة منذ أسبوعين تقريباً". تحدث بصوت هادئ، كما لو أنه يفشي سراً.

"اللعنة!"، قال جايسون بعصبية. "هل رآها أحدهم؟".

"ليس بحسب علمي، سيدي. هل من شخص تودّ منا أن نتصل به؟".

هذا أمر غير مألوف البتة. ففنادق مثل الريتز لا تخبر الأشخاص الذين يتصلون أن النزيل الذي يطلبونه لم يستعمل غرفته منذ أسبوعين. عرف جايسون أنهم قلقون هم أيضاً.

"نعم"، أجابه جايسون على سؤاله. "قد يبدو هذا جنوناً، لكن هل يمكنكم التحقق مع الشرطة والمستشفيات التي تم نقل ضحايا تفجير النفق إليها، والتأكد من عدم وجود ضحايا مجهولي الهوية، سواء أكانوا أحياء أو أمواتاً". شعر بالقرف لقوله ذلك، لكنه قلق فجأة عليها. لا يزال يحبها، ولطالما أحبها. إنها أم ولديه، وهما بمثابة صديقين جيدين. يأمل فقط ألا يكون حصل لها شيء مريع. وإذا لم يكن هجوم النفق مسؤولاً عن اختفائها، لا يملك فكرة عن احتمال مكان وجودها. ستيفي تعرف أكثر منه ربما، ولا تريد أن تفشي الأسرار. إنها تلتقي ربما برجل ما في باريس، أو في مكان آخر في أوروبا. فهي في النهاية عازبة مجدداً بعد موت شون. لكن لماذا لم تستعمل غرفتها، أو على الأقل لم تأخذ جواز سفرها وحقيبة يدها؟ قال لنفسه إن مثل هذه الأمور لا تحصل. لكنها تحصل أحياناً. أمل في أن تكون مختبئة في مكان ما، مشغولة بتأليف كتاب رومنسي جديد، وليس في مستشفى، أو أسوأ. "هل تمانعون إذا أجريتم الاتصالات؟"، سأل مساعد المدير الذي أجابه فوراً بأنه سيفعل.

"هلا تركت لنا رقم هاتفك سيدي؟". أعطاه جايسون الرقم. إنها الساعة الواحدة بعد الظهر في نيويورك، ونحو السابعة مساء في باريس. لم يتوقع سماع أي خبر منه قبل اليوم التالي. أقفل السماعة، وهو يشعر بعدم الارتياح، وجلس في مكتبه يحدق إلى الهاتف لوقت طويل ويفكر فيها. بعد عشرين دقيقة، أخبرته سكرتيرته أن فندق الريتز في باريس على الخط. إنه الصوت البريطاني نفسه الذي تحدث إليه من قبل.

"نعم؟ هل عثرتم على أي شيء؟"، سأل جايسون، وهو يبدو متوتراً.

"أعتقد ذلك سيدي، على الرغم من أنها قد لا تكون هي. ثمة ضحية من الانفجار تم أخذها إلى مستشفى لابيتييه سالبيتريير. إنها شقراء وعمرها أربعين إلى خمس وأربعين سنة تقريباً. إنها مجهولة الهوية ولم يسأل عنها أحد". جعلها تبدو وكأنها أضاعت أمتعتها، وكان صوت جايسون منخفضاً جداً حين تحدث.

"هل هي على قيد الحياة؟". ذُعر من سماع الجواب.

"إنها في وحدة العناية الفائقة، في وضع حرج جداً مع إصابة في الرأس. إنها الضحية الوحيدة مجهولة الهوية التي بقيت حتى الآن. تعاني أيضاً من كسر في ذراعيها وحروق من الدرجة الثانية". شعر جايسون بالغثيان فيما أصغى. "إنها في غيبوبة، ولذلك لم يتمكنوا من التعرف إلى هويتها. ما من سبب للاعتقاد بأنها السيدة باربر سيدي. أظن أنهم كانوا ليتعرفوا إليها حتى في فرنسا، لأنها مشهورة عالمياً. هذه المرأة فرنسية على الأرجح".

"ليس بالضرورة. قد يكون وجهها محروقاً. أو ربما لم يتوقعوا رؤيتها هناك. أو ربما ليست هي. أطلب من الله ألا تكون هي". بدا جايسون على وشك البكاء.

"وأنا أيضاً"، قال مساعد المدير بصوت خافت. "ما الذي تريد مني فعله سيدي؟ هل يجدر بي إرسال أحد من الفندق لإلقاء نظرة؟".

"سآتي بنفسي. أستطيع اللحاق بطائرة الساعة السادسة عصراً بحيث أصل إلى باريس نحو السابعة صباحاً، وإلى المستشفى في الثامنة والنصف من صباح غد. هلا حجزت لي غرفة؟". كانت الأفكار تتسابق في رأسه. تمنى لو

أنه يستطيع الوصول إلى هناك في وقت أسرع، لكنه عرف أنه لا توجد رحلة قبل ذلك. إنه يذهب غالباً إلى باريس، ويعتمد دوماً هذه الرحلة.

"سأتولى الأمر سيدي. أتمنى فعلاً ألا تكون السيدة باربر".

"شكراً. أراك غداً". جلس جايسون حينها إلى مكتبه وهو يشعر بالذهول. هذا مستحيل. لا يمكن أن يحصل هذا لها. الأمر يتخطى التفكير. لم يعرف ما يجب فعله، ولذلك عاود الاتصال بستيفي في لوس أنجلوس وأخبرها بما سمعه من مساعد المدير في الريتز.

"يا الله! قل لي إنها ليست كارول"، قالت ستيفي بصوت مختنق.

"أتمنى ألا تكون هي. سأذهب للتحقق بنفسي. إذا سمعت أخبارها، اتصلي بي. ولا تقولي أي شيء للولدين إذا اتصلا. سأقول لأنطوني إنني ذاهب إلى شيكاغو أو بوسطن أو أي مكان آخر. لا أريد إخبارهما أي شيء قبل أن نتأكد"، قال لها جايسون بصرامة.

"سأذهب أنا أيضاً"، قالت ستيفي وهي تبدو مذعورة. فآخر مكان تريد التواجد فيه الآن هو لوس أنجلوس. من جهة أخرى، إذا كانت كارول بخير، ستظن كارول أنهما مجنونان حين تراهما هي وجايسون واصلين إلى باريس فيما هي عائدة إلى الريتز من بودابست، أو فيينا، أو أي مكان آخر. إنها بخير ربما، وتتجول في مكان ما في أوروبا، وتقضي وقتاً جيداً، من دون أن يكون لديها فكرة بأن أحدهم قلق عليها.

"لماذا لا تنتظرين حتى أذهب بنفسي لمعرفة ما يحصل هناك. الرجل في الفندق محق. فقد لا تكون هي. لو كانت هي، لكانوا تعرفوا إليها".

"لا أعرف. تبدو بسيطة جداً من دون ماكياج وشعر مصفف. ولا يتوقعون ربما رؤية نجمة أميركية في وحدة الصدمات في باريس. لم يخطر الأمر ببالهم ربما". تساءلت ستيفي أيضاً ما إذا كان وجهها محروقاً، مما يبرر سبب عدم تعرفهم إليها.

"لا يمكن أن يكونوا بهذا الغباء، بحق الله. إنها واحدة من أشهر النجمات السينمائيات في العالم، حتى في فرنسا"، قاطعها جايسون.

"أظن أنك محق"، قالت ستيفي وهي تبدو غير مقتنعة. لكنه لم يكن مقتنعاً هو أيضاً وإلا لما كان ذهب إلى هناك. إنهما يحاولان فقط طمأنة بعضهما، من دون أن ينجحا كثيراً.

"لن أصل إلى هناك قبل العاشرة ليلاً بتوقيتك"، قال جايسون لستيفي، "ولن أعرف أي شيء ربما قبل مرور ساعتين على وصولي. سأتوجه مباشرة من المطار إلى المستشفى وأراها ما إن أستطيع ذلك. لكن الساعة قد تقارب منتصف الليل حينها عندك".

"اتصل بي على أي حال. سأبقى مستيقظة، وإذا نمت، سأبقي هاتفي الخلوي في يدي". أعطته الرقم، ودوّنه، ثم وعدها بالاتصال بها حين يصل إلى المستشفى في باريس. بعد ذلك، طلب من سكرتيرته أن تلغي له كل مواعيده لبعد ظهر ذاك اليوم واليوم التالي. أخبرها بما سيفعله، لكنه حذرها من ذكر الأمر أمام ولديه. التبرير الرسمي هو أنه اضطر إلى الذهاب إلى اجتماع طارئ في شيكاغو. وبعد خمس دقائق، غادر مكتبه وأوقف سيارة أجرة. وصل إلى شقته في أعلى الجهة الشرقية بعد عشرين دقيقة، ووضب ثيابه في حقيبة. إنها الساعة الثانية بعد الظهر، وعليه مغادرة المدينة في الساعة الثالثة بعد الظهر للحاق بطائرة الساعة السادسة عصراً.

عانى من صراع كبير خلال الساعة التالية فيما انتظر للمغادرة. وأصبح الأمر أسوأ عند وصوله إلى المطار. ثمة شيء مذهل في كل ذلك، فهو ذاهب لرؤية امرأة في غيبوبة في مستشفى في باريس، ويدعو كي لا تكون زوجته السابقة. إنهما مطلقان منذ ثماني عشرة سنةً، وقد عرف خلال السنوات الأربع عشرةَ الماضية أن تركها كان أكبر خطأ ارتكبه في حياته. فقد تركها من أجل عارضة روسية في الحادية والعشرين من عمرها، تبين أنها أكبر امرأة انتهازية في العالم. عشقها بجنون في ذلك الوقت. كانت كارول في ذروة مهنتها، تصور فيلمين أو ثلاثة أفلام في السنة. كانت تتواجد دوماً في مكان ما للتصوير أو الترويج لفيلم. وكان هو فائق البراعة في وول ستريت حينها، لكن نجاحه بسيط جداً مقارنة بنجاحها

هي. نالت جائزتي أوسكار في السنتين اللتين سبقتا هجرها، وأثّر ذلك فيه. كانت زوجة جيدة، لكنه أدرك لاحقاً أن أنانيته هشة جداً لتحمل هذا النوع من المنافسة. احتاج إلى الإحساس بأنه شخص مهم هو أيضاً، ولم يفلح أبداً في ذلك في وجه نجومية كارول. هكذا، وقع في غرام ناتاليا، التي بدت أنها تعشقه، ثم أخذت منه كل أمواله وتركته من أجل شخص آخر.

العارضة الروسية هي أسوأ أمر حصل لهما، أو على الأقل له هو. كانت جميلة جداً، وحملت بعد أسابيع قليلة على بداية علاقتهما. ترك كارول من أجلها وتزوج بناتاليا قبل أن يجف الحبر على ورقة الطلاق. أنجبت طفلاً آخر في السنة التي تلت، ثم تركته من أجل رجل يملك مالاً أكثر من جايسون في ذلك الوقت. عادت وتزوجت مرتين بعد ذلك، وهي تعيش الآن في هونغ كونغ بعد زواجها بأحد أهم الرأسماليين في العالم. بالكاد يعرف جايسون ابنتيه. إنهما جميلتان مثل أمهما، لكنهما تبدوان غريبتين بالنسبة إليه، على الرغم من أنه يزورهما مرتين في السنة. لا تسمح لهما ناتاليا بالمجيء إلى الولايات المتحدة لزيارته، ولم تفرض محكمة نيويورك عليها هذا الأمر أبداً. إنها فاسقة بكل معنى الكلمة، وأفلسته تماماً خلال مرحلة الطلاق، بعد سنة من عودة كارول والولدين من باريس وانتقالهما إلى لوس أنجلوس. على الرغم من أن كارول عاشت معه في نيويورك حين كانا متزوجين، قررت الانتقال إلى لوس أنجلوس. عملها هناك، وبدا الأمر مثل انطلاقة جديدة بعد باريس. بعدما تركته ناتاليا، حاول العودة مجدداً إلى كارول، لكن الوقت كان قد فات. لم تعد تريد أي شيء له علاقة به. كان في الواحدة والأربعين حين وقع في غرام ناتاليا، وعاش أزمة مجنونة في منتصف العمر. وفي الخامسة والأربعين، حين أدرك الخطأ الذي ارتكبه والفوضى التي أحدثها في حياته وحياة كارول، كان الوقت قد فات. أخبرته أن الأمر انتهى بالنسبة إليها.

احتاجت إلى سبع سنوات لتغفر له، ولم يصبحا صديقين مجدداً إلا بعد زواجها بشون. أصبحت سعيدة أخيراً. ولم يتزوج جايسون أبداً من

جديـــد. فـــي عمر الخامسة والتسعين، أصبح رجلاً ناجحاً ووحيداً، ويعتبر كـــارول أحـــد أفضل أصدقائه. لن ينسى أبداً في حياته مظهر وجهها حين أخبرها أنه سيتركها، قبل ثماني عشرة سنة. بدت وكأنه أطلق النار عليها. عـــاش تلك اللحظة آلاف المرات بعدها، وعرف أنه لن يسامح نفسه أبداً. كـــل ما يريده الآن هو أن تكون بخير وعلى قيد الحياة، وليس مستلقية في مستـــشفى في باريس. حين ركب الطائرة تلك الليلة، عرف أنه يحبها أكثر من أي شيء آخر. دعا لأجلها في أثناء الرحلة، وهذا أمر لم يفعله منذ أن كـــان ولداً صغيراً. أراد ألا تكون كارول هي المرأة المستلقية في مستشفى باريس. وإذا كانت هي، دعا أن تبقى على قيد الحياة.

بقـــي جايسون مستيقظاً طوال الرحلة وهو يفكر فيها. تذكر حين ولد أنطونـــي، ومن ثم كلويه... ويوم التقاها... كم كانت جميلة في عمر الثانية والعشرين، ولا تزال حتى الآن، بعد ثمانٍ وعشرين سنةً. أمضيا معاً عشر ســـنوات رائعـــة، إلى أن وقع في غرام ناتاليا. لا يستطيع حتى أن يتخيل كـــيف كـــان وقع الخبر على كارول. كانت تصور فيلماً سينمائياً مهماً في باريس حين جاء إليها وأخبرها. كانت رحلة مسائية مثل اليوم، وكان آنذاك في مهمة لإنهاء زواجهما كي يتمكن من الزواج بناتاليا. وهو يدعو الآن أن تكون على قيد الحياة. بدا مرهقاً وقلقاً فيما حطّت الطائرة تحت المطر في مطار شارل ديغول في باريس مباشرة قبل السابعة صباحاً بتوقيت باريس، إذ وصـــلت الـــرحلة قبل دقائق قليلة من موعدها المحدد. أمسك جايسون جـــواز سفره في يده حين حطّت الطائرة. لم يعد يستطيع تحمل المزيد من التـــشويق. كل ما يريده هو الذهاب إلى المستشفى بأسرع ما يمكن ورؤية ضحية التفجير مجهولة الهوية بنفسه.

الفصل الرابع

لم يحضر معه جايسون إلى باريس أكثر من حقيبة عمله وحقيبة صغيرة للثياب. أمل في إلهاء نفسه في العمل على الطائرة، لكنه لم يفتح أبداً حقيبته ولم يستطع التركيز على أوراقه. كل ما فكر فيه تلك الليلة كان زوجته السابقة.

حطّـــت الطائرة في الساعة السادسة والدقيقة الإحدى والخمسين صباحاً بتوقـــيت باريس وتوقفت على مدرج بعيد. نزل الركاب على سلم الطائرة تحت المطـــر الغزير وتوجهوا إلى باص كان في انتظارهم، ثم ساروا نحو المحطة، فيما انتظر جايسون بتململ وهو يرغب بالخروج إلى المدينة بأسرع ما يمكن. وبمـــا أنـــه لا تـــوجد أي حقائب لانتظارها، ركب في سيارة أجرة في الساعة الـــسابعة والنـــصف صباحاً وطلب من السائق بلغة فرنسية مستعجلة أخذه إلى مستـــشفى لابيتييه سالبيترييير، حيث توجد المرأة مجهولة الهوية. عرف أنه يقع في بولفار المستشفى، في الدائرة الثالثة عشرة، ودوّن العنوان على ورقة تفادياً للوقـــوع فـــي أي خطأ. سلّم قصاصة الورق إلى سائق التاكسي الذي أومأ له وقال: "جيد. فهمت" بلكنة فرنسية ثقيلة، ليست أفضل من فرنسية جايسون.

اســـتغرقت الرحلة إلى المستشفى قرابة الساعة، فيما تململ جايسون فـــي المقعـــد الخلفـــي وهو يقول لنفسه إن المرأة التي سيراها قد لا تكون كارول وينتهي بتناول الفطور في فندق الريتز، ويلاقيها حين تعود. عرف كـــم أصـــبحت مستقلة الآن. لطالما كانت كذلك، لكنها أصبحت الآن أكثر اســـتقلالية بعد موت شون. عرف أنها تسافر كثيراً للمشاركة في مؤتمرات عالمية حول حقوق النساء، وشاركت في مهام عدة مع مجموعات من الأمم

المتحدة. لكنه لا يملك فكرة عما تقوم به في فرنسا. على أي حال، أمل ألا يكـون القـدر أخـذها إلى مكان ما قريب من النفق لحظة وقوع التفجير الإرهابـي. يأمل أنها كانت في مكان آخر. لكن لو كان الأمر كذلك، ماذا يفعل جواز سفرها وحقيبة يدها على مكتبها في فندق الريتز؟ لماذا خرجت من دونهما؟ إذا حصل أي شيء لها، لن يعرف أحد من تكون.

عـرف كـم تحب الحفاظ على هويتها مجهولة والقدرة على التجول بحرية من دون أن يتعرف إليها أحد. الأمر أسهل عليها في باريس، ولكن لـيس كثيـراً. كارول باربر معروفة في كل مكان في العالم، وهذا الشيء الوحيد الذي شجعه على الاعتقاد بأن المرأة في مستشفى لابيتييه سالبيتريير ليست هي. كيف لم يتعرفوا إلى وجهها؟ هذا أمر غير ممكن إلا إذا حصل شيء جعل من الصعب التعرف إليها. خطرت ألف فكرة في رأسه إلى أن توقفت سيارة الأجرة أخيراً أمام المستشفى. دفع جايسون الأجرة مع بقشيش مهـم، وخرج من السيارة. بدا تماماً كما هو، رجل أعمال أميركي مميز. كـان يـرتدي بـزّة إنكليزية رمادية داكنة، ومعطفاً من الكاشمير الكحلي، وساعة ذهبية باهظة جداً. لا يزال رجلاً وسيماً في التاسعة والخمسين.

"شكراً"، صرخ له سائق سيارة الأجرة من النافذة، ورفع له إبهامه لشكره علـى البقـشيش الجـيد. "حظاً موفقاً". تمنى له الحظ. فمظهر وجه جايسون واتـرمان يوحـي بأنه يحتاج فعلاً إلى الحظ. لا يتوجه الناس عادة من المطار إلـى المستـشفى مباشرة، خصوصاً هذه المستشفى، إلا إذا حصل أمر سيئ. استطاع السائق تصور ذلك. وأخبرته عينا جايسون ووجهه المرهق بالبقية. بدا وكأنه بحاجة إلى الحلاقة والاستحمام والراحة. لكن ليس الآن.

دخل جايسون بسرعة إلى المستشفى وهو يحمل حقيبته، على أمل إيجاد شخص يتحدث الإنكليزية لمساعدته. أعطاه مساعد المدير في فندق الريتز اسم المـسؤولة عن وحدة الصدمات، وتوقف جايسون للتحدث إلى امرأة شابة أمام مكـتب الاسـتقبال، وأعطاها قصاصة الورقة حيث كتب اسمها. أجابت بلغة فرنسية سريعة، وأفهمها جايسون أنه لا يفهم الفرنسية ولا يتحدثها. أشارت إلى

المـصعد الموجـود خلفهـا ورفعت ثلاث أصابع وقالت: "الطابق الثالث". ثم أضـافت: "وحدة الإنعاش". ليس هذا جيداً برأيه. إنه المصطلح الفرنسي لوحدة العـناية الفائقـة. شـكرها جايسون وتوجّه إلى المصعد بخطى سريعة. أراد الانتهاء من هذا. فهو يشعر بتوتر كبير وبدأ قلبه يخفق بقوة. لم يكن هناك أحد فـي المـصعد معه، وحين وصل إلى الطابق الثالث نظر من حوله وبدا تائهاً. ثمـة لافـتة كـتب عليها الإنعاش. توجه نحو اللافتة وتذكر كل كلمة قالتها له الـشابة فـي الأسـفل، ووجد نفسه أمام مكتب قسم مشغول جداً، حيث الجهاز الطبـي يهرول في كل مكان، والمرضى مستلقون من دون حراك على أسرّة حـول الغـرفة. ثمـة آلات تـصفر وتـئن، وأجهزة مراقبة تصدر أصواتاً، وأشخاص يتأوهون، ورائحة المستشفى قلبت معدته بعد الرحلة الطويلة.

"هل يتحدث أحدكم الإنكليزية؟"، سأل بصوت حازم، فيما بقيت المرأة التـي تحدث إليها من دون رد فعل. "الإنكليزية، هل تتحدثون الإنكليزية؟"، قال لهم بالفرنسية.

"إنكليييييـزي... دقيقة واحدة..." تحدثت مزيجاً من الفرنسية والإنكليزية وذهـبت لإحـضار شخص له. ظهرت طبيبة مع معطف أبيض، امرأة شابة ترتدي زيّ المستشفى مع قلنسوة على رأسها وسماعة حول عنقها. كانت بعمر جايسون تقريباً، وتتحدث لغة إنكليزية جيدة، مما بعث الارتياح في نفسه. خشي فجأة ألا يفهم أحد ما قاله، أو الأسوأ، ألا يفهمهم هو.

"هـل أسـتطيع مساعدتك؟"، سألت بصوت واضح. سألها عن المرأة المـسؤولة عن وحدة الصدمات، وقالت الطبيبة المناوبة إنها غير موجودة الآن لكنها عرضت عليه المساعدة. شرح لها جايسون سبب مجيئه، ونسي إضافة كلمة السابقة قبل كلمة زوجتي.

نظـرت إليه بتمعن. كان حسن المظهر وبدا رجلاً محترماً. وبدا قلقاً جداً. خشي أن يبدو مثل المجنون، فشرح لها أنه وصل للتو من رحلة من نـيويورك. لكـنها بـدت متفهمة. شرح لها أن زوجته اختفت من الفندق، وخشي أن تكون هي جاين دو الموجودة عندهم.

"منذ متى؟".

"لست أكيداً. كنت في نيويورك. وصلت يوم حصول التفجير الإرهابي في النفق. لم يرها أحد منذ ذلك الحين، ولم تعد أبداً إلى الفندق".

"حصل هذا قبل أسبوعين تقريباً"، قالت له كما لو أنها تتساءل لماذا احتاج إلى كل هذا الوقت لمعرفة اختفاء زوجته. أصبح الوقت متأخراً جداً ليشرح لها أنهما مطلقان، لأنه قال لها إنها زوجته، وهذا أفضل ربما. ليس واثقاً من حقوق الأزواج السابقين في فرنسا، ولا يعرف ما إذا كانت مثل أي مكان آخر.

"كانت مسافرة، وقد لا تكون هذه المرأة هي. آمل ألا تكون هي. جئت لأتأكد". بدت أنها وافقت على ذلك وأومأت له برأسها. قالت شيئاً للممرضة الجالسة إلى المكتب فأشارت إلى غرفة ذات باب مغلق.

طلبت الطبيبة من جايسون اللحاق بها، وهذا ما فعله. فتحت باب الغرفة، ولم يستطع رؤية المريضة في السرير. كانت محاطة بالآلات، وهناك ممرضتان واقفتان قربها، تحجبان الرؤية أمامه. استطاع سماع هدير جهاز التنفس وأنين الآلات. بدا وكأنه يوجد طن من المعدات في الغرفة التي أدخلته إليها الطبيبة. شعر فجأة وكأنه متطفل، مختلس طبي. سيرى امرأة قد لا تكون شخصاً يعرفه. لكن عليه رؤيتها. عليه التأكد من أنها ليست كارول. إنه يدين بهذا لها، ولولديه، حتى لو بدا الأمر جنوناً. بدا الأمر مثل أقصى درجات الخوف، أو مجرد الشعور بالذنب. مشى خلف الطبيبة، وشاهد امرأة جامدة مستلقية هناك، مع جهاز تنفس في فمها، وشريط لاصق على أنفها، ورأسها محني إلى الخلف. كانت جامدة تماماً، ووجهها شاحب كثيراً. بدت العصابة على رأسها كبيرة جداً، مع عصابة أخرى على وجهها، وجبيرة على ذراعها. ومن المكان الذي نظر فيه إليها، صعُب عليه رؤية وجهها. تقدم خطوة أخرى إلى الأمام للنظر بصورة أفضل ثم حبس أنفاسه وامتلأت عيناه بالدموع. إنها كارول.

لقد أصبح أسوأ كابوس لديه حقيقة فعلية. تقدم أكثر نحوها، ولمس أصابعها الخارجة من الجبيرة، وكانت زرقاء وسوداء. لم يتحرك أي

شيء. إنها في عالم آخر، عالم بعيد عنهم، وبدت كأنها لن تعود أبداً. انهمرت الدموع على وجنتيه فيما وقف ونظر إليها. لقد حصل الأسوأ. إنها الضحية المجهولة في انفجار النفق. المرأة التي أحبها ذات مرة ولا يزال يحبها تكافح من أجل حياتها في باريس، وهي هنا، لوحدها، منذ أسبوعين تقريباً، فيما لم يخطر ببال أي منهم ما حصل لها. بدا جايسون مصعوقاً حين نظر إلى الطبيبة.

"إنها هي"، قال بهمس فيما حدقت الممرضتان إليه. بدا واضحاً لهن جميعاً أنه تعرف إليها.

"أنا آسفة"، قالت الطبيبة بصوت ناعم، ثم أشارت إليه للحاق بها إلى الخارج. "هل هي زوجتك؟"، سألته من دون الحاجة إلى تأكيد. فدموعه تتحدث لوحدها. بدا محطماً. "لم تكن لدينا وسيلة للتعرف إليها"، شرحت الطبيبة. "لم تكن تحمل أي أوراق أو أي شيء عليه اسمها".

"أعرف. تركت حقيبتها وجواز سفرها في الفندق. تفعل هذا أحياناً وتخرج من دون محفظتها". تفعل ذلك دوماً. وضعت ورقة عشرة دولارات في جيبها وخرجت. لطالما فعلت ذلك قبل سنوات حين عاشا مع ولديهما في نيويورك، على الرغم من أنه ألح عليها دوماً ضرورة حمل بطاقة هوية. هذه المرة، حصل الأسوأ، ولم يعرف أحد من تكون، مما بدا صعب التصديق بالنسبة إليه. "إنها ممثلة، نجمة سينمائية معروفة"، قال كما لو أن الأمر لم يعد مهماً الآن. إنها امرأة مع إصابة كبيرة في الرأس في وحدة العناية الفائقة، ولا شيء أكثر من ذلك. بدت الطبيبة محتارة مما قاله.

"نجمة سينمائية؟". بدت مذهولة.

"كارول بارير"، قال لها وهو يعرف التأثير الذي سيخلّفه ذلك. بدت الطبيبة مصدومة على الفور.

"كارول بارير؟ لم نكن نعرف". بدت متأثرة بوضوح.

"من الأفضل ألا تكتشف الصحافة ذلك. لا يعرف ولداي بالأمر بعد. لا أريدهما أن يسمعا الخبر بهذه الطريقة. أريد الاتصال بهما أولاً".

"طبعاً"، قالت الطبيبة، وهي تدرك تماماً ما سيحصل لهم في المستشفى. لم يكونوا ليعاملوها بطريقة مختلفة عما فعلوا، لكن حين ينتشر الخبر بأنها موجودة هنا، سيحاصَرون من قبل الصحافة. ستصبح حياتهم صعبة. بدا الأمر أسهل كثيراً حين كانت جاين دو مجهولة، ضحية التفجير الإرهابي. فوجود إحدى أهم نجمات السينما الأميركية في وحدة الإنعاش عندهم سيحول الحياة جحيماً. "سيصعب جداً إبقاء الصحافة بعيدة، حين تعرف الخبر"، قالت وهي تبدو قلقة. "نستطيع ربما استعمال اسمها بعد الزواج".

"واترمان"، قال لها. "كارول واترمان". كانت هذه هي الحقيقة ذات مرة. لم تأخذ أبداً شهرة شون، التي كانت شهرة كلارك. يستطيعون استعمال هذا الاسم أيضاً، وأدرك أنها كانت لتفضله ربما. لكن ما الذي يهم الآن؟ كل ما يهم هو حياتها. "هل... هل... ستكون بخير؟". لم يستطع لفظ الكلمات والسؤال ما إذا كانت ستموت. لكن الأمر بدا احتمالاً كبيراً بالنسبة إليه. بدت كارول مريعة وعلى وشك الموت.

"لا نعرف. يصعب التوقع كثيراً بإصابات الرأس. لقد أصبحت أفضل مما كانت عليه سابقاً، وصور الدماغ جيدة. الورم يتضاءل. لكننا لا نستطيع معرفة مدى الضرر اللاحق بها قبل أن تستيقظ. إذا استمر وضعها جيداً، سننزع عنها جهاز التنفس قريباً. عليها حينها التنفس لوحدها، ويفترض بها الاستيقاظ من الغيبوبة. قبل ذلك الحين، لا يمكننا معرفة مقدار الضرر الحاصل، أو التأثيرات طويلة الأمد. ستحتاج إلى إعادة تأهيل، لكننا لم نصل إلى هذا بعد. ما زال الطريق طويلاً. لا تزال في خطر. خطر الالتهاب والمضاعفات، وقد يتورم دماغها مجدداً. تلقت ضربة قوية جداً على رأسها. إنها محظوظة لأنها لم تحترق كثيراً، وستشفى ذراعها. رأسها هو همنا الأكبر". لم يتخيل كيفية إخبار الولدين، لكن عليهما معرفة ذلك. ستأتي كلويه من لندن، وأنطوني من نيويورك. لديهما الحق في رؤية أمهما، وعرف أنهما يريدان أن يكونا معها. وماذا لو ماتت؟ لا يستطيع التفكير في ذلك، فيما التقت عيناه بعينيّ الطبيبة مجدداً.

"هل يفترض نقلها إلى أي مكان آخر؟ هل من شيء آخر يمكن القيام به؟".

بدت الطبيبة منزعجة. "لقد فعلنا كل شيء، حتى قبل أن نعرف من تكون. فهذا لا يعني شيئاً بالنسبة إلينا. علينا الآن الانتظار. سنعرف مع الوقت ما نحتاج إلى معرفته، إذا بقيت على قيد الحياة". أرادت تذكيره بأن بقاءها على قيد الحياة ليس أمراً أكيداً بعد. وهذا واضح بالنسبة إليه.

"هل خضعت لجراحة؟".

هزّت الطبيبة رأسها مجدداً. "لا. قررنا أنه من الأفضل عدم إيذائها أكثر، وتضاءل الورم لوحده. اعتمدنا طريقة حذرة، وهذا برأيي أفضل لها". أومأ جايسون برأسه وهو يشعر بالارتياح. لم يشقوا على الأقل دماغها. أعطاه هذا الأمل بأن تعود هي نفسها ذات يوم. هذا كل ما يأملونه في الوقت الحاضر، وإلا عليهم مواجهة الأمر حين يحصل، أو مواجهة موتها إذا حصل. إنها فكرة مريعة.

"ما الذي تنوون فعله الآن؟"، سأل وهو يريد القيام بشيء ما. فهو ليس معتاداً على الجلوس والانتظار.

"الانتظار. ما من شيء آخر يمكننا فعله. سنعرف أكثر في الأيام المقبلة". أومأ برأسه، ونظر من حوله ولاحظ كم المستشفى كئيبة. لقد سمع عن المستشفى الأميركي في باريس، وتساءل ما إذا كان يمكن نقلها إلى هناك، لكن مساعد المدير في الفندق أخبره أن هذا أفضل مكان لها، إذا كانت فعلاً هي. فوحدة الصدمات في هذه المستشفى ممتازة، وهي تحصل على أفضل رعاية طبية ممكنة بالنسبة إلى حالة خطيرة مثل حالتها.

"سأذهب إلى الفندق وأتصل بولدي"، ثم أعود بعد الظهر. إذا حصل أي شيء، يمكنك الاتصال بي في فندق الريتز". أعطاها أيضاً رقم هاتفه الخلوي الدولي، ودوّنوه على جدول كارول مع اسمه. لقد أصبح لديها اسم الآن، حتى لو لم يكن اسمها الحقيقي. كارول واترمان. لديها زوج وولدان. ولديها أيضاً هوية مشهورة على وشك أن تعلن للعموم. قالت الطبيبة إنها ستخبر فقط رئيسة ألوحدة عن هوية كارول الحقيقية، لكنهما أدركا تماماً أنها مجرد مسألة وقت

قبل أن تكتشف الصحافة الأمر. فالصحافة دوماً تفعل ذلك، مع مثل هذه الأمور. من الغريب أن أحداً لم يتعرف إليها حتى الآن. لكن إذا تحدث أحدهم، فستصل الصحافة بجموع غفيرة وتتحول حياتهم جميعاً إلى جحيم.

"سنبذل ما بوسعنا لإخفاء الأمر"، طمأنته.

"وأنا أيضاً. سأعود بعد الظهر... و... شكراً... على كل ما فعلتموه حتى الآن". لقد أبقوها حية. وهذا شيء مهم. لا يستطيع أن يتخيل ماذا كان ليحصل لو رآها في مشرحة في باريس وتعرف إلى جثتها. كان الأمر وشيكاً من ذلك، حسبما قالت الطبيبة. إنها محظوظة في النهاية. "هل أستطيع رؤيتها مجدداً؟"، سألها وذهب هذه المرة إلى الغرفة لوحده. لا تزال الممرضتان هناك، فدخل واقترب من سريرها. وقف ينظر إليها، ولمس هذه المرة وجنتها. كانت أنابيب جهاز التنفس تغطي وجهها، وشاهد الضمادة على وجنتها وتساءل عن مدى الأذى الحاصل. الحرق الخفيف قرب الضمادة بدأ يشفى، فيما ذراعها مغطاة بالمرهم. "أحبك كارول"، همس لها. "ستكونين بخير. أحبك. كلويه وأنطوني يحبانك أيضاً. عليك الاستفاقة سريعاً". ما من إشارة حياة صادرة من السرير، فيما نظرت الممرضتان بعيداً بحذر. صعبت عليهما رؤيته، إذ كان هناك الكثير من الألم في عينيه. انحنى لتقبيل وجنتها، وتذكر نعومة وجهها المألوفة. بعد كل هذه السنوات، لم يتغير حتى هذا. كان شعرها مبعثراً وراءها على السرير تحت العصابة. مشطته لها إحدى الممرضتين، وعلّقت على مدى جماله، مثل الحرير الأصفر الشاحب.

أعادت له رؤيتها العديد من الذكريات، وكلها ذكريات جيدة. فالذكريات السيئة أصبحت منسية الآن، وهي منسية أصلاً منذ وقت طويل. بالنسبة إليه على الأقل. لم يتحدث هو وكارول أبداً عن الماضي حين كانا يتكلمان. كانا يتحدثان فقط عن الولدين أو حياتهما الحالية. كان لطيفاً جداً معها حين مات شون، وشعر بالأسف عليها. كانت صدمة قاسية عليها. تزوجت برجل يصغرها بخمس سنوات، ومات شاباً. حضر جايسون الجنازة، وكان داعماً لها ولولديها. وها هي الآن تكافح من أجل حياتها،

بعد سنتين من موت شون. الحياة غريبة، وقاسية أحياناً. لكنها لا تزال حية. لديها فرصة. إنه أفضل خبر يمكن أن ينقله لولديه. خاف من إخبارهما. "سأعود لاحقاً"، همس لكارول فيما قبلها مجدداً، وتنفس جهاز التنفس بشكل نظامي نيابة عنها. "أحبك كارول. ستتحسنين"، قال مع نظرة حاسمة، ثم خرج من الغرفة وهو يحبس دموعه. عليه أن يكون قوياً، من أجلها، ومن أجل أنطوني وكلويه. مهما كان شعوره.

غادر المستشفى وذهب إلى محطة غار دوستراليز تحت المطر المنهمر. تبلل كثيراً قبل أن يعثر على سيارة أجرة، وأعطى السائق عنوان الريتز. بدا كئيباً مثلما كان يشعر، كما لو أنه كبر مئة سنة في يوم واحد. لا تستحق ما حصل لها. لا أحد يستحق. كارول على الأقل. إنها امرأة جيدة، ولطيفة، وأم رائعة، وكانت زوجة جيدة لرجلين. الأول تركها من أجل فاسقة والثاني مات. وهي الآن تكافح من أجل حياتها بعد هجوم إرهابي. وفيما توجهت سيارة الأجرة نحو ساحة الفاندوم في الدائرة الأولى، دعا إلى الله مساعدته ليخبر ولديه. لا يتخيل نفسه وهو يقول الكلمات للولدين. ثم تذكر اتصالاً آخر يجدر به القيام به. أخذ هاتفه الخلوي وطلب لوس أنجلوس. إنها الساعة الثالثة بعد منتصف الليل تقريباً عند ستيفي، لكنه وعدها بالاتصال ما إن يعرف الحقيقة.

أجابت ستيفي بعد أول رنة. كانت مستيقظة تماماً وتنتظر اتصاله. احتاج برأيها إلى وقت طويل جداً إلا إذا تأخرت الطائرة في الهبوط. كان يفترض بها سماع أخباره لو لم تكن كارول. أصبحت خائفة جداً خلال الساعة الأخيرة، وارتعش صوتها حين قالت آلو.

"إنها هي"، قال لها من دون التعريف عن نفسه. عرفت.

"يا الله... ما مدى سوء الحالة؟". انهمرت الدموع فوراً على وجنتيها.

"ليست جيدة. إنها على جهاز التنفس، لكنها حية. إنها في غيبوبة نتيجة إصابة في الرأس. لم يجروا لها عملية، لكنها تلقت صدمة كبيرة. لا تزال في خطر، ولا يعرفون مدى الضرر اللاحق بها". أخبرها الأمر

بصراحة. ينوي أن يكون أكثر لطافة مع ولديه، لكن ستيفي لديها الحق في معرفة الحقيقة كاملة، ولا تقبل هي بأقل من ذلك.

"اللعنة. سأصل في أول طائرة". لكن رحلتها تستغرق عشر ساعات، إذا جـرت الأمور كما يجب. ويعاكسها فارق توقيت من تسع ساعات. لا يمكنها الوصول إلى هناك قبل اليوم التالي. "هل أخبرت الولدين؟".

"لـيس بعد. أنا في طريقي إلى الفندق. ما من شيء يمكنك فعله. لا أعـرف مـدى جـدوى قدومك إلى هنا". لا تحتاج إلى مساعدة في الوقت الحاضـر، وربما لن تحتاج أبداً بعد اليوم. لكن ستيفي صديقتها أيضاً. إنها دعامة في عائلتهم منذ سنوات عدة، ويحبها ولداه أيضاً، وهي تحبهما. "ما من شيء يستطيع أي منا القيام به"، قال مع رعشة في صوته مجدداً.

"لا أستطيع التواجد في مكان آخر"، قالت له ببساطة.

"ولا أنا". أعطاها اسم المستشفى وقال لها إنه سيراها في باريس غداً. "سأحجز لك غرفة في الريتز".

"أسـتطيع النزول في غرفة كارول"، قالت ستيفي بطريقة عملية. لا جدوى من دفع أجرة غرفة أخرى. "إلا إذا أردت أنت ذلك"، قالت بحذر. لا تريد أن تتطفل.

"حجزت غرفتي، وسأحجز غرفتين للولدين. سأحاول اختيارهما قرب غـرفة كـارول، بحيث نكون قريبين من بعضنا. تنتظرنا أوقات عصيبة، مـثلها هي. ستكون درباً طويلة إذا تعافت. لا أستطيع حتى أن أتخيل كيف سـتكون الحياة إذا لم تتعافَ". تفاجأ حين أدرك أنه يريدها أن تعيش، حتى لـو تعرض دماغها للكثير من التلف. لا يهتم إذا أصبحت بلهاء بعد كل ما حـصل، فهـو لا يريدها أن تموت، لأجله هو وولديه. إنهم يحبونها مهما كانـت حالهـا، وعرف أن ستيفي تفعل ذلك أيضاً. "أراك غداً. أتمنى أن تكـون رحلـتك جـيدة"، قال لها وهو يبدو مرهقاً، ثم أقفل السماعة. على الـرغم من أنها الساعة الثالثة بعد منتصف الليل عندها، اتصل بسكرتيرته فـي المنـزل وطلـب مـنها عـدم إخبار ابنه، وإنما إلغاء كل المواعيد

والاجتماعات التي خطط لها. "لن أعود قبل فترة". اعتذر على الاتصال بها في منتصف الليل، لكنها قالت إنها لا تبالي.

"هـل هي الآنسة باربر؟"، سألت سكرتيرته وهي تبدو محطمة. إنها مـن أشـد المعجبين بكارول، كإنسانة ونجمة. لطالما كانت كارول ودودة معها على الهاتف.

"نعم هي"، قال بصوت كئيب. "سأتصل بأنطوني بعد ساعات قليلة. لا تتـصلي بـه قبل ذلك. سنواجه الكثير من الفوضى حين تكتشف الصحافة الأمر. سجلتها في المستشفى باسمي أنا، لكن هذا لن يدوم طويلاً. سينتشر الخبر عاجلاً أم آجلاً، وتعرفين أنت ما سيحصل".

"أنـا آسـفة، سـيد واترمان"، قالت له سكرتيرته فيما ملأت الدموع عينـيها. سـتتحطم قلوب الناس في كل أنحاء العالم على كارول، وسيتلو الجميع الدعاء لأجلها. قد يجدي ذلك نفعاً. "أبلغني إذا كان باستطاعتي فعل أي شيء".

"شـكراً"، قـال لها وأقفل السماعة فيما وصلت السيارة إلى الريتز. بحث عن مساعد المدير الذي تحدث إليه، عند مكتب الاستقبال. كان يرتدي البزّة الرسمية للفندق، وقابل جايسون بوجه رزين.

"أتمنـى أن تكون أخبارك جيدة"، قال بحذر، لكنه لاحظ أن جايسون ليس بخير. فكل شيء ظاهر على وجهه.

"لا، ليـست أخـباري جيدة. إنها هي. سنبقي الأمر طي الكتمان قدر الإمكان"، قال له ووضع مئتيّ يورو في يد الرجل. ليس هذا ضرورياً، في مثل هذه الظروف، لكن البقشيش تم تقديره على أي حال.

"أفهمـك"، قال مساعد المدير. ثم طمأن جايسون بأنه سيعطيه جناحاً من ثلاث غرف مقابل جناح كارول. قال له جايسون إن ستيفي ستصل في اليوم التالي، وستنزل في غرفة كارول".

لحـق جايـسون مساعد المدير إلى الأعلى. لا يملك الشجاعة لرؤية غرفة كارول، أو الدليل على الحياة التي كانت تنبض بها قبل فترة وجيزة.

تبدو الآن شبه ميتة بالنسبة إليه. دخل إلى جناحه خلف مساعد المدير وانهار على كرسي.

"هل أحضر لك أي شيء، سيدي؟". هزّ جايسون رأسه وغادر الرجل الإنكليزي الشاب الغرفة بهدوء، فيما حدق جايسون بيأس في الهاتف الموضوع على المكتب. لديه إنقاذ مؤقت لكنه عرف أنه بعد ساعات قليلة، عليه الاتصال بأنطوني وكلويه. عليهما معرفة الحقيقة. قد لا تبقى حتى على قيد الحياة إلى أن يصلا. عليه الاتصال بهما بأسرع ما يمكن. ولا يريد الاتصال بكلويه قبل أن يستيقظ أنطوني في نيويورك. انتظر حتى السابعة صباحاً بتوقيت نيويورك. استحم وراح يذرع الغرفة جيئة وذهاباً. لم يستطع أكل أي شيء.

في الساعة الواحدة بعد الظهر بتوقيت باريس، وبقدمين ثقيلتين، ذهب إلى المكتب واتصل بابنه أولاً. كان أنطوني مستيقظاً وعلى وشك المغادرة إلى المكتب لحضور اجتماع صباحي. اتصل جايسون في الوقت المناسب.

"كيف حال شيكاغو أبي؟". بدا أنطوني شاباً ومرحاً ومليئاً بالحياة. كان شاباً رائعاً وأحب جايسون فكرة العمل معه. كان عاملاً جدياً وذكياً ولطيفاً. إنه يشبه كارول كثيراً، وإنما يملك عقل والده المالي. سيكون رأسمالياً رائعاً يوماً ما وهو يتعلم بسرعة.

"لا أعرف كيف حال شيكاغو"، قال جايسون بصراحة. "أنا في باريس وليست رائعة جداً".

"ماذا تفعل هناك؟". بدا أنطوني متفاجئاً وغير مرتاب. لا يعرف حتى أن أمه سافرت. اتخذت القرار بالسفر مباشرة بعد اتصالها به للمرة الأخيرة، ولذلك لا فكرة لديه عن مكان وجودها. كان مشغولاً جداً للاتصال بها في الأحد عشر يوماً الماضية، وهذا أمر غير اعتيادي بالنسبة إليه. لكنه عرف أنها تتفهم. كان يخطط للاتصال بها هذا اليوم.

"أنطوني..."، لا يعرف حتى من أين يبدأ، فأخذ نفساً عميقاً. "حصل حادث. وأمك موجودة هنا".

خشي الأسوأ في تلك اللحظة. "هل هي بخير؟".

"لا، ليست كذلك. حصل انفجار في نفق هنا قبل أسبوعين. لم أعرف إلا قبل ساعات قليلة أنها كانت ضحية الانفجار. لم يتم التعرف إليها إلا الآن. جئت بنفسي الليلة الماضية للتحقق من الأمر. اختفت من الريتز يوم حصول الانفجار".

"يا الله!". بدا أنطوني وكأن جداراً كبيراً سقط عليه فجأة. "ما مدى سوء حالها؟".

"سيئة جداً. لديها إصابة في الدماغ وهي في غيبوبة".

"هل ستكون بخير؟". كان أنطوني يحبس الدموع وشعر أن عمره أربع سنوات حين طرح السؤال.

"تأمل ذلك. بقيت على قيد الحياة حتى الآن، لكنها لم تتجاوز مرحلة الخطر بعد. إنها على جهاز التنفس". لم يشأ أن يُصدم ابنه حين يراها. فرؤيتها مع جهاز التنفس أمر محزن للغاية.

"اللعنة، أبي... كيف حصل ذلك؟". استطاع جايسون سماع ابنه يبكي. كان كلاهما يبكيان.

"حظ سيئ. المكان الخطأ بالتوقيت الخطأ. كنت أدعو كي لا تكون هي طوال الوقت. لا أصدق أنهم لم يتعرفوا إليها".

"هل وجهها مشوّه؟". إذا لم يكن كذلك، لا يتخيل أن أحداً في هذه الأرض لم يتعرف إلى أمه.

"ليس تماماً. لديها جرح وحرق بسيط في أحد جانبي وجهها. ليس شيئاً يعجز عن ترميمه جراح تجميل بارع. لكن إصابة رأسها هي المشكلة. علينا تسوية هذه المشكلة".

"سأتي. هل أخبرت كلويه؟".

"اتصلت بك أولاً. سأتصل بها الآن. تستغرق الرحلة ست ساعات من مطار كينيدي، إذا استطعت حجز مقعد. ألاقيك هنا غداً صباحاً بتوقيت باريس".

"سأتي فيها". سيكون يوماً عصيباً بالنسبة إليه، في انتظار أخذ الرحلة. "سأوضب أغراضي الآن وأغادر من المكتب. أراك غداً أبي... وأبي....". ارتعش صوته مجدداً فيما قال العبارة. "أحبك... وقل لأمي إنني أحبها هي أيضاً". كان كلاهما يبكيان علناً حينها.

"لقد فعلت ذلك. يمكنك إخبارها بنفسك غداً. إنها تحتاج إلينا الآن. إنه كفاح صعب عليها... أحبك أنا أيضاً"، قال جايسون، وأقفل كلاهما السماعة. لا يستطيع أي منهما متابعة الحديث. ففكرة ما قد يحصل محبطة كثيراً بالنسبة إليهما معاً.

اتصاله التالي كان بكلويه التي بدت حتماً أسوأ حالاً. انفجرت بالكباء وأصيبت بالهستيريا ما إن أخبرها. الخبر الجيد هو أنها تبعد مسافة ساعة فقط. وحين توقفت أخيراً عن البكاء، قالت إنها ستأتي في الطائرة التالية. كل ما تريده الآن هو رؤية أمها.

في الساعة الخامسة من بعد الظهر، لاقى جايسون ابنته في المطار. كانت تبكي وارتمت بين ذراعيه لحظة خرجت من البوابة، وتوجها معاً إلى المستشفى. وقفت كلويه تمسك بذراع والدها، فيما نظرت إلى أمها وبكت حين رأتها. هذا مزعج لكليهما، لكنهما على الأقل يملكان بعضهما. في الساعة التاسعة مساءً تلك الليلة، بعد التحدث إلى الطبيبة مجدداً، عادا إلى الفندق. لم يحصل أي تغيير في حالة كارول، لكنها صامدة. وهذا شيء جيد على الأقل.

بكت كلويه طوال ساعات حين وصلا إلى الفندق. شجعها جايسون أخيراً على الذهاب إلى السرير وخلدت إلى النوم. ذهب حينها إلى غرفته وسكب لنفسه كأس شراب. جلس يرتشفه بهدوء، ويفكر في كارول وولديهما. هذه أصعب تجربة عاشوها، وكل ما يتمناه هو أن تعيش كارول.

نام في سريره، في كامل ملابسه، تلك الليلة واستيقظ في الساعة السادسة من صباح اليوم التالي. استحم، وحلق وارتدى ثيابه، وكان يجلس بهدوء في غرفة جلوس الجناح حين استيقظت كلويه وجاءت لتجده وكانت

عيناها منتفختين. لاحظ أنها أسوأ مما تبدو. لا تزال غير مصدقة لما حصل لأمها.

انتظرا طائرة أنطوني في السابعة صباحاً، وأخذا حقيبته وذهبوا جميعاً إلى الفندق لتناول الفطور. بدا أنطوني كئيباً ومرهقاً، في سروال جينز أزرق وكنزة سميكة. يحتاج إلى الحلاقة، لكنه لا يهتم. تسكعوا في الغرفة حتى وصلت ستيفي إلى الريتز في الثانية عشرة والنصف ظهراً.

طلب لها جايسون سندويشاً، وغادروا معاً إلى المستشفى في تمام الساعة الواحدة بعد الظهر. صمد أنطوني بشجاعة، لكنه انهار ما إن رأى والدته. وقفت كلويه تبكي بهدوء فيما ذراع ستيفي حولها، وكانوا يبكون هم الأربعة حين غادروا الغرفة. العزاء الوحيد الذي سمعوه هو أن حالة كارول تحسنت قليلاً خلال الليل. سينزعون عنها جهاز التنفس خلال الليل، ويرون كيف ستتنفس لوحدها. هذا أمر مشجع، لكنه يمثل خطراً في الوقت نفسه. فإذا فشلت في التنفس من دون جهاز، سيضعون لها الجهاز مجدداً. وإذا كانت هذه الحالة، فلن يكون ما ينتظرها جيداً. يجب أن يكون دماغها حياً كفاية ليأمر جسمها بالتنفس، ويجب انتظار ذلك. بدا جايسون شاحباً حين ذكر أحد الأطباء الذين يشرفون على حالتها ذلك، وشعر الولدان بخوف شديد. قالت ستيفي بهدوء إنها ستكون موجودة حين ينزعون جهاز التنفس عنها، وقال الولدان إنهما سيفعلان ذلك أيضاً. أومأ جايسون برأسه ووافق. ستكون لحظة حاسمة بالنسبة إلى كارول، لمعرفة ما إذا كانت قادرة على التنفس لوحدها.

تناولوا العشاء في الفندق، على الرغم من أن أياً منهم لم يستطع تناول الطعام. كانوا مرهقين، ومتعبين من السفر، وخائفين، ومنزعجين كثيراً. جلست ستيفي معهم، فيما حدقوا في صحونهم من دون لمس الطعام الموجود فيها، ثم عادوا مجدداً إلى المستشفى لعيش محنة أخرى في الكابوس الذي تكافح خلاله كارول للبقاء على قيد الحياة.

ساد صمت تام في السيارة فيما عادوا إلى مستشفى لابيتييه. كانوا تائهين جميعاً في أفكارهم وذكرياتهم الخاصة عن كارول. شرح لهم

الطبيب أن الجزء الذي تعرض للتلف في عنق الدماغ يتحكم في قدرتها على التنفس. لذا، فإن قدرتها على التنفس أو عدم التنفس لوحدها ستخبرهم ما إذا كان دماغها يرمم نفسه. ستكون لحظة مريعة بالنسبة إليهم جميعاً حين ينزعون الأنابيب عن فمها ويوقفون جهاز التنفس وينتظرون لمعرفة ما سيحصل.

حدقت كلويه خارج نافذة السيارة، فيما انهمرت الدموع على وجنتيها، وأمسك شقيقها يدها بقوة.

"ستكون بخير"، همس لها بنعومة فهزّت رأسها وأدارت وجهها. لم يعد أي شيء على ما يرام في عالمهم، ويصعب التصديق أنه سيعود مجدداً. فأمهما هي القوة الحيوية في حياتهما ومحور وجودهما. ومهما كانت اختلافات كلويه معها، لم يعد ذلك مهماً. كل ما تريده الآن هو أمها. شعر أنطوني بالألم نفسه. ثمة شيء فيها ضعيف جداً وفي خطر كبير بحيث شعر كلاهما أنهما طفلان. شعرا بالضعف والخوف. لم يستطع أي منهما تخيل حياته من دون أمه. ولا جايسون أيضاً.

"ستكون بخير أيها الولدان"، حاول والدهما طمأنتهما. حاول الإيحاء بثقة لم يكن يشعر بها.

"ماذا لو لم تفعل؟"، همست كلويه، فيما اقتربوا من المستشفى واجتازوا محطة أوسترليتز للقطار التي باتت مألوفة لهم.

"سيعيدون إليها جهاز التنفس مرة أخرى إلى أن تصبح مستعدة". لم تملك كلويه الشجاعة للاسترسال في أفكارها أبعد. ليس بصوت عال على الأقل، لأنها عرفت أن الآخرين قلقون بقدرها هي. إنهم يخشون جميعاً اللحظة التي سيوقف فيها الطبيب جهاز التنفس. مجرد التفكير في ذلك جعل كلويه ترغب بالصراخ.

خرجوا من السيارة أمام المستشفى، ولحقت بهم ستيفي بصمت. فقد عاشت تجربة مماثلة من قبل، حين خضع والدها لعملية القلب المفتوح. كانت اللحظة الحاسمة مثيرة للأعصاب، لكنه تجاوزها وصمد. بدت حالة

كارول أكثر دقة نوعاً ما، لأن مقدار الضرر الحاصل في دماغها غير معروف، وما هي التأثيرات طويلة الأمد التي قد تحصل. قد لا تتمكن أبداً من التنفس لوحدها. بدوا جميعاً شاحبين ومصعوقين حين دخلوا المصعد ووصلوا إلى طابقها، ثم دخلوا غرفتها بصمت في انتظار وصول الطبيب.

بدت كارول على حالها، مع عينين مغمضتين، وكانت تتنفس بطريقة نظامية بمساعدة الآلة. بعد دقائق قليلة، دخل الطبيب المسؤول. عرفوا جميعاً سبب وجودهم هنا. فقد تم شرح الإجراء لهم في وقت سابق ذلك اليوم، وراقبوا بذعر الممرضة فيما نزعت الشريط اللاصق عن أنف كارول. حتى هذا الوقت، استطاعت التنفس فقط بواسطة الأنبوب المثبت في فمها. لكن أنفها بات الآن مفتوحاً، وبعد سؤالهم إذا كانوا مستعدين، أومأ الطبيب للممرضة بنزع الأنبوب من فم كارول، وأوقف الآلة بحركة واحدة. ساد صمت طويل فيما حدق الجميع إلى كارول. لا دليل على التنفس فيما تقدم الطبيب خطوة نحوها، وألقى نظرة سريعة على الممرضة، ثم بدأت كارول تتنفس لوحدها. أطلقت كلويه صرخة ارتياح وانفجرت بالبكاء، فيما انهمرت الدموع على وجنتيّ جايسون وراح أنطوني يبكي. رمت كلويه نفسها بين ذراعيّ ستيفي. كانت ستيفي تضحك وتبكي في الوقت نفسه، وعانقت كلويه بشدة. حتى الطبيب ابتسم.

"هذه أخبار جيدة"، قال لهم مع نظرة مطمئنة. ظن لبرهة أنها لن تنجح في ذلك، لكنها فعلت ذلك بعد أن كانوا يشعرون بالذعر. "دماغها يأمر رئتيها بما يجب فعله. هذا دليل جيد جداً". عرفوا أيضاً أنها قد تبقى في الغيبوبة إلى الأبد، حتى لو استطاعت التنفس لوحدها. لكن لو لم تتمكن من ذلك، لكانت فرصها بالشفاء أقل كثيراً مما هي الآن. إنها خطوة أولى نحو الحياة.

قال الطبيب إنهم سيراقبونها عن كثب خلال الليل للتأكد من أنها تتابع التنفس من دون مساعدة، لكن ما من سبب يدفع إلى الاعتقاد بأن تنفسها المستقل سيتوقف مجدداً. ففي كل لحظة، تصبح حالتها أكثر استقراراً.

ما من إشارة حياة أو حركة صادرة من الجسم الهامد في السرير، لكنهم لاحظوا جميعاً أن صدرها يرتفع وينخفض مع كل نَفَس. لا يزال هناك أمل على الأقل.

بعد ذلك، وقفوا جميعاً حول سريرها لمدة ساعة تقريباً، يستمتعون بالنصر الذي تشاركوه تلك الليلة. واقترح جايسون أخيراً أن يعودوا إلى الفندق. لقد عاشوا ما يكفي من التوتر خلال اليوم، ولاحظ أن ولديه يحتاجان إلى الراحة. فإيقاف جهاز التنفس كان أمراً صعباً عليهما معاً.

خرجوا بهدوء، وكانت ستيفي آخر من غادر الغرفة. توقفت لبرهة قربَ السرير ولمست أصابع كارول. لا تزال غارقة في الغيبوبة، وكانت أصابعها باردة. بدا وجهها مألوفاً أكثر الآن بعد نزع أنبوب التنفس من فمها والشريط اللاصق عن أنفها. إنه الوجه الذي رأته ستيفي غالباً، والذي يعرفه ويحبه كل المعجبين. لكنه أكثر من ذلك بالنسبة إلى ستيفي. إنه وجه المرأة التي تعجبها كثيراً، وبقيت وفية لها طوال سنوات عدة.

"كان هذا جيداً، كارول"، قالت ستيفي بنعومة، فيما انحنت لتقبيل وجنتها. "والآن كوني شجاعة وابذلي جهداً إضافياً وحاولي الاستيقاظ. اشتقنا إليك"، قالت فيما انهمرت الدموع على وجنتيها وغادرت الغرفة للانضمام إلى الآخرين. بعد أخذ كل الأمور في الاعتبار، يمكن القول إنها كانت ليلة جيدة، وإنما صعبة.

الفصل الخامس

حصل ما كان محتماً بعد يومين من اجتماعهم جميعاً في باريس. فقد أبلغ أحدهم، إما في الفندق أو المستشفى، الصحافة. وفي غضون ساعات قليلة، احتشد عشرات المصورين خارج المستشفى، وتسلل أكثر من خمسة مصورين مهمين إلى الأعلى وجرى إيقافهم عند باب غرفتها. وقفت ستيفي في الممشى المؤدي إلى غرفة كارول، وتحدثت بلغة صارمة فأوقفتهم وطردتهم. لكن بعد ذلك، أفلتت الأمور عن السيطرة.

قامت المستشفى بنقل كارول إلى غرفة أخرى، وعيّنت حارساً على باب الغرفة. لكن الأمور تعقدت معهم جميعاً، وجعلت الأوضاع أسوأ على أفراد العائلة. فكان المصورون ينتظرونهم في الفندق ويقفون لهم بالمرصاد خارج المستشفى. كانت هناك كاميرات تلفزيونية في كلا المكانين، ووميض الكاميرات في عيونهم كلما دخلوا أو خرجوا. هذا مشهد مألوف لهم جميعاً. لطالما حمت كارول ولديها من العامة، لكن وجود كارول بارير في غيبوبة، بصفتها ضحية هجوم إرهابي، هو خبر عالمي. لا مجال للاختباء من الصحافة هذه المرة. عليهم تقبّل الأمر، والتعاطي معه بأفضل ما يمكن. وأفضل خبر على الإطلاق هو أن كارول تتنفس لوحدها. لا تزال فاقدة الوعي، لكنهم أوقفوا عنها التخدير ويأمل الأطباء في أن تعطي إشارة حياة قريباً. وإلا، سيفضي ذلك إلى مضاعفات طويلة الأمد لا يريد أي منهم مواجهتها. في غضون ذلك، كانوا يتعرضون دوماً لمضايقات

الصحافة. فقد ظهرت كارول على الصفحات الأولى للجرائد في كل أنحاء العالم، ومنها Le Monde، وLe Figaro، وHerald Tribune في باريس.

"لطالما أحببت هذه الصورة لها"، قالت ستيفي، في محاولة لتهوين المسألة، فيما قرأوا جميعاً الصحف في أثناء تناول الفطور في صباح اليوم التالي. إنهم موجودون في باريس منذ ثلاثة أيام.

"نعم، وأنا أيضاً"، قال أنطوني وهو يأكل ثاني قطعة خبز بالشوكولا. لقد تحسنت شهيته. أصبحوا معتادين على الذهاب إلى المستشفى معاً كل يوم، والتحدث إلى الأطباء، والجلوس مع كارول لأطول وقت ممكن. بعد ذلك، يعودون إلى الفندق ويجلسون في غرفة الجلوس في جناحها، ينتظرون الأخبار. لم تكن الزيارات الليلية محبذة، وهي لا تزال غارقة في نوم عميق. في هذه الأثناء، كان الناس في كل أنحاء العالم يقرأون أخبارها ويتلون الدعاء لأجلها. بدأ المعجبون يحتشدون أمام المستشفى ويرفعون اللافتات عند وصول أفراد العائلة. هذا مشهد مؤثر.

حين غادروا إلى المستشفى ذلك الصباح، كان رجل في شقة باريسية في شارع باك يسكب القهوة بالحليب، ويضع المربى على شريحة خبز، ويجلس لقراءة جريدته الصباحية مثلما يفعل كل يوم. فتح الجريدة مثلما يفعل دوماً، وسوّى الطيات، وألقى نظرة سريعة على الصفحة الأولى. ارتعشت يداه فيما حدّق في الصورة الفوتوغرافية. إنها صورة التقطت لكارول في أثناء تصويرها فيلماً في فرنسا قبل سنوات عدة. حدّق الرجل إلى الصورة وعرف صاحبتها فوراً، إذ كان معها ذلك اليوم، يشاهد جلسة التصوير. تلألأت الدموع في عينيه حين قرأ المقالة، وما إن انتهى من القراءة، نهض واتصل بمستشفى لابيتييه سالبيتريير. تم تحويله إلى وحدة الإنعاش، فسأل عن أخبارها. قالوا له إن حالتها مستقرة، لكنهم غير مخولين بإعطاء تقارير مفصلة عبر الهاتف. فكر في الاتصال برئيس المستشفى، ثم قرر الذهاب إلى لابيتييه بنفسه.

كان رجلاً طويلاً ومميز الطلة. شعره أبيض، ولون عينيه أزرق لامع تحت النظارات. وعلى الرغم من أنه لم يعد شاباً، من السهل الملاحظة أنه كان رجلاً وسيماً، ولا يزال كذلك. يتحرك ويتكلم مثل شخص معتاد على إعطاء الأوامر. ثمة هالة من السلطة تحيط به. اسمه ماتيو دو بيانكور، وكان ذات مرة وزير داخلية فرنسا.

ارتدى معطفه وخرج من باب المنزل واستقلّ سيارته بعد عشرين دقيقة من قراءته المقالة في الجريدة. تأثر في الصميم بما قرأه. لا تزال ذكرياته حول كارول شفافة واضحة، كما لو أنه رآها البارحة، على الرغم من أنه مضى فعلياً خمس عشرة سنة على آخر مرة رآها فيها، حين غادرت باريس، وأربع عشرة سنة على آخر مرة تحدث إليها. لم يعرف أخبارها منذ ذلك الحين، باستثناء ما كان يقرأه عنها في الصحافة. عرف أنها تزوجت مجدداً، بمنتج هوليوودي، وشعر بغصّة كبيرة حينها، على الرغم من أنه سعد لأجلها. قبل ثماني عشرة سنةً، كانت كارول بارير حبّ حياته.

وصل ماتيو دو بيانكور إلى المستشفى، وركن سيارته في الشارع. دخل بسرعة إلى قاعة الاستقبال وسأل المرأة وراء المكتب عن رقم غرفة كارول. جرى توقيفه فوراً وقيل له إنه لا يمكن إفصاح أي شيء عنها، ولا يسمح للزوّار بالدخول إلى غرفتها. طلب مقابلة مدير المستشفى، وأعطى بطاقته للمرأة الجالسة خلف المكتب. ألقت نظرة سريعة عليها ورأت اسمه ثم اختفت فوراً.

بعد ثلاث دقائق، جاء مدير المستشفى. حدّق إلى ماتيو كما لو أنه يريد التحقق من أن الاسم المكتوب على البطاقة حقيقي. إنها بطاقة من الشركة القانونية لعائلة ماتيو، حيث يعمل منذ تقاعده من الحكومة، أي منذ عشر سنوات. عمره ثمان وستون سنة، لكنه يبدو أصغر سناً.

"سيدي الوزير؟"، سأل مدير المستشفى بعصبية، وهو يشبك يديه. لا يملك فكرة عن السبب الذي جاء به إلى هنا، لكن اسم ماتيو وشهرته كانا

كبيـــرين جـــداً فـــي أثناء توليه وزارة الداخلية، ولا يزال اسمه يذكر في الصحافة بين الحين والآخر. تتم دوماً استشارته والأخذ بآرائه. كان رجل سلطة طوال ثلاثين سنة. وهو يوحي بسلطة قوية. "كيف أساعدك سيدي؟". ثمة شيء مخيف تقريباً في عينيّ ماتيو. بدا قلقاً ومضطرباً كثيراً.

"جـئت لأرى صـديقة قديمـة"، قـال بصوت كئيب. "إنها صديقة زوجتـي". لم يشأ لفت الانتباه إلى زيارته، على الرغم من أن طلب مقابلة مدير المستشفى لفتت حتماً بعض الانتباه إليه، لكنه يأمل في أن يبقى الرجل كتوماً. لم يشأ ماتيو جذب الصحافة، لكنه في هذه المرحلة مستعد للمجازفة بـأي شيء من أجل رؤيتها مجدداً. عرف أنها قد تكون فرصته الأخيرة. فالتقارير في الجريدة تقول إنها لا تزال في وضع حرج، وقد تخسر حياتها بعد الهجوم الإرهابي. "قيل لي إنها لا تستطيع استقبال الزوار"، شرح ماتيو وأدرك مديـر مستشفى لابيتييه ساليتريير فوراً هوية المريضة. "العائلتان قـريبتان جـداً". بـدا ماتـيو يائساً وكئيباً، الأمر الذي لاحظه فوراً مدير المستشفى.

"أنا أكيد من أننا نستطيع تدبر استثناء لك، سيدي. من دون شك. هلا رافقتنـي إلـى الأعلـى إلى غرفتها؟ نحن نتحدث عن السيدة واترمان... الآنسة باربر... أليس كذلك؟".

"نعـم، وأقـدّر كثيراً إذا اصطحبتني إلى غرفتها". من دون كلمة أخـرى، أخـذه مدير المستشفى إلى المصعد، الذي وصل فوراً، وكان مليـئاً بالأطباء والممرضين والزوار الذين خرجوا ودخل مكانهم ماتيو والمديـر. ضـغط المديـر على الزر، ووصلا بعد برهة إلى الطابق المنشود. شعر ماتيو أن قلبه يخفق بوتيرة سريعة جداً. ليس لديه فكرة عمـا سـيراه حـين يدخل غرفتها، أو من سيكون موجوداً. استبعد أن يتذكـره ولداها، لأنهما كانا صغيرين جداً في ذلك الوقت. افترض أن زوجهـا الحالي سيكون موجوداً معها. أمل في أن يكونوا في الخارج، يأخذون استراحة.

توقـف المديـر أمام مكتب الممرضات، وقال بضع كلمات سريعة للممرضـة المـسؤولة. أومـأت برأسها، وألقت نظرة سريعة على ماتيو باهتمام، ثم أشارت إلى باب في آخر الرواق، هو باب غرفة كارول. لحق بـه ماتيو من دون أي كلمة، وبدا في عمره الحقيقي بسبب الألم والخوف علـيها، تحـت أضواء المستشفى المكشوفة. توقف المدير أمام الباب الذي أشارت إليه الممرضة، وفتحه وطلب من ماتيو الدخول. تردد ثم همس.

"هل عائلتها معها؟ لا أريد التطفل إذا كان الوقت غير مناسب". أدرك فجأة أنه قد يصبح في موقف حرج. نسي لبرهة أنها لم تعد له.

"هـل تـريد أن أتحقق لك إذا كانوا معها؟"، سأل المدير، وهزّ ماتيو رأسه، من دون أي شرح. فهم المدير. "سأتحقق". تقدم بضع خطوات داخل الغـرفة، فيما وقف ماتيو في الخارج وأغلق الباب بهدوء. لم يستطع رؤية أي شـيء في الغرفة. خرج المدير بعد برهة. "عائلتها معها"، أكد له. هل تريد الاستراحة في غرفة الانتظار؟".

بدا ماتيو مرتاحاً للاقتراح. "نعم، سأفعل. لا شك في أن الأمر صعب جـداً علـيهم"، قال فيما اصطحبه المدير عبر الرواق مجدداً، وصولاً إلى غـرفة انـتظار خاصة صغيرة تستخدم عادة للدفق الكبير من الزوار، أو للأشـخاص المتأثـرين كثيراً الذين يحتاجون إلى الخصوصية. إنها مثالية لماتيو، الذي أراد تفادي العيون الفضولية، وفضل البقاء لوحده، فيما انتظر لـرؤيتها. لـيس لديه فكرة كم من الوقت ستبقى عائلتها معها، لكنه مستعد للبقاء طوال اليوم، أو حتى طوال الليل. عليه رؤيتها الآن.

أحـضر لـه مدير المستشفى كرسياً ودعا ماتيو للجلوس عليها. "هل ترغب بشرب أي شيء، سيدي؟ كوب من القهوة ربما؟".

"لا، شكراً"، قال ماتيو ومدّ له يده.

"أقدّر لك مساعدتك. صدمت حين قرأت الخبر".

"جميعنا فعلنا ذلك"، قال مدير المستشفى. "بقيت هنا لأسبوعين قبل أن نعرف من تكون. هذا أمر مريع". بدا متحفظاً كما يجب.

"هل ستكون بخير؟"، سأل ماتيو، مع نظرة حزن في عينيه.

"أعتقد أن الوقت لا يزال مبكراً لمعرفة ذلك. فإصابات الرأس خادعة ويصعب التوقع بها. لا تزال في غيبوبة، لكنها تتنفس لوحدها، وهذا دليل جيد. لكنها لم تخرج من مرحلة الخطر بعد". أومأ ماتيو برأسه. "سأعود وأتحقق منك لاحقاً"، وعد المدير، "وستحضر لك الممرضات أي شيء تريده". شكره ماتيو مجدداً وغادر. الرجل الذي كان ذات مرة وزير داخلية فرنسا جلس حزيناً مثل أي زائر آخر، يفكر في شخص أحبه، وتاه في أفكاره. لا يزال ماتيو دو بيانكور أحد أكثر الرجال احتراماً وقوة في فرنسا، وكان خائفاً مثل أي زائر آخر في طابق الإنعاش. كان خائفاً عليها، وعلى نفسه. فمجرد معرفته بأنها هناك، في غرفة مجاورة، جعلت قلبه يتحرك كما لم يفعل منذ سنوات.

كان جايسون، وستيفي، وأنطوني وكلويه مع كارول منذ ساعات. تناوبوا على الجلوس على الكرسي قربها، يربتون على يدها أو يتحدثون إليها.

قبلت كلويه أصابع أمها الزرقاء البارزة من الجبيرة، وتوسلتها لتعود إليهم. "هيا أمي، أرجوك... نريدك أن تستيقظي". بدت مثل طفلة، ثم جلست هناك وبكت بقوة إلى أن وضعت ستيفي ذراعها حولها، وأحضرت لها ماء للشرب، وأخذ شخص آخر مكانها على الكرسي قرب سرير كارول.

حاول أنطوني أن يكون شجاعاً، لكنه لم يستطع أبداً لفظ أكثر من بضع كلمات قبل أن ينهار. وقف جايسون وراءه، وبدا يائساً جداً. استمروا في التحدث إليها لأن ثمة احتمال بعيد أن تسمعهم. ودعَوا كي يعيدها ذلك إليهم. لم ينجح أي شيء حتى الآن. بدا ولداها وجايسون مرهقين، ومتعبين من السفر، ومغمورين بالحزن، وحاولت ستيفي إبقاء معنوياتهم مرتفعة، على الرغم من أنها لم تكن في حال أفضل منهم. لكنها صممت على بذل كل ما في وسعها للمساعدة، من أجل كارول ومن أجلهم هم. لكنها في قرارة نفسها كانت محطمة مثلهم جميعاً. كارول هي صديقة عزيزة.

"هيا كارول، ثمة كتاب عليك تأليفه. ليس الوقت ملائماً للكسل"، قالت كما لو أن مديرتها تستطيع سماعها، حين جاء دورها للجلوس على الكرسي، وابتسم جايسون. أحب ستيفي. إنها امرأة واقعية، وكانت رائعة معهم جميعاً. لاحظ بوضوح كم تهتم بكارول. "هل تعرفين أن تصرفك هذا يأخذ مفهوم صدمة الكاتب إلى أقصى الحدود، أليس كذلك؟ هل فكرت في الكتاب؟ أظن أنه عليك فعل ذلك. الولدان هنا أيضاً. تبدو كلويه رائعة. قصّت شعرها وهي تضع الكثير من الأكسسوارات. انتظري حتى تري الفاتورة"، قالت وضحك الآخرون. "يفترض بذلك أن يوقظها"، قالت لهم ستيفي. كان بعد ظهر طويل، وبدا جلياً أن شيئاً لم يتغير. تمنوا كثيراً لو أن شيئاً يتغير. فمن المحزن جداً مراقبة جسمها الجامد ووجهها الشاحب.

"يجدر بنا ربما العودة إلى الفندق"، اقترحت ستيفي أخيراً. بدا جايسون وكأنه على وشك الإغماء. لم يأكل أحد منهم أي شيء منذ الصباح، وبالكاد تناولوا بعض الفُتات عند الفطور أصلاً. كان جايسون شاحباً، فيما كلويه تبكي أكثر ومن دون توقف. ولم يكن أنطوني أفضل حالاً، وشعرت ستيفي بالضعف هي أيضاً. "أظن أننا نحتاج جميعاً إلى الطعام. سيتصلون بنا إذا حصل أي شيء، ويمكننا العودة الليلة"، قالت بطريقة عملية وأومأ جايسون برأسه. أراد تناول كأس من الشراب، على الرغم من أنه لا يحب الشراب كثيراً. لكنه يوفر له نوعاً من الراحة في هذه المرحلة.

"لا أريد الذهاب". جلست كلويه وبكت بقوة.

"هيا، كلو". وضع أنطوني ذراعيه حولها وعانقها. "لا تريدنا أمي أن نكون هكذا. وعلينا الحفاظ على قوتنا". كانت ستيفي قد اقترحت ممارسة السباحة في الفندق حين يعودون، وبدت له الفكرة جيدة. يحتاج إلى ممارسة التمارين الرياضية لمواجهة التوتر الكبير الذي يتعرضون له. أما ستيفي نفسها فكانت تتوق إلى السباحة.

نجحت أخيراً في إخراجهم من باب الغرفة، وأومأت إلى الممرضة. بدا إخراجهم عملاً بطولياً، لأن أياً منهم لا يريد فعلاً ترك كارول، تماماً مثلها هي، لكنها عرفت أنه عليهم إبقاء معنوياتهم مرتفعة قدر الإمكان. لا يمكن معرفة كم سيطول هذا الأمر، ولا يتحملون الانهيار. فلن يفيدوا كارول إذا انهاروا جميعاً، وأدركت ستيفي هذا الأمر تماماً. لذا، تولت بنفسها مسؤولية الاهتمام بهم. احتاجوا إلى وقت طويل للوصول إلى المصعد. نسيت كلويه كنزتها، وأطوني معطفه. عادوا إلى الغرفة الواحد تلو الآخر، ثم دخلوا المصعد أخيراً، ووعدوا بعضهم بأن يعودوا بعد ساعات قليلة. كرهوا فكرة تركها لوحدها.

رآهم ماثيو وهم يغادرون من مقعده في غرفة الانتظار الخاصة. لم يتعرف إلى أي شخص في المجموعة، لكنه عرف من يكونوا. سمعهم يتحدثون إلى بعضهم بلهجة أميركية. كانوا رجلين وامرأتين. وما إن أغلق باب المصعد، حتى اقترب من مسؤولة الممرضات مجدداً. يُمنع دخول كل الزوار مبدئياً، لكنه ماثيو دو بيانكور، وزير الداخلية السابق، وطلب منها مدير المستشفى فعل أي شيء يريده ماثيو. كان واضحاً أن القواعد لا تنطبق عليه، ولم يتوقع هو ذلك أصلاً. من دون أي كلمة، أخذته الممرضة إلى غرفة كارول. كانت مستلقية هناك مثل الأميرة النائمة، مع أنابيب في ذراعها، فيما راقبتها ممرضة وتحققت من المراقيب الموصولة بها. كانت كارول جامدة تماماً وشاحبة كثيراً، فيما نظر إليها ثم لمس وجهها برفق. بدا في عينيه كل ما كان يشعر به تجاهها في السابق. بقيت الممرضة في الغرفة، لكنها استدارت بعيداً. شعرت أنها ترى شيئاً حميماً جداً بينهما.

وقف لوقت طويل، يراقبها، كما لو أنه ينتظرها حتى تفتح عينيها، لكنه أخيراً غادر الغرفة وهو محني الرأس والدموع في عينيه. كانت جميلة مثلما يتذكرها، وبدت غير متأثرة بالعمر. حتى شعرها لا يزال هو نفسه. لقد نزعوا العصابة عن رأسها، ومشطت كلويه شعر أمها قبل أن تغادر.

جلس وزير داخلية فرنسا السابق في سيارته لوقت طويل، ثم وضع وجهه بين يديه وبكى مثل طفل صغير، وهو يفكر في كل شيء حصل، وكل ما وعد به ولم يحققه لها. تألم قلبه لما كان يجب أن يحصل، ولم يحصل. إنها المرة الوحيدة في حياته التي لم يلتزم فيها بكلمته. ندم بمرارة على كل تلك السنوات، لكنه لا يزال يعرف حتى اليوم أنه لم يكن يملك خياراً آخر. عرفت ذلك هي أيضاً، ولهذا السبب غادرت. لم يلمها على تركه، ولم يفعل ذلك يوماً. كان لديه الكثير من المسؤوليات الأخرى في ذلك الوقت. تمنى فقط لو أنه يستطيع التحدث إليها بشأن ذلك الآن، فيما هي غارقة في نوم عميق. لقد أخذت قلبه معها حين غادرت، ولا يزال معها حتى اليوم. لذا، فإن فكرة موتها الآن هي أمر لا يستطيع تحمله. وفيما قاد السيارة، عرف تماماً أنه مهما حصل، عليه رؤيتها مجدداً. فعلى الرغم من مرور خمس عشرة سنةً على رؤيتها لآخر مرة، وكل ما حصل في حياة كل منهما، لا يزال مدمناً عليها. مجرد نظرة واحدة إلى وجهها جعلته يتعلق بها مجدداً.

الفصل السادس

بعد خمسة أيام من وصول عائلة كارول إلى باريس، طلب جايسون عقد اجتماع مع كل أطبائها لتوضيح حالتها. لا تزال في غيبوبة، ولم يتغير أي شيء باستثناء أنها لم تعد على جهاز التنفس بل تتنفس لوحدها. ليست قريبة إلى الوعي أكثر مما كانت خلال ثلاثة أسابيع تقريباً. واحتمال عدم استيقاظها أبداً كان يرعبهم جميعاً.

كان الأطباء لطفاء وإنما واضحين. إذا لم تستعد وعيها قريباً، قد تتعرض لأذى في الدماغ إلى الأبد. ولا يزال هذا الاحتمال كبيراً جداً الآن. ففرص تعافيها تتضاءل كل ساعة. تأكدت أسوأ مخاوف جايسون عند سماع قلقهم عليها. لا يمكن فعل أي شيء طبياً لتعديل حالتها. الأمر بين يدي الله. يستيقظ الناس من الغيبوبة بعد فترات أطول أحياناً، إلا أن فرص تعافيها واستعادة دماغ صحّي وسليم تتضاءل مع مرور الوقت. كانت المجموعة بأكملها تبكي حين غادر الأطباء غرفة الانتظار حيث اجتمعوا. بكت كلويه بشدة، وأمسك بها أنطوني فيما انهمرت الدموع على وجنتيه. جلس جايسون بصمت مخيف، ومسحت ستيفي عينيها وأخذت نفساً عميقاً.

"حسناً أيها الأبطال. لم تستسلم أبداً. ولا يمكننا نحن الاستسلام أيضاً. أنتم تعرفون كيف هي. تنجز كارول الأمور بحسب جدولها الخاص. ستستيقظ من الغيبوبة. لا يمكننا فقدان الأمل. ما رأيكم في الذهاب إلى مكان ما اليوم؟ أنتم بحاجة إلى استراحة من كل ذلك". نظر الآخرون إليها كما لو أنها مجنونة.

"مثل ماذا؟ التسوق؟". بدت كلويه غاضبة، واشمأز الرجلان. لم يفعلا أي شيء سوى الانتقال جيئة وذهاباً بين المستشفى والفندق طوال أيام، وكانت مأساتهم هي نفسها في كلا المكانين. إنها أيضاً حال ستيفي، لكنها حاولت لمّ شمل المجموعة.

"أي شيء. سينما. متحف اللوفر. تناول الغداء في مكان ما. فرساي. نوتردام. أصوّت لشيء مسلٍ. نحن في باريس. دعونا نتخيل ما الذي تريد هي منا فعله. لا تريدكم أن تجلسوا هنا بهذه الطريقة، يوماً بعد يوم". لكن اقتراحها قوبل بعدم حماس في البداية.

"لا يمكننا تركها هنا ونسيانها"، قال جايسون وهو يبدو كئيباً.

"سأبقى معها. وأنتم يمكنكم فعل شيء آخر لمدة ساعتين. وأنت كلويه، يمكنك التسوق ربما. ماذا كانت لتختار أمك؟".

"تقليم أظافرها وشراء أحذية"، قالت كلويه مع نظرة غير موقّرة، ثم ضحكت. "ونتف ساقيها بالشمع".

"رائع"، وافقت ستيفي. "أريدك أن تشتري ثلاثة أزواج من الأحذية على الأقل اليوم. فأمك لا تشتري أبداً أقل من ذلك. لا بأس في شراء أكثر. سآخذ لك موعداً لتقليم أظافرك في الفندق. تقليم أظافر اليدين، والقدمين، ونتف الساقين بالشمع، وممارسة تمارين رياضية. وتدليك. التدليك مفيد لكما أيضاً أيها الرجلان. ماذا عن حجز ملعب السكواش في النادي الصحي في الريتز؟". عرفت أن كلاهما يحبان لعب السكواش.

"أليس هذا غريباً؟"، سأل أنطوني، وهو يشعر بالذنب، على الرغم من أنه كان يتوق فعلاً إلى ممارسة التمارين طوال الأسبوع. شعر وكأنه حيوان في قفص بسبب الجلوس هناك.

"لا، ليس غريباً. ويمكنكما السباحة معاً بعد الانتهاء من اللعب. لماذا لا تتناولون جميعاً الغداء عند حوض السباحة، وتنطلقون من هناك؟ يلعب الرجلان السكواش، وتقلّم كلويه أظافرها، ثم يتمتع الجميع بجلسات التدليك.

أستطيع حجز التدليك في غرفكم، إذا كنتم تفضلون ذلك". وجه لها جايسون ابتسامة امتنان. أحب الفكرة رغماً عنه. "ماذا عنك أنت؟".

"هذا ما سأفعله"، قالت بصراحة. "أجلس هنا وأنتظر كثيراً وأنظم الأمور". لقد فعلت الشيء نفسه مع كارول حين كان شون مريضاً، وبقيت هي قرب سريره طوال أيام عدة، خصوصاً بعد العلاج الكيميائي. "بضع ساعات لن تضرّ أحداً. ستفيدكم كثيراً. سأبقى أنا معها". كانوا يشعرون جميعاً بالذنب كلما تركوها لوحدها في المستشفى. ماذا لو استيقظت فيما هم في الخارج؟ لا يبدو هذا احتمالاً ممكناً لسوء الحظ. اتصلت ستيفي بالفندق وحجزت لهم المواعيد، وأمرت كلويه بالتوقف في فوبورغ سانت هونوريه في طريقها إلى الغداء. هناك الكثير من الأحذية هناك، وتوجد حتى متاجر للرجال. وكما لو كانوا أولاداً صغاراً، أخرجتهم من المستشفى بعد عشرين دقيقة وأرسلتهم في طريقهم. كانوا ممتنين لها حين خرجوا. عادت هي لتجلس بهدوء في غرفة كارول. أومأت لها الممرضة التي كانت موجودة. لا تتقنان لغة مشتركة بينهما، لكنهما تعرفان بعضهما الآن. والمرأة التي كانت تهتم بكارول في ذلك اليوم هي بعمر ستيفي تقريباً. تمنّت لو أنها تستطيع التحدث إليها، لكنها اقتربت بدلاً من ذلك من الجسم الجامد في السرير.

"حسناً، صغيرتي. عليك تحريك جسمك الآن. الأطباء غاضبون. حان وقت الاستيقاظ. أنت بحاجة إلى تقليم أظافرك، وشعرك في فوضى. تبدو المفروشات في هذا المكان مقرفة. عليك العودة إلى الريتز. بالإضافة إلى ذلك، ثمة كتاب عليك تأليفه". مناسبة الشكر بعد أيام قليلة. "عليك أن تستيقظي"، قالت ستيفي مع يأس في صوتها. "ليس هذا عادلاً للولدين. أو لأي أحد. لست جبانة كارول. لقد نمت كثيراً. انهضي!". كانت تفعل معها هذا في الأيام الصعبة التي تلت وفاة شون، لكن كارول استردت قوتها بسرعة حينها لأنها عرفت أن شون يريدها أن تكون قوية. لكن ستيفي لم تذكر اسمه هذه المرة. فقط الولدان. "لقد سئمت من ذلك"، أضافت بسرعة.

"أنا واثقة من أنك سئمت أنت أيضاً. أقصد، كم هذا مضجر؟ روتين الجميلة النائمة بات عتيق الطراز".

لم يصدر أي صوت أو حركة من السرير، وتساءلت ستيفي عن مدى حقيقة سماع الأشخاص للذين يتحدثون إليهم فيما يكونون في غيبوبة. إذا كان هذا صحيحاً، يكون تصرفها ملائماً. جلست وتحدثت إلى مديرتها طوال فترة بعد الظهر، بصوت عادي، عن أشياء عادية، كما لو أن كارول تستطيع سماعها. ذهبت الممرضة لإتمام عملها وشعرت بالأسف عليها. لقد فقد قسم التمريض الأمل في هذه المرحلة، وكان الأطباء يحذون حذوهم. فقد مضى الكثير من الوقت على حصول التفجير. وإمكانية شفائها تتضاءل كل ساعة. كانت ستيفي مدركة تماماً لذلك، لكنها رفضت الاستسلام.

عند الساعة السادسة عصراً، وبعد قضاء ثماني ساعات قربها، تركتها ستيفي للعودة إلى الفندق والالتحاق بالآخرين. لقد خرجوا طوال اليوم وأملت في أن يكونوا أمضوا أوقاتاً جيدة. "حسناً، سأغادر الآن"، قالت ستيفي مثلما تفعل حين تغادر العمل في لوس أنجلوس. "لا مزيد من هذا القرف غداً، كارول. هذا يكفي. أعطيتك اليوم إجازة. لكن هذا يكفي. أخذت كل الوقت الذي تحتاجين إليه. سنعود غداً إلى العمل. تستيقظين، وتنظرين من حولك، وتتناولين الفطور. نكتب بعض الرسائل. لديك الكثير من الاتصالات الواجب القيام بها. مايك يتصل كل يوم. نفدت مني الأعذار التي تبرر سبب عدم تكلمك معه. عليك الاتصال به بنفسك". عرفت أنها تبدو مثل المجنونة، لكنها في الواقع شعرت بتحسن عند التحدث إليها كما لو أنها موجودة هنا في مكان ما، تصغي إلى ما قالته ستيفي. وهذا صحيح. مايك أبلسون، صديق كارول ووكيلها، كان يتصل كل يوم. فمنذ أن نشرت الصحافة الخبر، كان يتصل عبر الهاتف مرتين يومياً. كان محطماً. عرفها منذ كانت طفلة. اكتشفها بنفسه في متجر في نيو أورليانز. اشترى منها معجون أسنان، وغيّر حياتها إلى الأبد. كان بمثابة أب لها. أصبح عمره سبعين سنة هذه السنة، ولا يزال قوياً. وقد حصل هذا الآن. لم ينجب هو

أي أولاد، فقط هي. توسلهم للمجيء إلى باريس، لكن جايسون طلب منه الانتظار بضعة أيام إضافية على الأقل. الحال صعبة جداً كما هي، من دون انضمام آخرين إليهم، مهما كانت نواياهم حسنة. شعرت ستيفي بالامتنان لأنهم لم يمانعوا قدومها إلى هنا، لكنها كانت مفيدة لهم. فقد كانوا ليضيعوا من دونها، تماماً مثل كارول. تملك كارول أصدقاء آخرين أيضاً في هوليوود، لكن بسبب مقدار الوقت الذي أمضياه معاً، والأمور التي حصلت خلال السنوات الخمس عشرة الماضية، كانت كارول أقرب إلى مساعدتها من أي شخص آخر.

"حسناً، هل فهمت؟ اليوم هو آخر يوم لك في النوم هكذا. لا مزيد من الاستلقاء هنا على قفاك، مثل مغنية مشهورة. أنت فتاة عملية. وعليك الاستيقاظ وتأليف كتابك اللعين. لن أفعل ذلك نيابة عنك. عليك كتابته بنفسك. يكفي هذا الكسل المقرف. نامي جيداً الليلة، وستستيقظين غداً. هذا هو. نفد الوقت. انتهت العطلة. لقد تجاوزناها. وإذا سألتني عن رأيي، أقول إن العطلة حتى الآن مقرفة". كانت الممرضة لتضحك لو أنها فهمت. ابتسمت لستيفي حين غادرت. سينتهي دوامها هي أيضاً بعد ساعة، وتعود إلى منزلها لملاقاة زوجها وأولادها الثلاثة. أما ستيفي فلا تملك سوى صديق، وهذه المرأة المستلقية على السرير والتي تحبها كثيراً. شعرت بإنهاك كبير حين غادرت. بقيت تتحدث إلى كارول طوال اليوم. لم تجرؤ على فعل ذلك حين كان الآخرون موجودين، واكتفت ببضع كلمات هنا وهناك. لم تخطط لهذا، لكن بعدما ذهبوا، قررت المحاولة. ليس لديهم شيء ليخسروه. لن يؤذي هذا أبداً.

أغلقت ستيفي عينيها وأرجعت رأسها إلى الخلف فيما أعادتها سيارة الأجرة إلى الفندق. كان مصورو الباباراتزي خارج الريتز، على أمل التقاط صور لولديّ كارول. وصل هاريسون فورد وعائلته للتو من الولايات المتحدة. ستصل مادونا في اليوم التالي. لأسباب خاصة بهم، قرروا تمضية مناسبة الشكر في باريس. وهكذا فعلت عائلة كارول، التي

كانت مكتئبة جداً نظراً إلى السبب المأساوي الذي أحضرهم إلى هنا. تحدثت ستيفي إلى رئيس الطهاة لتنظيم عشاء مناسبة الشكر لهم في غرفة طعام خاصة. بدا هذا أقل شيء يمكنها فعله. يستحيل العثور على الخطمي للبطاطا الحلوة هنا. أرسلها لها صديقها ألان عبر البريد السريع من الولايات المتحدة. كانت تتحدث إليه عبر الهاتف كل يوم، وتمنى لكارول الصحة، مثلما فعل الجميع، وقال إنه يدعو لها. كان رجلاً جيداً، لكن ستيفي لم تتخيل نفسها متزوجة به أو بأي شخص آخر. إنها ملتزمة بعملها، وبكارول، الآن أكثر من أي وقت مضى إذ تحتاج إليها بشدة، ومع خطر كبير.

كان الآخرون بمعنويات جيدة تلك الليلة، وتناولوا العشاء، تحت إلحاح ستيفي، في مطعم إسبادون، المطعم الرئيسي في الفندق. إنه مكان ساطع ومرح ومشغول، والطعام مذهل. لم تنضم ستيفي إليهم. خضعت لجلسة تدليك، وطلبت الحساء إلى غرفتها، وخلدت إلى النوم. شكروها جميعاً على النشاطات التي خططتها لهم ذلك اليوم. شعروا أنهم بشر من جديد. اشترت كلويه ستة أزواج أحذية وفستاناً من إيف سان لوران، كما لو أنها تفجر طاقة عصبية. لم يصدق جايسون نفسه، لكنه اشترى هو أيضاً زوجين من جون لوبس من متاجر هيرمس فيما كان ينتظرها. وعلى الرغم من أن أنطوني يكره التسوق، اشترى أربع قمصان. اشترى الرجلان بعض الملابس الإضافية، وكانت بمعظمها كنزات وسراويل جينز لارتدائها في المستشفى، خصوصاً وأنهما أحضرا القليل من الثياب معهما. شعرا بالانتعاش بعد السباحة والتدليك. وتغلب جايسون على ابنه في السكواش، علماً أن هذه صدفة نادرة، وانتصار كبير بالنسبة إليه. على الرغم من الظروف المريعة التي جاءت بهم إلى باريس، أمضوا يوماً جيداً، بفضل ستيفي ونظرتها الإيجابية حيال كل شيء. كانت هي منهكة حين خلدت إلى السرير، ونامت عميقاً عند التاسعة مساء.

وردهـم اتصال من المستشفى في الساعة السادسة من صباح اليوم التالـي. خفـق قلـب ستيفي بقوة حين سمعت الهاتف يرن. إنه جايسون. اتصلوا به هو أولاً. والاتصال في مثل هذه الساعة يعني شيئاً واحداً فقط. كان يبكي حين أجابت ستيفي.

"أوه، يا الله..."، قالت ستيفي، وهي لا تزال مترنحة، لكنها أصبحت يقظة على الفور.

"لقد استفاقت"، قال وهو يبكي. "فتحت عينيها. لا تتحدث، لكنها فتحت عينيها وأومأت للطبيب".

"يـا الله... يـا الله...". هذا كل ما استطاعت قوله ستيفي. ظنت أنها ماتت.

"سأذهب. هل تريدين المجيء؟ فكرت في أن أترك الولدين نائمين. لا أريد رفع آمالهما قبل أن نرى كيف حالها".

"سآتي. سأرتدي ثيابي خلال خمس دقائق". ثم ضحكت عبر دموعها. "لا بـد أنها سمعتني". عرفت أن حديثها الذي امتد ثماني ساعات ليس هو مـن فعل ذلك. الله والوقت أنجزا أخيراً عملهما. لكن كلماتها لم تضر في النهاية.

"ماذا قلت لها؟"، سألها وهو يمسح دموع الارتياح عن وجهه. لقد فقد الأمـل بعـد محاضرة الطبيب في اليوم السابق. لكنها الآن مستيقظة. إنها استجابة لدعائهم.

"قلت لها إننا سئمنا من هذا القرف، وعليها تحريك قفاها والعودة إلى العمل. شيء من هذا القبيل".

"عمل جيد"، قال وهو يضحك. "كان يجدر بنا تجربة هذا من قبل. لا بد أنك جعلتها تشعر بالذنب".

"أتمنى ذلك". ستكون هذه هدية رائعة لهم جميعاً في مناسبة الشكر.

"سأطرق بابك بعد خمس دقائق"، قال جايسون وأقفل السماعة. وبعدما فعـل، ارتـدت ستيفي سروال جينز وكنزة وحملت المعطف الكبير الذي

أحضرته معها. كانت تنتعل جزمة رعاة البقر التي تنتعلها غالباً في العمل. عثرت عليها في متجر بسيط وأحبتها. قالت إنها جزمة الحظ بالنسبة إليها. لا شك في أنها كذلك الآن. كانت تنتعلها أيضاً طوال يوم أمس.

تحـدثا بحماسة في طريقهما إلى المستشفى، واجتازا كل المعالم التي باتـت مألوفة الآن لهما. بالكاد استطاعا الانتظار لرؤيتها، وذكّر جايسون سـتيفي بـأن الطبيب قال إنها لا تتكلم بعد. سيستغرق ذلك بعض الوقت. لكـنها استفاقت. تبدل كل شيء بين ليلة وضحاها. في المستشفى الصامتة، أسرعا إلى غرفتها، حيث كان رجل الأمن يقف عند الباب. أومأ لهما فيما دخـلا معاً الغرفة، وافترض أن وصولهما في وقت مبكر جداً ليس علامة جـيدة. إنه صباح مشمس وبارد، وأجمل يوم في حياة ستيفي. بالنسبة إلى جايـسون، إنــه ثاني أجمل يوم بعد ولادة ولديه. هذه المرة، ولدت كارول مجدداً. لقد استفاقت!

كانـت كـارول مـستلقية على السرير مع عينين مفتوحتين حين دخلا الغـرفة، ووجـدا الطبيـبة المسؤولة عن حالتها تقف قربها. لقد وصلت للتو. اتـصلوا بهـا أولاً، وحضرت على الفور. ابتسمت لستيفي وجايسون، ومن ثم لمريـضتها. الـتقت عينا كارول بعينيّ الطبيبة فيما تحدثت إليها بلغة إنكليزية ركـيكة، لكنها لم تستجب. لم تصدر أي صوت، ولم تبتسم. راقبتها فقط. لكنها شـدّت علـى يدها حين طلبت منها الطبيبة ذلك. كان الضغط خفيفاً، وحوّلت عينـيها إلى زائريها حين سمعتهما، لكنها لم تبتسم لهما أيضاً. كان وجهها خالياً مــن التعبيـر، مثل قناع. تحدثت ستيفي إليها كما لو أنها الشخص نفسه الذي عرفته من قبل، وانحنى جايسون لتقبيلها على وجنتها. لم تتفاعل كارول مع أي منهما. وفي النهاية، أغلقت عينيها وعادت إلى النوم مجدداً. غادرت الطبيبة مع جايسون وستيفي الغرفة للتكلم في الخارج.

"لا تستجيب لنا"، علّق جايسون وهو يبدو قلقاً. كانت ستيفي متحمسة، مــصممة على عدم فقدان الأمل. إنها بداية، وأفضل بكثير مما كانت عليه من قبل.

"إنها مجرد البداية"، قالت الطبيبة لجايسون. "قد لا تتعرف إليكما بعد. خسرت ربما الكثير من ذاكرتها. فقد تأثر كل من قشرتها الدماغية وقرن آمون في الدماغ، وهما يخزنان الذكريات. لا يمكننا معرفة ماذا بقي، أو مدى سهولة نفاذها إلى الذكريات مجدداً. إذا حالفها الحظ، ستعود إليها ذاكرتها ووظيفة دماغها الطبيعية. لكن هذا يستغرق وقتاً. عليها تذكر كل شيء الآن. كيفية التحرك، كيفية الكلام، كيفية المشي. تلقى دماغها صدمة هائلة. لكننا نملك الآن فرصة. ها قد بدأنا". بدت متفائلة كثيراً. كانوا قد يئسوا تقريباً من استعادتها الوعي مجدداً. لكن هذا أثبت لهم جميعاً أن العجائب تحصل فعلاً، في وقت لا نتوقعها أبداً. ابتسمت الطبيبة لستيفي. "أخبرتني الممرضات أنك تحدثت إليها طوال يوم أمس. لا نعرف أبداً ما قد يسمعونه، أو ما إذا كان هذا يحدث فرقاً".

"رأيت أن الوقت قد حان لذلك"، قالت ستيفي بتواضع. لا بل إن الوقت تأخر كثيراً من وجهة نظرهم. فقد كان كابوساً رهيباً استمر ثلاثة أسابيع بالنسبة إلى كارول، وأسبوعاً مضنياً بالنسبة إليهم. لكنها لم تكن على الأقل مدركة لما يجري. توجب عليهم مواجهة رعب خسارتها، بوعي كامل. كانت هذه أسوأ أيام في حياة ستيفي. وقد حددت لها معنى جديداً للحياة.

"نريد إجراء المزيد من الصور الصوتية والصور بالرنين المغنطيسي اليوم، وسأرسل بطلب معالج نطق لمعرفة كيف تستجيب. يحتمل أنها لا تستطيع تذكر الكلمات بعد. سنعطيها دفعاً بسيطاً لكي تنطلق. أريد العثور على شخص يتحدث الإنكليزية"، قالت الطبيبة. أخبرتهم ستيفي أنها تتحدث الفرنسية، لكنهم يريدون إعادة تعليمها لغتها الأم. فمن الأصعب كثيراً تعليمها الفرنسية.

"أستطيع العمل معها إذا شرح لي أحد الطريقة"، تطوعت ستيفي، وابتسمت لها الطبيبة مجدداً. هذا انتصار كبير بالنسبة إليها.

"أظن أنك أنجزت عملاً جيداً معها البارحة". كانت الطبيبة كريمة في مديحها. من يعرف ما الذي أيقظها؟

عاد جايسون وستيفي إلى الفندق لإخبار أنطوني وكلويه. أيقظهما والدهما، وكان رد فعلهما مماثلاً لرد فعل ستيفي حين اتصل بها. رعب كبير على وجهيهما وفي عيونهما لحظة استفاقتهما من النوم.

"أمي؟"، قال أنطوني وهو يبدو خائفاً جداً. إنه في السادسة والعشرين، ورجل بكل معنى الكلمة، لكنها لا تزال أمه.

"لقد استفاقت"، قال جايسون وهو يبكي مجدداً. "لا تستطيع التكلم بعد، لكنها رأتنا. ستكون بخير، بنيّ". انفجر أنطوني بالبكاء. لا يعرف أي منهم مدى تحسن حالتها، لكنها على قيد الحياة، ولم تعد في غيبوبة. لا شك في أنها بداية، ومصدر ارتياح كبير بالنسبة إليهم.

وضعت كلويه ذراعيها حول عنق والدها وضحكت وبكت في الوقت نفسه، مثل طفلة صغيرة، ثم قفزت من السرير وأدت رقصة صغيرة. ثم ركضت نحو ستيفي وعانقتها.

كانوا جميعاً يضحكون ويتحادثون في أثناء الفطور، وتوجهوا لرؤيتها في تمام العاشرة صباحاً. كانت مستيقظة مجدداً حينها، ونظرت إليهم باهتمام فيما دخلوا الغرفة.

"مرحباً أمي"، قالت كلويه بمرح فيما توجهت نحو السرير وأخذت يدها، ثم انحنت لتقبيل وجنة أمها. لم تكن هناك استجابة مرئية من كارول. بدت متفاجئة فقط. لكن حتى تعابير وجهها محدودة الآن. تم نزع الضمادة عن وجنتها قبل بضعة أيام، لكن الجرح البالغ الذي أصيبت به ترك وراءه ندبة مزعجة، لكن هذا يبقى أهون مشاكلها. أصبحوا جميعاً معتادين على الندبة الآن، على الرغم من أن ستيفي عرفت أن كارول ستنزعج حين تراها، لكن الأمر لن يدوم طويلاً. فمثلما قال جايسون، يستطيع جراح تجميل ماهر ترميم الندبة حين يعودون إلى الولايات المتحدة.

استلقت كارول في سريرها تراقبهم، وحركت رأسها مرات عدة للحاق بهم بعينيها. قبّلها أنطوني أيضاً، وكانت عيناها مليئتين بالأسئلة، ثم

جــاء جايــسون للوقوف قربها وأمسك بيدها. اتكأت ستيفي على الحائط، تبتسم لها، لكن يبدو أن كارول لم تلاحظها. يحتمل أنها لا تستطيع التركيز بعد من مسافة.

"جعلتنا سعداء جميعاً اليوم"، قال جايسون لزوجته السابقة مع ابتسامة حـنونة، فـيما أبقــى يدها في يده. نظرت إليه بجمود. احتاجت إلى وقت طويل جداً لكنها جمعت أخيراً كلمة واحدة وقالتها له.

"مت... ت... عبة... متعبة".

"أعرف أنك متعبة حبيبتي"، قال برفق. "بقيت نائمة لوقت طويل".

"أحــبك أمــي"، أضافت كلويه، وردد أنطوني الكلمة نفسها. حدقت كارول إليهم كما لو أنها لا تعرف ما يعنيه ذلك، ثم تحدثت مجدداً.

"مــا...ء". أشارت إلى الكوب بيد ضعيفة، ووضعته الممرضة على شــفتيها. تذكــرت ستيفي فجأة آن بانكروفت في **العاملة الأسطورة**. إنهم يــنطلقون مجــدداً مــن البداية. لكنهم يسيرون الآن على الأقل في الاتجاه الــصحيح. لم تقل كارول أي شيء مباشرة لأي منهم، ولم تلفظ أسماءهم. اكــتفت فقــط بمراقبتهم. بقوا معها حتى الظهر، ثم تركوها. بدت كارول مــرهقة، وبــدا صوتها كأنه ليس صوتها حين تحدثت في المرتين. ظنت ســتيفي أن صــوتها لا يــزال خــشناً نتيجة جهاز التنفس، وبدت عيناها عملاقتــين فــي وجهـهـا. لقد خسرت الكثير من الوزن، وكانت نحيلة في الــسابق. لكنها لا تزال جميلة، حتى الآن. أكثر من أي وقت مضى، مهما كانــت نحــيلة. بدت وكأنها تؤدي دور ميمي في **الغجرية**. بدت مثل بطلة تــراجيدية فــيما استلقت في سريرها، لكن التراجيديا انتهت بالنسبة إليهم جميعاً.

التقــى جايــسون بالطبيبة في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم. قررت كلويه الذهاب للتسوق مجدداً، هذه المرة للاحتفال. علاج بالتسوق، مــثلما أسمته ستيفي. وذهب أنطوني إلى النادي الرياضي للتمرّن. شعروا بتحــسن كبيــر، وبذنب أقل لعودتهم إلى نشاطاتهم وحياتهم الطبيعية. حتى

إنهــم تــناولوا غداء كبيراً في لو فولتير، المطعم المفضل عند كارول في باريس مثلما يعرفون جميعاً. قال جايسون إنه غداء احتفالي على شرفها.

قالــت الطبيبة المسؤولة عن كارول إن صور الرنين المغنطيسي والصور الصوتية التي أُخذت لكارول تبدو جيدة، وهي كذلك منذ فترة. مــا من تلف ظاهر في دماغها، وهذا أمر لافت. أما الخدوش الصغيرة الأولــية فــي الأعــصاب فقد شفيت. لكن ما من طريقة لتقييم خسارة الذاكرة التي لحقت بها، أو التوقع بعدد وظائف الدماغ التي ستعود إلى طبيعتها. وحده الوقت كفيل بإخبار ذلك. لا تزال تتعرف إلى الأشخاص حــين يــتحدثون إليها، ولفظت بعض الكلمات بعد ظهر اليوم، معظمها مرتبط بحالتها الجسدية، وليس بأي شيء آخر. قالت: "برد" حين فتحت الممرضــة الــنافذة، و"آو" حين سحبوا الدم من ذراعها، ومجدداً حين عدّلوا أنبوب المصل. إنها تستجيب للألم والإحساس، لكنها تبقى خالية مــن أي تعبيــر حين تطرح عليها الطبيبة أسئلة تتعدى أجوبتها "نعم" و"لا". وحــين ســألوها عــن اسمها، هزّت رأسها. قالوا لها إن اسمها كــارول، وهزت كفتها. الأمر غير مهم بالنسبة إليها. وقالت الممرضة إنهم حين ينادونها باسمها، لا تستجيب. وبما أنها لا تعرف اسمها، من المــستبعد أن تتذكــر أســماءهم. الأهم من ذلك أن الطبيبة متأكدة بأن كارول لا تعرف في الوقت الحاضر من يكونون.

رفض جايسون فقدان العزيمة نتيجة ذلك، وحين أخبر ستيفي بالأمر لاحقــاً، قــال لها إنها مسألة وقت. يتمسك بقوة بالأمل مجدداً. بقوة كبيرة ربما، برأي ستيفي. فقد أدركت هي في قرارة نفسها أن كارول قد لا تعود أبداً هي نفسها مجدداً. إنها مستيقظة، لكن الطريق طويلة جداً قبل أن تعود كارول هي نفسها مجدداً، إذا حصل ذلك يوماً ما. لا يزال هذا السؤال من دون جواب.

انتــشر الخبر من المستشفى إلى الصحافة في ذلك اليوم، وذكرت الصحافة في اليوم التالي أن كارول باربر استفاقت من الغيبوبة. ابتعدت

عن مرحلة الخطر منذ أيام عدة. لا تزال خبراً دسماً. وبدا جلياً لستيفي أن أحداً في المستشفى يقبض المال لتسريب الأخبار عن كارول. ليس هذا أمراً مستغرباً، حتى في الولايات المتحدة، لكنه مقرف برأيها في كل الأحوال. يترافق ذلك مع كونها نجمة، لكنه ثمن باهظ جداً. جرى التلميح في المقالة إلى أنها أصيبت ربما بتلف دائم في الدماغ. لكن الصورة المرفقة مع المقالة رائعة فعلاً. التقطت لها قبل عشر سنوات، في أوج جمالها، على الرغم من أنها لا تزال تبدو جميلة الآن، قبل التفجير على أي حال. وبعد أخذ كل الأمور في الاعتبار، تبدو جميلة جداً بالنسبة إلى امرأة تعرضت لإصابة في الدماغ ونجت بأعجوبة من تفجير قنبلة.

جاءت الشرطة لزيارتها ما إن علمت أنها استفاقت من الغيبوبة. سمحت لهم الطبيبة بالتحدث إليها باختصار، لكن اتضح لهم بعد دقائق قليلة أنها لا تتذكر أي شيء عن الانفجار ولا أي شيء آخر. غادر رجال الشرطة من دون أي معلومات إضافية منها.

استمر جايسون والولدان في زيارة كارول، تماماً مثل ستيفي، واستمرت هي في إضافة كلمات إلى مجموع مفرداتها. *كتاب. بطانية. عطشانة. لا!* كانت تشدد كثيراً على هذه الكلمة الأخيرة، خصوصاً حين يأتون لسحب دم منها، وسحبت ذراعها بعيداً في المرة الأخيرة وحدقت إلى الممرضة وقالت لها: "سيئة"، ما جعلهم جميعاً يبتسمون. أخذوا منها الدم في النهاية، وانفجرت بالبكاء، وبدت متفاجئة وقالت: "بكاء". تحدثت إليها ستيفي كما لو أنها طبيعية، وكانت كارول تجلس أحياناً وتحدق إليها لساعات عدة من دون قول أي شيء. تستطيع الجلوس الآن، لكنها لا تزال عاجزة عن تركيب الكلمات في جملة، أو لفظ أسمائهم. بدا واضحاً قبل يوم واحد من مناسبة الشكر، وبعد ثلاثة أيام من استفاقتها من الغيبوبة، أنها لا تملك أي فكرة عمن يكونون جميعاً. لم تتعرف إلى أحد، ولا حتى ولديها. شعروا جميعاً بالاستياء نتيجة ذلك، لكن كلويه كانت الأكثر كآبة.

"لا تعرفني!"، قالت كلويه والدموع في عينيها حين غادرت المستشفى مع والدها للعودة إلى الفندق.

"ستفعل ذلك، حبيبتي. امنحيها الوقت".

"ماذا لو بقيت هكذا؟". تحدثت علناً عن أسوأ مخاوفهم. لم يتجرأ أحد بعد على قول ذلك.

"سنأخذها إلى أفضل الأطباء في العالم"، طمأنها جايسون، وكان يقصد ذلك فعلاً.

قلقت ستيفي من ذلك أيضاً. استمرت في التحدث مطولاً إلى كارول، لكن صديقتها ومديرتها بدت خالية من أي تعبير. كانت تبتسم بين الحين والآخر للأشياء التي تقولها ستيفي، لكنها لم تتذكر أبداً من تكون ستيفي بالنسبة إليها. الابتسام جديد عليها. وكذلك الضحك. شعرت كارول بالخوف حين فعلت ذلك للمرة الأولى، وانفجرت فوراً في البكاء. بدا الأمر شبيهاً بمراقبة طفل. لديها الكثير من الأمور الواجب تعلمها، والكثير من العمل الواجب فعله. كانت معالجة النطق تعمل معها. عثروا على معالجة بريطانية عملت مع كارول بكدّ. أخبرت كارول باسمها وطلبت منها تكراره مرات عدة. أملت في أن يؤدي نمط التكرار إلى إشعال شرارة، لكن أي شيء لم ينجح حتى الآن.

في صباح مناسبة الشكر، أخبرتها ستيفي عن المناسبة هذا اليوم وما يعنيه ذلك في الولايات المتحدة. أخبرتها بما سيأكلونه لهذه المناسبة، وبدت كارول محتارة. أملت ستيفي في أن يعيد ذلك ذاكرتها، لكن الأمر لم ينجح.

"حبش. ما هذا؟"، قالت كما لو أنها لم تسمع أبداً بالكلمة من قبل، وابتسمت ستيفي.

"إنه طير نأكله في وجبة الغداء".

"يبدو مقرفاً"، قالت كارول مع إيماءة في وجهها، فضحكت ستيفي.

"إنه أحياناً كذلك. لكنه تقليد".

"ريش؟"، سألت كارول باهتمام. عودة إلى الأمور الأساسية. الطيور تملك ريشاً. تذكرت هذا على الأقل.

"لا. حشوة. لذيذ". وصفت لها الحشوة، فيما استمعت كارول باهتمام.

"صعب"، قالت بعد ذلك، فيما ملأت الدموع عينيها. "التحدث. كلمات. لا أستطيع العثور عليها". بدت محبطة للمرة الأولى.

"أعرف. أنا آسفة. سيعود كل شيء. يجدر بنا الانطلاق ربما بالكلمات البذيئة. سيكون الأمر ممتعاً أكثر ربما. تعرفين مثل اللعنة، نذل، لعين، الكلمات الجيدة. لمَ القلق بشأن الحبش والحشوة؟".

"كلمات سيئة؟". أومأت ستيفي برأسها، وضحكت المرأتان. "نذل"، قالت كارول بفخر. "اللعنة". بدا واضحاً أنها لا تعرف أبداً معنى هذه الكلمات.

"ممتاز"، قالت ستيفي مع نظرة حنونة. أحبت هذه المرأة أكثر مما أحبت أمها أو أختها. إنها بالفعل أفضل صديقة لها.

"الاسم؟"، سألت كارول وهي تبدو حزينة مجدداً. "اسمك"، صححت. إنها تحاول تمديد لغتها. أرادت معالجة النطق أن تقول جملاً كاملة، لكنها تعجز عن ذلك في معظم الأوقات. ليس بعد".

"ستيفي. ستيفاني مورو. أعمل معك في لوس أنجلوس ونحن صديقتان". تلألأت الدموع في عينيها حين قالت ذلك، ثم أضافت "أحبك. كثيراً. أظن أنك تحبينني أنت أيضاً".

"جيد"، قالت كارول. "ستيفي". حاولت لفظ الكلمة. "أنت صديقتي". هذه أطول عبارة لفظتها حتى الآن.

"نعم، أنا كذلك".

دخل حينها جايسون إلى الغرفة لإعطاء كارول قبلة قبل عشاء مناسبة الشكر في الفندق. الولدان يرتديان ثيابهما في فندق الريتز، بعد أن ذهبا للسباحة ذلك الصباح. نظرت كارول إليه وابتسمت.

"لعين. نذل". قالت له، وبدا مذهولاً، ثم ألقى نظرة سريعة على ستيفي، متسائلاً عما حصل، وما إذا كانت كارول تفقد وعيها مجدداً. "كلمات جديدة". ابتسمت بفخر.

"أوه، رائع. لا بد أن هذا مفيد". ضحك وجلس.

"اسمك؟"، سألت. أخبرها بذلك من قبل، لكنها نسيت.

"جايسون". بدا لبرهة حزيناً.

"هل أنت صديقي؟".

تردد لبرهة قبل الإجابة، وحاول أن يبدو طبيعياً وعفوياً نوعاً ما حين أجابها. إنها لحظة صعبة جداً، وتشير مجدداً إلى أنها لا تتذكر أي شيء من الماضي. "كنت زوجك. كنا متزوجين. لدينا ولدان. أنطوني وكلويه. كانا هنا البارحة". بدا متعباً، وإنما حزيناً جداً.

"ولدان؟"، بدت متفاجئة، ثم أدرك السبب.

"أصبحا كبيرين الآن، ناضجين. إنهما ولدانا، لكنهما في الثانية والعشرين والسادسة والعشرين. كانا هنا لزيارتك. رأيتهما معي. تعيش كلويه في لندن ويعيش أنطوني في نيويورك، ويعمل معي. أنا أعيش في نيويورك أيضاً". هذه معلومات كثيرة بالنسبة إليها دفعة واحدة.

"أين أعيش أنا؟ معك؟".

"لا. تعيشين في لوس أنجلوس. لم نعد متزوجين. لم نعد كذلك منذ وقت طويل".

"لماذا؟". غاصت عيناها في عينيه حين سألته ذلك. أرادت أن تعرف كل شيء الآن، لكي تعرف من تكون. إنها تائهة.

"إنها قصة طويلة. يجدر بنا التحدث عنها مرة أخرى ربما". ولم يشأ أي منهما إخبارها عن شون. لا يزال الوقت مبكراً. لا تعرف أنه كان موجوداً في حياتها حتى، ولا تحتاج إلى أن تعرف بأنها خسرته قبل سنتين. "نحن مطلقان".

"هذا حزين"، قالت. بدت أنها فهمت ما تعنيه كلمة "مطلقان"، وهذا ما وجدته ستيفي محيراً. لديها بعض المفاهيم والكلمات، فيما تبدو أمور أخرى ضائعة تماماً منها. هذا غريب.

"نعم، هذا صحيح"، وافقها جايسون. ثم أخبرها جايسون عن مناسبة الشكر أيضاً، وعن المأدبة التي سيقيمونها في الفندق.

"يبدو أن هناك الكثير من الطعام. مقرف". أومأ برأسه وضحك.

"نعم، أنت محقة. لكنها عطلة جميلة. إنه يوم للشكر على الأشياء الجيدة التي حصلت، والنِعم التي لدينا. مثل جلوسك هنا وتحدثك إليّ في الوقت الحاضر"، قال لها مع نظرة حنونة. "أنا ممتن لك هذه السنة. جميعنا كذلك، كارول"، قال فيما غادرت ستيفي الغرفة بهدوء، لكنه أخبرها أنها تستطيع البقاء. لم تعد هناك أسرار بينهما هذه الأيام.

"أنا ممتنة لكما معاً"، قالت وهي تنظر إليهما معاً. ليست واثقة ممن يكونان، لكنهما لطيفان معها، وتستطيع الإحساس بالحب المتدفق نحوها. هذا ملموس في الغرفة.

تحدثا إليها لبعض الوقت، وعادت إليها بعض الكلمات الإضافية، المرتبطة كلها بالمناسبة. كلمة *فطيرة لحمة* وكلمة *فطيرة يقطين* جاءتا من حيث لا تدري، على الرغم من أنها لا تعرف أبداً ما تعنيهما الكلمتان. ذكرت ستيفي فقط كلمة فطيرة التفاح أمامها، لأن الفندق لم يستطع تأمين أنواع أخرى. وأخيراً، نهض جايسون وستيفي للمغادرة.

"سنعود إلى الفندق لتناول عشاء مناسبة الشكر مع أنطوني وكلويه"، شرح جايسون مع نظرة حنان إلى كارول فيما أمسك بيدها. "أتمنى لو تستطيعين القدوم معنا". عبست حين ذكر أمامها الفندق، كما لو أنها تحاول سحب شيء من كمبيوتر عقلها لكنها لا تفلح في ذلك.

"أي فندق؟".

"الريتز. إنه الفندق الذي تنزلين فيه دوماً في باريس. تحبينه. إنه جميل. سيحضرون لنا عشاء حبش في غرفة طعام خاصة". لديهم الكثير لشكره هذه السنة.

"يبدو هذا جميلاً"، قالت كارول وهي تبدو حزينة. "لا أستطيع تذكر أي شيء. من أكون، من تكون، أين أعيش... الفندق... لا أتذكر حتى مناسبة الشكر، أو الحبش أو الفطائر". ظهرت دموع الأسى والحرمان في عينيها، ورؤيتها هكذا مزّقت قلبيهما.

"ستتذكرين"، قالت ستيفي بهدوء. "امنحي نفسك الوقت. هناك الكثير من المعلومات لتحاولي استعادتها دفعة واحدة. تمهلي"، قالت مع نظرة حنونة. "ستصلين إلى هدفك. أعدك".

"هل تحافظين على وعودك؟"، سألت وهي تنظر إلى ستيفي مباشرة في عينيها. عرفت ما تعنيه كلمة وعد، حتى لو لم تتذكر اسم الفندق.

"دوماً"، قالت ستيفي وهي ترفع يدها بطريقة القسم، ثم شبكت إصبعيها فوق صدرها، وابتسمت كارول ابتسامة عريضة وتحدثت إليها بانسجام.

"أقسم بالله. أتذكر ذلك!"، قالت بانتصار. وضحكت ستيفي مع جايسون.

"رأيت! تتذكرين الأشياء المهمة، مثل أقسم بالله. ستعثرين على البقية"، قالت ستيفي مع نظرة حنونة.

"أتمنى ذلك"، قالت كارول بحماسة، فيما قبّلها جايسون على جبينها وشدّت ستيفي على يدها. "استمتعوا بالعشاء. تناولوا بعض الحبش نيابة عني".

"سنحضر لك بعضاً منه الليلة"، وعدها جايسون. كان يخطط هو والولدان للعودة إليها بعد انتهاء وجبة الطعام.

"مناسبة شكر سعيدة"، قالت ستيفي فيما انحنت لتقبيل وجنة كارول. من الغريب فعل ذلك لأن ستيفي أصبحت غريبة الآن بالنسبة

إلى كارول، لكنها فعلت ذلك على أي حال، وأمسكت كارول بيدها حين فعلت ذلك".

"أنت طويلة"، قالت لها وابتسمت ستيفي ابتسامة عريضة.

"نعـم أنا طويلة". إنها أطول من جايسون، بالكعب العالي، فيما طوله يـتعدى سـتة أقـدام. "وأنت أيضاً، وإنما لست طويلة مثلي. مناسبة شكر سعيدة، كارول. أهلاً بك مجدداً في العالم".

"اللعنة"، قالت كارول مع ابتسامة عريضة، وضحكت المرأتان. ظهر شـيء مـن الاحتيال في عينيها هذه المرة، وبالإضافة إلى الامتنان الكبير لكـون كارول حية وواعية، أملت فقط في أن تعود كارول في نفسها يوماً ما، وتعود الأوقات الجيدة مرة أخرى. كان جايسون قد غادر الغرفة حينها، فيما ابتسمت لها ستيفي ابتسامة عريضة.

"اللعنة عليك"، قالت ستيفي. "هذا مصطلح جيد لتعلمه. مفيد جداً".

ابتـسمت لها كارول ابتسامة عريضة ونظرت في عينيّ المرأة التي كانـت صـديقتها طوال خمس عشرة سنة. "اللعنة عليك أنت أيضاً"، قالت بوضـوح، وضحكت المرأتان فيما نفخت لها ستيفي قبلة وغادرت الغرفة. لـم تكن هذه مناسبة الشكر التي توقعتها أي منهما، لكنها الأفضل في حياة ستيفي. وربما في حياة كارول أيضاً.

الفصل السابع

جـاء ماتيو لرؤية كارول بعد ظهر يوم مناسبة الشكر، بمحض الصدفة، فـيما كانت ستيفي وأفراد عائلتها يتناولون مأدبة مناسبة الشكر في الفندق. كان حـذراً بشأن زيارتها. لم يشأ الالتقاء بهم. لا يزال يشعر بالغرابة من ذلك، أياً تكن الظروف الآن. وكانت الأمور حزينة جداً في البداية، بحيث لم يشأ التطفل علـيهم فـي خـضم صدمتهم وحزنهم. لكنه قرأ في الجريدة أنها استفاقت من الغيبوبة وأصبحت أفضل حالاً، فجاء مجدداً. لم يستطع المقاومة.

دخـل بـبطء إلـى الغرفة ونظر إليها، بحيث تشبّع منها. إنها المرة الأولـى التي يراها مستيقظة. قفز قلبه حين رآها. ما من دليل في عينيها بأنهـا تعرّفت إليه. لم يكن واثقاً في البداية ما إذا كان هذا ناجماً عن الفترة التي أمضتها في الغيبوبة أو الضربة على رأسها. لكن بعد كل العلاقة التي جمعـتهما ببعضهما، لم يتخيل أنها لم تتذكره. فكّر فيها كل يوم. ويصعب التـصديق أنـه، في حالتها الطبيعية، لم تكن لتفعل الشيء نفسه أو تتذكر وجهه على الأقل.

التفـتت نحوه بدهشة وفضول فيما دخل الغرفة، ولم تتذكر أنها رأته من قـبل. كـان رجلاً طويلاً ووسيماً وأشيب الشعر، مع عينين زرقاوين حادقتين ووجه جاد. بدا مثل شخص صاحب نفوذ، وتساءلت ما إذا كان طبيباً.

"مـرحبا كـارول". كـان أول من استهل الحديث. تحدث إليها بلكنة إنكليـزية ثقـيلة، وهو غير واثق ما إذا كانت تذكر الفرنسية، علماً أنها لا تذكرها في الوقت الحاضر.

"نعم، كنا كذلك". جلسا بعدها بصمت لبعض الوقت، ثم اقترب بحذر من السرير وأمسك يدها برفق. سمحت له بفعل ذلك، إذ لم تعرف ما يجدر بهـــا فعله. "أنا مسرور لأنك تتحسنين. جئت لزيارتك فيما كنت نائمة. من الرائع فعلاً أنك استيقظت". عرفت أن الأمر مماثل للآخرين أيضاً. "اشتقت إلـــيك كارول. فكّرت فيك طوال هذه السنوات". أرادت سؤاله عن السبب، لكـــنها لم تجرؤ. بدا الأمر معقداً كثيراً بالنسبة إليها. ثمة شيء في نظرته جعلها تشعر بالقلق. لم تستطع تحديد الشعور، لكنه مختلف جداً عن طريقة نظـــر جايـــسون، أو ولـــديها إليها. بدا الآخرون أكثر صراحة. ثمة شيء غامض في هذا الرجل، كما لو أن هناك الكثير من الأمور التي لا يخبرها بها وإنما يقولها بعينيه. تصعب عليها قراءتها.

"أشـــكرك على الزيارة"، قالت بتهذيب، بعد أن وجدت عبارة خطرت بـــبالها فجـــأة. يحدث مثل هذا الأمر أحياناً، فيما تضطر أحياناً أخرى إلى المكافحة للعثور على كلمة واحدة.

"هـــل أســـتطيع المجيء لرؤيتك مجدداً؟". أومأت برأسها، وهي غير واثقـــة ممـــا يجـــب قوله. اللباقات الاجتماعية تربكها ولا تزال تجهل من يكـــون. أحست أنه كان أكثر من صديق، لكنه لم يقل إنهما كانا متزوجين. تصعب عليها معرفة من كان في حياتها.

"شـــكراً على الأزهار. إنها جميلة"، قالت وهي تبحث في عينيه عن الأجوبة التي لم يلفظها بكلمات.

"وأنـــت كذلك، عزيزتي"، قال لها وهو لا يزال يمسك بيدها. "لطالما كنت كذلك، ولا تزالين حتى الآن. تبدين مثل فتاة صغيرة".

بـــدت متفاجـــئة حيـــنها إذ أدركت شيئاً لم يخطر ببالها من قبل. "لا أعـــرف كـــم هو عمري. هل تعرف أنت؟". يسهل عليه إجراء الحسابات، بإضافة خمس عشرة سنةً إلى العمر الذي كانت عليه حين غادرت فرنسا. عـــرف أن عمرها الآن خمسون سنة، على الرغم من أنها لا تبدو كذلك، لكنه لم يعرف ما إذا كان يجدر به قول ذلك لها.

"لا أظـــن أن الأمر مهم. لا تزالين شابة جداً. أنا رجل عجوز الآن. عمـــري ثمـــانٍ وستون سنة". كشف وجهه عن عمره، لكن روحه لا. فهو مشبع بالكثير من الطاقة والقوة بحيث تكذّب طلته عمره.

"تـــبدو شاباً"، قالت بلطف. "إذا لم تكن طبيباً، فماذا تفعل؟"، سألته. لا يـــزال يـــبدو مثل طبيب بالنسبة إليها، ينقصه فقط المعطف الأبيض. كان يـــرتدي بزة كحلية، ومعطفاً رمادياً فوقها. كان مرتب الملابس، مع قميص أبـــيض وربطة عنق داكنة، فيما شعره الأشيب مقصوص ومرتب، ونظارة فرنسية.

"أنا محامٍ". لم يخبرها عن منصبه السابق. لم يعد هذا مهماً.

أومـــأت برأســـها وهي تراقبه مجدداً، فيما رفع يدها إلى شفتيه وقبّل أصـــابعها برفق. لا تزال أصابعها مرضوضة من الحادثة. "سآتي لزيارتك مجدداً. يفترض أن تتحسني الآن". ثم أضاف: "أفكر فيك طوال الوقت". لا تعرف لماذا. من المحبط عدم تذكر أي شيء من ماضيها، ولا حتى عمرها أو من تكون. هذا يعطي أفضلية للجميع عليها. إنهم يعرفون كل ما تجهله. والآن هذا الغريب الذي يعرف جزءاً من ماضيها أيضاً.

"شـــكراً"، هو كل ما استطاعت قوله له، فيما أعاد يدها برفق إلى الـــسرير. ابتسمت له مجدداً، وغادر بعد برهة. تعرفت إليه الممرضة الموجـــودة فـــي الغـــرفة، لكنها لم تقل أي شيء لكارول. لا يحق لها التعليق على وزراء سابقين يزورونها. فهي في النهاية نجمة سينمائية، وتعرف ربما نصف الأشخاص المهمين في العالم. لكن يتضح جلياً أن ماتـــيو دو بيانكور متعلق كثيراً بها ويعرفها جيداً. حتى كارول أحست بذلك.

جاء الآخرون ذلك المساء بعد الانتهاء من العشاء. كانوا في معنويات جـــيدة، وأحضرت لها ستيفي عيّنة من كل شيء كان موجوداً في أطباقهم، وعـــرّفتها بكل شيء. تذوقته كارول باهتمام، وقالت إنها لم تحب الحبش، لكنها تظن أن المارشمالو (حلوى الخطمي) جيد جداً.

"أنت تكرهين الخطمي أمي"، أبلغتها كلويه مع نظرة دهشة. "لطالما قلت إنها قذارة ولم تسمحي لنا بأكلها حين كنا صغيرين".

"هذا مؤسف جداً. فقد أحببتها"، قالت مع ابتسامة خجولة، ثم مدّت يدها نحو ابنتها الصغرى. "أنا آسفة لأنني لا أعرف أي شيء الآن. سأحاول التذكر". أومأت كلويه برأسها فيما ملأت الدموع عينيها.

"هذا جيد أمي. سنساعدك. معظمه لم يكن مهماً".

"بلى هو مهم"، قالت كارول برفق. "أريد أن أعرف كل شيء. ماذا تحبين، ولا تحبين، ما الذي نحب فعله معاً، ماذا فعلنا حين كنت فتاة صغيرة".

"كنت تسافرين كثيراً"، قالت كلويه بنعومة، فيما وجّه إليها والدها نظرة تحذير. لا يزال الوقت مبكراً جداً للحديث عن ذلك.

"لماذا كنت أسافر كثيراً؟". بدت كارول جامدة مجدداً.

"كنت تعملين كثيراً"، قالت كلويه ببساطة، وحبس أنطوني أنفاسه أيضاً. لقد سمع ذلك طوال سنوات، وهذه المحادثات بين أمه وأخته لم تنته يوماً بخير. أمل ألا يتكرر الأمر الآن. لا يريد من كلويه أن تزعج أمهما في هذه المرحلة. لا تزال ضعيفة جداً، ومن غير العادل اتهامها بأشياء لا تعرفها. لا تملك كارول أي طريقة للدفاع عن نفسها.

"لماذا؟ ماذا كنت أفعل؟". ألقت كارول نظرة سريعة على ستيفي فيما طرحت السؤال، كما لو أن المرأة الشابة تستطيع مساعدتها. باتت تشعر بالرابط الموجود بينهما، حتى لو كانت تجهل التفاصيل ولا تتذكر وجهها أو اسمها.

"أنت ممثلة"، شرحت لها ستيفي. لم يخبرها أحد بذلك بعد. "ممثلة مهمة جداً. أنت نجمة كبيرة".

"حقاً؟". بدت كارول مذهولة. "هل يعرفني الناس؟". بدا المفهوم بأكمله غريباً عليها.

ضحكوا جميعاً، ثم تحدث جايسون. "يجدر بنا ربما إيقاعك متواضعة وعدم إخبارك. قد تكونين إحدى أشهر نجمات السينما في العالم".

"كم هذا غريب". إنها المرة الأولى التي تتذكر فيها كلمة غريب، وضحكوا جميعاً.

"ليس غريباً على الإطلاق"، قال جايسون. "أنت ممثلة ممتازة. وأنجزت الكثير من الأفلام وفزت ببعض الجوائز المهمة: جائزتا أوسكار وجائزة غولدن غلوب". ليس أكيداً إذا كانت تعرف معنى ذلك الآن، لكن تعابير وجهها قالت إنها لم تفهم. إلا أن كلمة *أفلام* أيقظت ذاكرة لديها. إنها تعرف ما تعنيه. "جميع من في العالم يعرفك".

"وماذا يعني ذلك بالنسبة إليك؟"، التفتت وسألت كلويه، وبدت لبرهة مثلما عرفها الجميع من قبل. كل من في الغرفة حبس أنفاسه وانتظر جواب كلويه.

"ليس جيداً كثيراً"، همست كلويه. "كان الأمر صعباً حين كنا صغيرين". بدت كارول حزينة عليها فيما قالت ذلك.

"لا تكوني سخيفة"، قاطعها أنطوني، وهو يحاول تخفيف الأجواء. "من الرائع أن تكون الأم نجمة سينمائية. حسدنا الجميع، وذهبنا إلى أماكن رائعة، وكنت فاتنة. لا تزالين كذلك". ابتسم لأمه. لطالما كره النفور بينهما، واستياء كلويه فيما كبرا، على الرغم من أن الأمر تحسن في السنوات الأخيرة.

"ربما كان الأمر جميلاً بالنسبة إليك"، قالت له كلويه بغضب. "لم يكن كذلك بالنسبة إليّ". التفتت نحو أمها، فيما نظرت إليها كارول بحنان وشدّت على يدها.

"أنا آسفة"، قالت كارول ببساطة. لا يبدو الأمر ممتعاً لي أنا أيضاً. كنت لأريد أمي معي طوال الوقت لو كنت صغيرة". ثم نظرت فجأة إلى جايسون. تذكّرت للتو سؤالاً مهماً آخر. من المريع عدم معرفة أي شيء. "هل لديّ أم؟". هزّ رأسه، وشعر بالارتياح لأنه جرى تغيير الموضوع لبرهة. لقد عادت كارول من الموت بعد أسابيع مرعبة بالنسبة إليهم، ولا يريد أن تزعجها كلويه، أو حتى تبدأ شجاراً معها، وهم يعرفون جميعاً أنها

قادرة على ذلك. هناك الكثير من المسائل القديمة، بين الأم وابنتها، وعدد قليل بين الأم وابنها. لم يمتعض أنطوني أبداً من عمل أمه، وكانت توقعاته دوماً أقل من توقعات كلويه. لقد كان أكثر استقلالية، حتى عندما كان صغيراً.

"توفيت أمك حين كان عمرك سنتين"، شرح لها. "وتوفي والدك حين كان عمرك ثماني عشرة سنة". إنها يتيمة إذاً. تذكرت الكلمة على الفور.

"أين ترعرعت؟"، سألت باهتمام.

"في الميسيسيبي. في مزرعة". لم تتذكر أي شيء. تم اكتشافك حينها وذهبت إلى هوليوود في عمر الثامنة عشرة. كنت تعيشين في نيو أورليانز حين اكتشفوك". أومأت برأسها ووجهت انتباهها مجدداً إلى كلويه. أصبحت مهتمة بها الآن أكثر مما هي مهتمة بماضيها الخاص. هذا جديد. بدا وكأنها عادت شخصاً مختلفاً، مختلفاً قليلاً، وإنما تغيرت إلى الأبد ربما. لا يزال الوقت مبكراً لمعرفة الجواب. إنها تنطلق من الصفر، وعليها الاعتماد عليهم لتزويدها بالأخبار. لقد فعلت كلويه ذلك بصدقها وصراحتها المعهودين. أقلقهم ذلك جميعاً في البداية، لكن ستيفي رأت فجأة أن الأمر قد يكون لصالحها. كارول تستجيب جيداً. تريد أن تعرف كل شيء عن نفسها، وعنهم، سواء أكان جيداً أم سيئاً. تحتاج إلى ملء الفراغات بين السطور، علماً أن هناك الكثير من الفراغات.

"أنا آسفة لأنني كنت أسافر كثيراً. عليك أن تخبريني عن ذلك. أريد سماع كل شيء، وما كان وقع الأمر عليك. لقد فات الأوان قليلاً، وأصبحت ناضجة. لكننا نستطيع ربما تغيير بعض الأمور. ما رأيك الآن؟".

"لا بأس"، قالت كلويه بصراحة. "أعيش في لندن. جئت لزيارتي. أذهب إلى المنزل في عطلة الميلاد ومناسبة الشكر. لم أعد أحب لوس أنجلوس. أحب لندن أكثر".

"في أي جامعة درست؟"، استفسرت كارول.

"ستانفورد".

بدت كارول خالية من أي تعبير. لم يذكرها ذلك بأي شيء.

"إنها جامعة رائعة"، قال جايسون، وأومأت كارول برأسها ثم ابتسمت لابنتها.

"لا أتوقع منك شيئاً أقل". ابتسمت كلويه هذه المرة.

تحدثوا بعد ذلك في موضوعات أكثر سهولة، ثم عادوا إلى الفندق. بدت كارول متعبة حين غادروا. كانت ستيفي آخر من غادر الغرفة، وهمست لصديقتها فيما تريثت لدقيقة.

"أبليت حسناً مع كلويه".

"عليك إطلاعي على بعض الأمور. أنا لا أعرف شيئاً".

"سنتحدث"، وعدتها ستيفي، ثم لاحظت الورود على طاولة في زاوية الغرفة. هناك أربع وعشرون وردة على الأقل، وكلها حمراء مع أعناق طويلة. "ممن هذه الورود؟".

"لا أعرف. رجل فرنسي جاء لرؤيتي. نسيت اسمه. قال إننا صديقان قديمان".

"تفاجأت لأن رجال الأمن سمحوا له بالدخول. لا يفترض بهم ذلك". يفترض أن يُسمح فقط لأفراد العائلة بزيارتها، لكن ما من رجل أمن فرنسي يستطيع طرد وزير فرنسي سابق. "يستطيع أي شخص أن يقول إنه صديق قديم. إذا لم ينتبهوا، سيحتاج إليك المعجبون". لقد أوقفوا مئات الباقات في الأسفل. وقد وزعتها ستيفي مع جايسون على كل المرضى الآخرين، علماً أنها كانت لتملأ غرفاً عدة. "ألم تتعرفي إليه؟". إنه سؤال سخيف، لكنها فكرت في طرحه على أي حال، لأنها قد تتذكر ربما. لا يمكن التوقع أبداً. عاجلاً أم آجلاً، ستعود بعض ذكريات الماضي. تتوقع ستيفي أن يحصل ذلك في أي يوم، وتأمل أن يحصل ذلك فعلاً.

"طبعاً لا"، قالت كارول ببساطة. "لا أتذكر ولدي، فكيف أتعرف إليه؟".

"مجـرد سـؤال. سـأطلب مـن الحارس أن يكون أكثر حذراً". لقد لاحظـت مـن قبل بعض الأمور التي لم تعجبها بشأن الحراسة، واشتكت مـنها. فحـين يكون الحارس في إجازة، لا يحلّ مكانه أحد ويستطيع أي شـخص الدخـول إلـى الغرفة. ويبدو أن أحدهم فعل ذلك. إنهم يريدون حراسة أفضل من هذه لكارول. "أزهار جميلة على أي حال".

"كان لطيفاً. لم يمكث لوقت طويل. قال إنه يعرف ولديّ أيضاً".

"يـستطيع أي شـخص قـول ذلـك". عليهم حمايتها من المتطفلين والباباراتـزي والمعجبـين، أو أسوأ. فهي تبقى هي في النهاية. ولم يسبق للمستـشفى أن تعاطـت مـع نجمـة بعظمتها. تحدثت إلى جايسون بشأن استئجار حارس خاص لها، لكن المستشفى أصرّت على أنها تستطيع تدبر الأمـر. ستذكّرهم ستيفي بضرورة تشديد الرقابة. فآخر شيء يريدونه هو تـسلل مـصوّر إلـى غرفتها والتقاط صورة لها. فالتطفل الذي بات غير مألوف الآن يزعج كارول كثيراً على الرغم من أنها كانت تتعاطى معه في السابق بشكل يومي تقريباً. "أراك غداً. مناسبة شكر سعيدة، كارول"، قالت ستيفي مع ابتسامة حنونة.

"اللعـنة عليك"، قالت كارول بسرور وضحكتا معاً. إنها تتحسن كل ساعة. وبدت لوهلة مثل ذاتها القديمة.

الفصل الثامن

ذهب جايسون وكلويه وأنطوني إلى اللوفر، وتسوّقوا مجدداً في اليوم التالـي. عـادوا لتـناول الغداء في وقت متأخر في الفندق، في المشرب الموجـودة في الفندق. ثم توجه جايسون وأنطوني إلى غرفتيهما للاتصال بالمكـتب وإنجاز بعض الأعمال. لقد تخلف كلاهما عن الصفقات التي كانا ينجـزانها. لكن الظروف استثنائية، وقد تفهم الزبائن ذلك. وكان العديد من شـركاء جايـسون يحلّـون مكانهما في مسائل عدة، فيما خطط جايسون وانطوني للتعويض لدى عودتهما.

ذهـبت كلـويه للـسباحة والخضوع لجلسة تدليك فيما تمرّن شقيقها ووالدها. أخذت إجازة من عملها، وكانوا لطفاء معها. طلبوا منها البقاء في باريس مع أمها بقدر ما تريد. وبعد ظهر ذلك اليوم، أصبح لديها وقت حرّ وكانـت أخيـراً في مزاج جيد للاتصال بشاب التقته في لندن. تحدثا لمدة نـصف سـاعة، وقـد أحبته كارول. أخبرته عن حادث أمها، وكان لطيفاً ومتعاطفاً. وعدها بالاتصال بها قريباً، وقال إنه يريد رؤيتها حين تعود إلى لندن. كان يتوق للاتصال بها، وسعد كثيراً حين اتصلت به. كان يدعى جاك.

انشغال الآخرين منح ستيفي فرصة قضاء الوقت بمفردها مع كارول. طلـب منها الأطباء إخبار كارول كل شيء ممكن عن حياتها. فهم يأملون فـي أن يؤدي سماعها للتفاصيل إلى تنشيط ذاكرتها وإعادة البقية. رغبت ستيفي بشدة بفعل ذلك، لكنها لم تشأ إزعاج كارول بتذكيرها بالأشياء غير السعيدة، لأنها نالت حصتها الكافية منها.

أحضرت ستيفي معها سندويشاً وجلست قبالة كارول للثرثرة معها. ما من شيء محدد في رأسها، وكانت كارول قد طرحت الكثير من الأسئلة عن أهلها في اليوم السابق. إنها تبدأ من الصفر.

كانت ستيفي قد تناولت نصف السندويش حين سألتها كارول عن طلاقها. لكن في هذه الحالة، يتوجب على ستيفي الاعتراف بأنها لا تعرف الكثير.

"لم أكن أعمل معك حينها. أعرف أنه تزوج بامرأة أخرى بعدك، من عارضة أزياء روسية حسبما أظن. وتطلّق منها بعد سنة واحدة من عودتك من فرنسا. كنت معك، لكنني كنت جديدة ولم تخبريني بالكثير. أظن أنه جاء لرؤيتك مرتين، وأعتقد أنه طلب منك العودة إليه. هذا ما أحسست به، لكنك لم تخبريني أبداً. ولم تعودي إليه أبداً. كنت غاضبة جداً منه تلك الأيام. احتاجت الأمور إلى سنتين حتى تهدأ. قبل ذلك، كنت تتشاجرين معه دوماً عبر الهاتف، بشأن الولدين. وفي السنوات العشر الماضية، أصبحتما صديقين جيدين".
لاحظت كارول هذا الأمر، وأومأت برأسها فيما أصغت وهي تحاول أن تتذكر في عقلها زواجها بجايسون لكنها لم تعثر على أي شيء. كانت ذاكرتها فارغة.

"هل تركته أم هو تركني؟".

"لا أعرف هذا أيضاً. عليك أن تطرحي عليه بعض هذه الأسئلة. أعرف أنك عشت في نيويورك حين كنت معه. بقيت زوجته طوال عشر سنوات. ثم ذهبت إلى فرنسا. صوّرت فيلماً مهماً هناك. كنت قد تطلقت منه آنذاك حسبما أظن. وبقيت في باريس لمدة سنتين بعد الفيلم، مع ولديك. اشتريت منزلاً وبعته بعد سنة واحدة من انتقالك إلى لوس أنجلوس. كان منزلاً صغيراً وجميلاً".

"كيف تعرفين؟". بدت كارول محتارة. "هل عملت معي في باريس؟". ارتبكت مجدداً. هناك الكثير من الأمور الواجب فهمها ووضعها في تسلسل زمني.

"لا، ذهبت لإغلاق المنزل لك. جئت ليومين فقط، وأخبرتني بما يجب الاحتفاظ به وإرساله إلى لوس أنجلوس، وتوليت أنا الباقي. كان

المكان صغيراً وإنما رائع. من القرن الثامن عشر، حسبما أظن، مع خشبيات وأرضيات من الباركيه، ونوافذ فرنسية كبيرة تطل على حديقة، ومواقد في كل الأرجاء. أسفت جداً لأنك لم تحتفظي به".

"ولماذا لم أفعل؟"، سألت كارول، مقطّبة جبينها فيما أصغت إليها. أرادت تذكر كل هذه الأمور، لكنها لم تفلح.

"قلت إن المكان بعيد جداً. وكنت تعملين كثيراً آنذاك. لم يكن لديك الوقت للذهاب إلى باريس بين الأفلام. أنت تفعلين ذلك الآن، لكنك لم تفعلي ذلك حينها. ولا أظن أنك أردت العودة إلى هنا". لم تتطوع ستيفي بشرح البقية. "كنت تحاولين قضاء المزيد من الوقت مع ولديك بين الأفلام، ولا سيما كلويه. لطالما كان أنطوني أكثر استقلالية". عرفته ستيفي منذ كان في الحادية عشرة، وكان يكتفي آنذاك بقضاء الوقت مع أصدقائه لوحده، وزيارة والده في نيويورك خلال العطلات. أرادت كلويه المزيد من أمها، ولم يكن هناك أبداً ما يكفي من كارول لإرضائها. كانت فتاة متطلبة كثيراً، برأي ستيفي، ولا تزال كذلك وإن على نحو أقل الآن. ففي هذه الأيام، أصبح لكلويه حياتها الخاصة، وكانت أقل تطلباً لوقت أمها. لكنها لا تزال تحب أن تكون مركز الاهتمام حين تكون مع أمها.

"هل كانت محقة بشأن ما قالته البارحة؟". بدت كارول قلقة فعلاً. فما تريد معرفته في الحقيقة هو إذا كانت شخصاً جيداً أم لا. من المخيف عدم معرفة الجواب.

"ليس في كل شيء"، قالت ستيفي بصراحة. "في بعضه ربما. لا بدّ أنك عملت كثيراً حين كانت صغيرة. كنت في الثامنة والعشرين حين ولدت، وفي ذروة مهنتك. لم أكن أعرفك حينها. جئت بعد سبع سنوات. لكنها كانت حينها غاضبة منك. أظن أنك اصطحبت الولدين معك إلى معظم مواقع التصوير، كلما أمكنك ذلك، مع مدرّس خصوصي، إلا إذا كانت الأفلام في أماكن خطرة مثل كينيا. لكن إذا كان موقع التصوير متحضراً، كنت تأخذينهما معك، حتى حين عملت معك في البداية. وفي

النهاية، لم يعد أنطوني راغباً بالذهاب معك، وحين أصبحا في المدرسة الثانوية، لم يعد باستطاعتك إخراجهما من المدرسة. لكن قبل ذلك، كانا يذهبان معك في معظم الأوقات وكان يُجنّ جنون المدرسة التي كانا يرتادانها. وكان يجنّ جنون كلويه حين لا تأخذينها معك. بالإضافة إلى ذلك، حين كبرت كلويه، رأت ستيفي أنها تريد أن تكون أمها لها وحدها، وهذه مشكلة أكبر. لكن ستيفي لم تقل هذا لكارول. "أنا واثقة أنه ليس من السهل أن يكون الإنسان ابن شخصية مشهورة، لكنني تأثرت دوماً بمحاولاتك الحثيثة، ومقدار الوقت الذي أمضيته مع ولديك، ولا زلت حتى الآن. لا تسافرين أبداً إلى أي مكان من دون المرور بلندن ونيويورك لرؤيتهما. لست أكيدة من أن كلويه تدرك مدى غرابة هذا الأمر أو مدى الجهد الذي تبذلينه. لا تمنحك الكثير من الحق، على الأقل ليس على الوقت الذي أمضيته معها خلال الطفولة. وأنا أعرف أنك كنت جيدة جداً معها. أظن أنها تريد فقط المزيد".

"لماذا؟".

"بعض الأشخاص هكذا"، قالت ستيفي بحذر. "لا تزال صغيرة، وتستطيع تدبر الأمر إذا أرادت ذلك. إنها مبدئياً فتاة لطيفة. لكن تزعجني حين تكون قاسية معك. لا أظن أنها تتصرف معك بإنصاف. لا تزال طفلة في العديد من النواحي. تحتاج إلى النضوج". ثم ابتسمت لها ستيفي. "بالإضافة إلى ذلك، أفرطت في تدليلها. أعطيتها كل شيء تريده. أعرف ذلك. أنا أدفع الفواتير".

"يا للعيب"، قالت كارول ببراءة. أصبحت تتحدث جيداً الآن. لقد وجدت الكلمات، ولكن ليس التاريخ المترافق معها. "ولماذا تعتقدين أنني أفعل ذلك؟".

"الذنب. الكرم. تحبين ولديك. أنجزت عملاً جيداً وتريدين مشاركته معهما. تنتهز كلويه هذا الأمر أحياناً، وتحاول أن تشعرك بالذنب، على الرغم من أنني أظن أحياناً أنها تشعر في معظم الأوقات بأنها خدعت كطفلة. أظن أنها أرادت أماً تكون زوجة عادية توصل أولادها وتحضرهم

طوال اليوم، من دون فعل أي شيء آخر. كنت تحضرينها من المدرسة كل يوم، في أثناء تواجدك في المدينة، لكنك كنت تفعلين أشياء أخرى غير تصوير الأفلام. عشت حياة منهمكة كثيراً".

"مثل ماذا؟". كان الاستماع إلى ستيفي مثل الاستماع إليها وهي تتحدث عن شخص آخر. لم تكن تدرك أن هذه حياتها. فالمرأة التي تصفها ستيفي غريبة.

"انهمكت في قضايا حقوق النساء لسنوات عدة. سافرت إلى الدول النامية، وتحدثت في مجلس الشيوخ، وذهبت إلى الأمم المتحدة، وألقيت الخطابات. تبذلين جهودك في المكان الصحيح حين تكونين مقتنعة بشيء ما، وأظن أن هذا رائع. لطالما أعجبتني هذه الناحية فيك".

"وكلويه؟ هل يعجبها ذلك أيضاً؟"، قالت كارول بحزن. لا يبدو الأمر كذلك حسبما قالته سيتفي.

"لا. أظن أنها لا تكترث بأي شيء إذا كان يأخذ الوقت أو المال بعيداً عنها. لا تزال صغيرة جداً ربما للاهتمام بمثل هذه الأمور. وعلينا الاعتراف أنك سافرت طويلاً للقيام بمثل هذه الأمور أيضاً، بين الأفلام".

"كان يجدر بي البقاء في المنزل لوقت أطول ربما"، قالت كارول متسائلة ما إذا كان الضرر الحاصل يمكن إصلاحه في هذه المرحلة. أملت في أن يكون كذلك. بدا وكأنه عليها التعويض عن بعض الأمور لابنتها، حتى لو كانت مفرطة الدلال قليلاً.

"لما كنت حينها أنت"، قالت كارول ببساطة. "لطالما كنت امرأة متعددة المشاريع".

"والآن؟".

"ليس كثيراً. أبطأت وتيرة أعمالك في السنوات القليلة الماضية". كانت ستيفي حذرة بشأن ما قالته، بسبب شون. لا تعرف ما إذا كانت كارول مستعدة لسماع ذلك والتعاطي مع المشاعر المرافقة له، خصوصاً إذا تذكرت.

"فعلاً؟ لماذا؟ لماذا أبطأت الوتيرة؟". بدت كارول قلقة من محاولة تشغيل عقلها.

"بسبب التعب ربما. أصبحت أكثر انتقائية للأفلام. لم تشاركي في أي فيلم منذ ثلاث سنوات. رفضت الكثير من الأدوار. تريدين أداء أدوار ذات معنى بالنسبة إليك، وليس فقط أداء أدوار استعراضية وتجارية. أنت تؤلفين كتاباً، أو تحاولين ذلك". ابتسمت ستيفي. "هذا هو سبب مجيئك إلى باريس. ظننت أن المجيء إلى هنا قد يعطيك نظرة أعمق". لكنه كاد يكلفها حياتها بدل ذلك. ستندم ستيفي دوماً على قيام كارول بهذه الرحلة. لا تزال تشعر بالصدمة من أنها كانت على وشك خسارة هذه المرأة التي أحبتها وأعجبت بها كثيراً. "أظن أنك ستعاودين المشاركة في الأفلام مجدداً بعد الانتهاء من الكتاب. لكنني أظن أن هناك الكثير منك فيه. لهذا السبب، ربما عجزت عن إكماله".

"هل هذه هي الأسباب الوحيدة التي جعلتني أبطئ وتيرة أعمالي؟". نظرت كارول إليها بعينين بريئتين كما لو أنها طفلة، وتوقعت ستيفي لدقيقة طويلة، غير واثقة مما يجب قوله لها، ثم قررت إخبارها الحقيقة.

"لا. هناك سبب آخر". تنهدت ستيفي. لم تشأ إخبارها، لكن أحدهم سيفعل ذلك عاجلاً أم آجلاً، ويستحسن أن تكون هي. "كنت متزوجة برجل رائع. رجل لطيف جداً".

"لا تقولي لي إنني تطلقت مجدداً"، قالت كارول وهي تبدو غير سعيدة. طلاقان؛ هذا كثير برأيها. حتى طلاق واحد كان حزيناً.

"لم تفعلي"، طمأنتها ستيفي، إذا أمكن قول ذلك. فالتحول إلى أرملة وخسارة الرجل الذي أحببته أسوأ بكثير. "تزوجته طوال ثماني سنوات. كان اسمه شون. شون كلارك. تزوجته حين كنت في الأربعين وهو في الخامسة والثلاثين. كان منتجاً ناجحاً جداً، على الرغم من أنكما لم تعملا أبداً في فيلم مشترك. كان رجلاً لطيفاً جداً، وأظن أنكما كنتما سعيدين. أحبه ولداك. لم ينجب هو أولاداً من قبل، ولا منك أنت. على أي حال، مرض قبل ثلاث سنوات. مرض كثيراً. سرطان في الكبد. خضع للعلاج لمدة سنة، وكان

متفهماً كثيراً للموضوع. كان مسالماً جداً. تقبّل ما حصل له بطريقة جليلة". أخذت ستيفي نفساً فيما تابعت. "لقد مات، كارول. بين ذراعيك. بعد سنة واحدة من مرضه. حصل هذا قبل سنتين. كان حدثاً كبيراً. كتبت كثيراً، وسافرت قليلاً، وأمضيت وقتاً مع الولدين. رفضت عدداً من الأدوار، على الرغم من أنك قلت إنك ستعودين إلى العمل بعد تأليف الكتاب. وأنا أعتقد أنك ستؤلفين الكتاب ثم تعودين إلى الأفلام. هذه الرحلة كانت جزءاً من ذلك. أظن أنك نضجت كثيراً بعد وفاته. أعتقد أنك أصبحت أقوى الآن". أو على الأقل كانت كذلك حتى انفجار القنبلة. من المدهش أنها نجت من ذلك، ومن يعرف ماذا ستكون النتيجة النهائية. لا يزال الوقت مبكراً لمعرفة الجواب. وفيما نظرت إليها ستيفي، رأت الدموع تنهمر على وجنتيّ كارول. تمددت ستيفي وأخذت يدها. "أنا آسفة. لم أشأ إخبارك بهذا. كان رجلاً رائعاً".

"أنا مسرورة لأنك أخبرتني. هذا حزين جداً. خسرت زوجاً أحببته، ولا أتذكره الآن. يبدو هذا مثل خسارة كل شيء اهتممت به أو أحببته. خسرت كل الأشخاص في حياتي، والتاريخ الذي كان لنا. لا أتذكر حتى وجهه أو اسمه، أو زواجي بجايسون. لا أتذكر حتى متى ولد طفلاي". بدا الأمر مثل مأساة بالنسبة إليها، أكثر من التأثير الفعلي للقنبلة. شرح لها الأطباء كل ذلك. بدا الأمر خيالياً. لكن هذه حال كل شيء آخر. مثل حياة شخص آخر، وليس حياتها هي.

"لم تخسري أحداً باستثناء شون. لا يزال كل الآخرين هنا. وقضيت وقتاً رائعاً معه ستتذكرينه في يوم ما. كل الآخرين هنا، بشكل أو بآخر. ولداك، جايسون، عملك. التاريخ لا يزال موجوداً أيضاً، حتى لو كنت عاجزة عن تذكره. والرابط الموجود معهم لا يزال قائماً. الأشخاص الذين تحبينهم لم يذهبوا إلى أي مكان".

"لا أعرف حتى من كنت بالنسبة إليهم، ومن أكون... أو من كانوا بالنسبة إليّ". بدت كارول يائسة، ومسحت أنفها بالمنديل الذي أعطتها إياه الممرضة. "أشعر أنني مثل سفينة غرقت مع كل شيء كنت أملكه".

"لم يغرق أي شيء. لا يزال موجوداً في الضباب في مكان ما. حين ينجلي الضباب، ستعثرين على كل أغراضك وعلى كل من كان موجوداً على السفينة. معظمه كان أمتعة على أي حال. من الأفضل التخلي عنه ربما".

"وماذا عنك أنت؟"، سألت كارول وهي تنظر إليها. "ماذا أكون بالنسبة إليك؟ هل كنت مديرة جيدة؟ هل أعاملك جيداً؟ هل تحبين عملك؟ وأي نوع من الحياة تعيشين؟". أرادت أن تعرف من تكون ستيفي كإنسانة، وليس فقط علاقتها بها. تهتم لذلك فعلاً. حتى من دون ذاكرتها، لا تزال كارول المرأة الرقيقة التي كانت دوماً، والتي أحبتها ستيفي.

"أحب مهنتي، وأحبك. كثيراً ربما. أفضل العمل معك على أي شيء آخر في العالم. أحب ولديك والعمل الذي ننجزه معاً، والقضايا التي تتحدثين عنها. أحبك كإنسانة ولهذا السبب أحبك كثيراً. أنت فعلاً إنسانة جيدة، كارول. وأم طيبة أيضاً. لا تدعي كلويه تقنعك بالعكس". انزعجت ستيفي من ذلك. لقد ساهمت كلويه أكثر مما يلزم في المشاكل التي عانوها. كانت قاسية على أمها، وأحياناً متهكمة على الماضي. رأت ستيفي أنه عليها نسيان ذلك وأنها لم تكن عادلة في التطرق إلى الموضوع.

"لست واثقة من أن كلويه حصلت على الكثير مني"، قالت كارول بهدوء، "لكنني مسرورة لأنك تظنين أنني إنسانة جيدة. فمن المريع عدم معرفة ذلك وعدم امتلاك أي فكرة عمن تكونين أو ما فعلته للأشخاص. كل ما أعرفه أنني إنسانة حمقاء، وأنت لطيفة معي. أكره عدم تذكر أي شيء، أو من كان مهماً بالنسبة إليّ في حياتي. من المخيف التفكير في ذلك". أخافها الأمر فعلاً. كان الأمر أشبه بالتحليق في الظلام. لا تعرف متى ترتطم بحائط، مثلما حصل حين انفجرت القنبلة. "ماذا عن حياتك الشخصية؟"، سألت ستيفي. "هل أنت متزوجة؟".

"لا. أعيش مع شخص ما"، قالت ستيفي وتوقفت قبل أن تضيف المزيد.

"هل تحبينه؟". شعرت كارول بالفضول حيالها. أرادت أن تعرف كل شيء عنهم جميعاً. أرادت أن تعرف من يكونون وتكتشف هي من تكون.

"أحياناً"، قالت ستيفي بصدق. "ليس دوماً. لست واثقة من شعوري تجاهه، ولهذا السبب لم أتزوجه أبداً. بالإضافة إلى ذلك، أنا ملتزمة بعملي. اسمه ألان، وهو صحافي. يسافر كثيراً، وهذا يلائمني. علاقتنا ملائمة ومريحة. لست أكيدة من تسمية ذلك حباً. وحين أفكر في الزواج به، أشعر بالحاجة إلى الهرب مثل المجنونة. لم أعتبر يوماً الزواج شيئاً رائعاً، خصوصاً إذا كنت لا أريد إنجاب الأولاد".

"ولماذا؟ كيف تعرفين؟".

"لديّ أنت"، مازحتها ستيفي، ثم أصبحت جدية مجدداً. "أظن أن هذا جزء ناقص من كيميائي، لم أشعر أبداً بالحاجة إلى أن أكون أماً. أنا سعيدة بهذه الطريقة. لديّ هرّة، وكلب، ومهنة أحبها، ورجل أشاركه بعض الأمور أحياناً. هذا كافٍ ربما بالنسبة إليّ. أحب إبقاء الأمور بسيطة".

"هل هذا كافٍ بالنسبة إليه؟". كانت كارول فضولية بشأنها وبشأن الحياة التي وصفتها. بدا الأمر محدوداً بالنسبة إلى كارول. بدا جلياً أن ستيفي خائفة من شيء ما، ولم تعرف كارول ما هو.

"ربما ليس على المدى الطويل. يقول إنه يريد أولاداً. لكنه لا يستطيع إنجابهم مني"، قالت ستيفي ببساطة. "أصبح عمره أربعين سنة، ويظن أنه يجدر بنا الزواج. قد يفيدنا ذلك. لكنني لا أريد الأولاد. لم أردهم يوماً. اتخذت هذا القرار قبل زمن طويل. عشت طفولة سيئة ووعدت نفسي ألا أفعل الشيء نفسه مع شخص آخر. أنا سعيدة لأنني كبرت، من دون معوّقات أو شخص يلومني على كل خطأ أرتكبه. انظري إليك أنت وكلويه. أنا أظن أنك كنت أماً رائعة معها، وها هي تلومك على أي حال. لم أرغب يوماً بذلك في حياتي. أفضل قضاء الوقت مع كلبي. وإذا خسرت ألان بسبب ذلك، لم تكن العلاقة لتستمر أصلاً. أخبرته منذ البداية أنني لا أريد الأولاد، ووافق على الأمر. ربما بدأت ساعته البيولوجية تتكتك الآن. أما ساعتي فلا تتكتك. لا أملك ساعة. رميتها قبل سنوات عدة. بالفعل، كنت واثقة جداً من ذلك لدرجة أنني قمت بربط أنابيبي حين كنت في

الجامعة، ولن أتراجع عن هذه الخطوة. لا أريد التبني. أحب حياتي كما هي". بدت واثقة تماماً مما تقوله، فيما نظرت إليها كارول بتمعن وهي تحاول التمييز بين الخوف والحقيقة. هناك الكثير من هذين العنصرين.

"ماذا يحدث إذا حصل لي أمر ما؟ أنا أكبر منك. ماذا لو متّ؟ أو حين أموت، وليس ماذا لو. كان يمكن أن أموت خلال الأسابيع الثلاثة الماضية. ماذا كان ليحصل؟ إذا كنت الشخص الأكثر أهمية في حياتك، ماذا يحصل لك حين أرحل؟ هذا مكان مخيف لك". هذا صحيح، سواء أرادت ستيفي مواجهة الأمر أم لا.

"إنه مخيف للجميع. ماذا يحصل حين يموت زوج؟ أو ولد؟ أو يتركك زوجك وتصبحين لوحدك. علينا جميعاً مواجهة ذلك عاجلاً أم آجلاً. ربما قد أموت قبلك. أو قد تجنين وتطردينني يوماً ما، إذا ارتكبت خطأً. ما من ضمانات في الحياة إلا إذا قفزنا جميعاً فوق جسر حين يصبح عمرنا تسعين سنة. تأخذين فرصك في الحياة. عليك أن تكوني صادقة وتعرفي ماذا تريدين. أنا صريحة مع نفسي".

"أنا صريحة مع ألان. إذا لم يعجبه ذلك، يمكنه الرحيل. لم أكذب أبداً عليه ولم أقل له إنني أريد أولاداً. أخبرته منذ البداية أنني لا أريد الزواج وأن مهنتي تعني كل شيء لي. لم يتغير أي شيء بالنسبة إليّ. إذا كان عاجزاً عن تقبل هذا، أو لم يعجبه الأمر، عليه الذهاب والعثور على ما يريده. يمكننا جميعاً فعل ذلك. في بعض الأحيان، تطابق القطع بعضها وتتناغم لفترة من الوقت فقط".

"لا بد أن هذا حصل معك أيضاً أنت وجايسون، وإلا لبقيت متزوجة به. معظم الأمور لا تدوم إلى الأبد. أنا مستعدة لقبول ذلك في مجرى الأمور، وتقديم أفضل ما لديّ. هذا كل ما أستطيع فعله. وفي بعض الأحيان، يأتي ألان في المرتبة الثانية بعدك وبعد مهنتي. وأنا آتي أحياناً في المرتبة الثانية عنده. هذا يلائمني. ولكن ربما لا يلائمه. في هذه الحال، نصبح من التاريخ ونكون أمضينا وقتاً جميلاً لفترة. أنا لا أبحث عن فارس

الأحلام أو عن قصة الحب المثالية. أريد فقط شيئاً عملياً وحقيقياً يلائمني. يلائمنا معاً. ليس سجّاني، ولا أريد أن أكون سجانته. يبدو لي الزواج هكذا". إنها صادقة أكثر من أي وقت مضى. لم تكذب ستيفي أبداً على أحد، ولا تريد إنجاب ولد. إنها عملية في كل شيء، في حياتها وعملها ورجالها. جعلها ذلك قوية وحقيقية ولطيفة المعشر. لاحظت كارول ذلك. كانت ستيفي صريحة في كل شيء، وصادقة في الصميم.

"هل أنا هكذا؟"، سألت كارول وهي تبدو محتارة مجدداً.

"أظن أنك كنت دوماً صادقة مع نفسك أيضاً، حسبما أعرف. أظن أنه كان بإمكانك استعادة جايسون، حين عاد إليك بعد باريس، لكنك لم تفعلي لسبب ما. أظن أنك تميلين إلى التسوية أكثر مني أنا، ولهذا السبب يلائمك الزواج. لكنني لم أعرف يوماً أنك ضحيت بقيمك أو مبادئك، أو كيانك، لأي شيء أو أي شخص. حين تقتنعين بشيء ما، تمضين فيه حتى النهاية. أحب ذلك فيك. ترغبين بالدفاع عما تعتقدين به بشدة، حتى لو أخفقت مرات عدة. وهذه ميزة كبيرة عند الشخص. هويتك ككائن حي هي الأكثر أهمية".

"يهمني أن أعرف أنني كنت أماً جيدة"، قالت كارول بهدوء. حتى من دون ذاكرتها، عرفت كارول أن هذا جزء مهم من شخصيتها.

"أنت كذلك"، قالت ستيفي مع نظرة مطمئنة.

"ربما. أشعر أنه عليّ التعويض كثيراً لكلويه. أرغب بقبول ذلك. لم ألاحظ ذلك من قبل ربما". إنها تبدأ الآن من جديد، وترغب كارول بإلقاء نظرة أكثر قرباً وفعل الأمور بطريقة أفضل هذه المرة. من الرائع امتلاك هذه الفرصة، وتريد أن تكون على مستوى هذه الهدية الآن. يبدو أنطوني على الأقل راضياً مما حصل عليه منها، أو هو ربما أكثر تهذيباً في هذا الصدد. لا يحتاج الصبية ربما إلى انتباه كبير من أمهم. لكن يتضح جلياً أن كلويه تحتاج إلى ذلك، وتحاول كارول على الأقل ردم الهوة بينهما. إنها تتوق للمحاولة.

الفصل التاسع

يوم السبت الذي تلا مناسبة الشكر، جاءت العائلة لزيارة كارول لوقت قصير، لكنها كانت لا تزال متعبة من اليوم السابق. فقد أرهقها حديثها الطويل مع ستيفي، وسؤالها مليون سؤال عن حياتها، وتاريخها، ونفسها. لاحظوا جميعاً أنها تحتاج إلى الراحة ولذلك مكثوا معها لفترة وجيزة فقط. نامت مجدداً حين غادروا الغرفة، وشعرت ستيفي بالذنب لأنها لم تختصر الحديث بعد ظهر اليوم السابق، لكن كارول أرادت معرفة الكثير.

خطط أنطوني وكلويه للذهاب إلى دوفيل يوم الأحد لقضاء النهار هناك، وأقنعا ستيفي بأن تذهب معهما. بدا الأمر ممتعاً لها، وذكر لها جايسون أنه يريد قضاء بعض الوقت لوحده مع كارول. إنها تشعر بالتحسن بعد الراحة في اليوم السابق. وسعدت كثيراً لبقاء جايسون لوحده معها. فهناك الكثير من الأمور التي تريد معرفتها منه، والكثير من تفاصيل الحياة التي تشاركاها ذات مرة.

دخل غرفتها، وقبّل وجنتها، وجلس. تحدثا عن الولدين أولاً، وكم هما شخصان رائعان. قال إن كلويه تبدو متحمسة لوظيفتها الأولى، وإن أنطوني يعمل بكدّ معه في نيويورك، وهذا لا يفاجئه كثيراً.

"لطالما كان ولداً رائعاً"، قال جايسون بفخر. "إنه مسؤول ولطيف. كان تلميذاً رائعاً. لعب كرة السلة في الجامعة. واجتاز مرحلة المراهقة بطريقة صحيحة. لطالما كان مولعاً بك". ابتسم لها جايسون بحنان. "يظن

أنك تستطيعين المشي على الماء. كان يذهب لحضور كل واحد من أفلامك ثلاث أو أربع مرات. ذهب إلى أحدها عشر مرات وأخذ معه كل أصدقائه. كنا نعرض أحدث صورة لك في ذكرى ميلاده كل سنة. هذا ما أراده. لا أظن أبداً أنه استاء يوماً في حياته. يتقبل الأمور مثلما تأتي، وإذا حصل شيء سيئ، يحاول أخذ أفضل ما فيه. إنها ميزة رائعة لديه. يتخذ موقفاً رائعاً بشأن الحياة، ويحتلّ دوماً الصدارة. أظن أن انشغالك كان جيداً له. جعله واسع الحيلة وكثير الاستقلالية. لا أستطيع قول الشيء نفسه عن كلويه. أعتقد أن مهنتك كانت صعبة عليها حين كانت صغيرة. كلويه نهمة دوماً، وتريد أكثر مما تحصل عليه. بالنسبة إلى كلويه، ليست الكأس مليئة أبداً ولا حتى إلى النصف. لكن بالنسبة إلى أنطوني، فالكأس تفيض وتتدفق. من المضحك كيف يختلف أولاد من الأهل نفسهم".

"هل كنت غائبة معظم الوقت؟"، سألت كارول وهي تبدو قلقة.

"لا. لكنك غبت كثيراً. أخذت كلويه معك إلى موقع التصوير مرات عدة. أكثر مما كان يجدر بك. أخرجتها من المدرسة ووضعت لها أستاذاً خصوصياً. لكن هذا لم ينفع معها. كلويه متطلبة كثيراً. لطالما كانت كذلك".

"ربما لديها الحق في ذلك"، قالت كارول باختصار. "لا أفهم كيف أستطيع تصوير كل هذه الأفلام والبقاء أماً صالحة". بدا جلياً أن هذه الفكرة تزعجها. حاول جايسون طمأنتها.

"لقد نجحت. لا بل جيداً. أظن أنك أم مذهلة، ولست فقط أماً جيدة".

"ليس إذا كانت ابنتي، أقصد ابنتنا"، صححت مع ابتسامة، "غير سعيدة".

"ليست غير سعيدة. إنها تحتاج فقط إلى الكثير من الانتباه. تلبية احتياجاتها هو عمل بدوام كامل، إذا وافقت. ما من أحد يستطيع توقيف كل ما يفعله وتركيز كل انتباهه على ولد. حين كنا متزوجين، أردت جزءاً من ذلك أنا أيضاً. نعم، كنت مشغولة جداً حين كانا صغيرين، لكنك انتبهت

كثيراً لهما، خصوصاً بين الأفلام. مرّت مراحل صعبة، في الفترة التي فزت فيها بالأوسكار، حين كنت تمثلين الأفلام الواحد تلو الآخر. لكن على الرغم من ذلك، اصطحبتهما معك. شاركت في عمل ملحمي في فرنسا، وبقيا معك طوال الوقت. كارول، لو كنت طبيبة أو محامية، لكان الأمر أسوأ. أعرف نساء يعملن في مهن عادية، بعضهن في وول ستريت مثلاً، لا يقضين وقتاً أبداً مع أولادهن. لطالما فعلت أنت ذلك. أظن أن كلويه أرادت أماً بدوام كامل، لا تعمل أبداً، تبقى في المنزل لإعداد البسكويت في عطلات نهاية الأسبوع، ولا تفعل أي شيء سوى اصطحابها إلى حيث تشاء. وكم هذا مضجر؟".

"ربما ليس مضجراً جداً"، قالت كارول بحزن، "إذا كان هذا ما تحتاج إليه. لماذا لم أتوقف عن التمثيل حين تزوجنا؟". بدا الأمر منطقياً لها الآن، لكن جايسون ضحك وهزّ رأسه.

"أظن أنك لم تفهمي بعد كم كنت نجمة كبيرة. كانت مهنتك تصعد مثل الصاروخ حين التقيت بك، وازدادت صعوداً مع الوقت. كنت فوق، كارول. كان من العار أن توقفي مهنة بهذه الطريقة. لقد حققت إنجازاً عظيماً، ونجحت حتى في دعم قضايا مهمة لك وللعالم، وسخّرت اسمك للصالح العام. وبقيت على الرغم من ذلك أماً جيدة. أظن أن أنطوني فخور بك لهذا السبب. جميعنا فخورون بك. أظن أن كلويه كانت لتشعر بقلة الانتباه في كل الأحوال. هذه هي. ربما تحصل على ما تريده أو ما تحتاج إليه بهذه الطريقة. لكن صدقيني، لم تهملي أو تتوقفي عن حب أي من ولديك. أبداً".

"أتمنى لو أن شعور كلويه أفضل حيال ذلك. بدت حزينة جداً حين تحدثت عن طفولتها". جعل ذلك كارول تشعر بالذنب على الرغم من أنها لم تعرف ماذا فعلت أو لم تفعل.

"تذهب إلى معالج نفسي"، قال بهدوء. "تفعل ذلك منذ سنة. ستتخطى المشكلة. قد تجعلها هذه الحادثة تدرك أخيراً كم هي محظوظة بوجودك.

أنت أم بأربع نجوم". حتى الآن، من دون ذاكرة، تقلق على ولديها وتمتنّ لطمأنته. فيما استمعت إليه، راحت تتساءل ما إذا كانت كلويه ترغب بذهابها إلى لندن لبضعة أسابيع بعد أن تتحسن. قد يثبت لها ذلك أن أمها تهتم فعلاً بها وتريد قضاء الوقت معها.

لا تستطيع استعادة الماضي أو كتابة التاريخ مجدداً، لكنها تستطيع على الأقل إنجاز الأمور بصورة أفضل في المستقبل. بدا واضحاً أن كلويه تشعر بأنها خدعت حين كانت طفلة. وهذه هي فرصة كارول ربما للتعويض لها ومنحها ما شعرت أنها لم تحصل عليه أبداً. إنها ترغب بفعل ذلك. ما من شيء أكثر أهمية على جدول أعمالها. الكتاب الذي تحاول تأليفه، إذا استطاعت العودة إليه، يمكن أن ينتظر. أصبحت أولوياتها مختلفة بعد التفجير. كان هذا نداء استيقاظ مهماً، وآخر فرصة لفعل الأشياء كما يجب. أرادت الاستفادة من هذه الفرصة فيما لا يزال هناك وقت.

تحدثا عن مجموعة منوعة من الموضوعات لبعض الوقت، ثم نظرت إليه بهدوء فيما جلس على الكرسي الذي جلست عليه ستيفي في اليوم السابق لتخبرها عن حياتها. أرادت أن تعرف قصته أيضاً.

"ماذا حدث لنا؟"، سألت كارول وهي تبدو حزينة. من الواضح أن نهاية قصتهما لم تكن سعيدة، إذ تطلقا.

"واو... هذا سؤال كبير...". لم يكن واثقاً ما إذا كانت مستعدة لسماع القصة كلها، لكنها قالت إنها مستعدة. تريد أن تعرف من كانا، وماذا حصل لهما، ولماذا تطلقا، وماذا حصل بعد ذلك. تعرف عن شؤون الآن، من ستيفي، لكنها تعرف القليل فقط عن حياتها مع جايسون، باستثناء أنهما تزوجا طوال عشر سنوات، وعاشا في نيويورك، وأنجبا ولدين. البقية غامضة بالنسبة إليها. لا تعرف ستيفي أي شيء عن التفاصيل، ولا تجرؤ على سؤال ولديها اللذين كانا ربما صغيرين جداً آنذاك ليعرفا ماذا حصل.

"لست واثقاً، لأكون صريحاً معك"، أجاب أخيراً. "حاولت فهم الأمر طوال سنوات. أظن أن الجواب الأسهل هو أنني عانيت من أزمة منتصف

الحـياة، وعشت أنت مهنة عظيمة. تضارب هذان العنصران مع بعضهما وانفجر الوضع. لكن الأمر كان أكثر تعقيداً من هذا. كان الوضع رائعاً في البداية. كنت أصلاً نجمة حين تزوجتك. كنت في الثانية والعشرين وأنا في الحاديـة والثلاثـين. كنت محظوظاً في وول ستريت طوال خمس سنوات آنـذاك وأردت دعم فيلم. ما من فائدة مالية كبيرة من ذلك، لكن الأمر بدا ممـتعاً. كنت مراهقاً في صميمي وأردت اللقاء بفتيات جميلات. لا شيء أكثر من ذلك. التقيت بمايك أبلسون في اجتماع في نيويورك، وكان منتجاً كبيـراً آنـذاك ويعمل بمثابة وكيل لأعمالك منذ أن اكتشفك. لا يزال وكيل أعمالـك حتـى اليوم". بدأ يعطيها المعلومات. "دعاني إلى لوس أنجلوس، وكـان يحـضر لـصفقة. هكذا، ذهبت ووضعت اسمي على الخط المنقط لتمويل فيلم والتقيت بك.

"كنت أجمل امرأة شاهدتها في حياتي، والأكثر من ذلك، كنت لطيفة. كـنت حلـوة وشـابة وبريئة. وجنوبية كثيراً في ذلك الحين. مضى على وجـودك فـي هولـيوود أربع سنوات وكنت لا تزالين تلك الطفلة الرائعة البـريئة على الرغم من كونك نجمة كبيرة. بدا وكأن النجومية والشهرة لم تؤثـرا فـيك. بقيت نفس الإنسانة المحترمة والصادقة والودودة التي كنت علـيها حين ترعرعت في مزرعة والدك في الميسيسيبي. كنت لا تزالين تتحدثـين بلكنة جنوبية آنذاك. أحببت ذلك أيضاً. ثم جعلك مايك تتخلصين منها. لطالما اشتقت إليها. كانت جزءاً من الحلاوة التي أحببتها فيك. كنت فعلاً طفلة. وقعت فوراً في غرامك ووقعت أنت في غرامي.

"طـرت إلـيك عـشر مـرات تقريباً فيما كنت تصورين الفيلم، لمجرد رؤيـتك. انتهيـنا في كل الصحف والمجلات. عبقري وول ستريت يواعد أهم نجمـة هولـيوودية. كـنت أنت الصفقة الحقيقية. كنت رائعة مثلما بدا الأمر". ابتسم لها حينها. "لا تزالين كذلك"، قال بكرم. "لم أكن معتاداً على هذا آنذاك. لا أظـن أنني اعتدت يوماً عليه. كنت أستيقظ في الصباح وأقرص نفسي، عاجزاً عن التصديق أنني متزوج بكارول باربر. هل من شيء أفضل من ذلك؟".

"تـزوجنا بعد ستة أشهر من لقائنا، حين أنهيت الفيلم. قلت في البداية إنـك صـغيرة على الزواج، وربما كنت محقة. صارحتك في الموضوع وكـنت صـادقة. قلـت إنك غير مستعدة للتخلي عن مهنتك. أردت تمثيل الأفـلام. كنت تبلين حسناً، وأنا كنت معك. لم أستمتع يوماً في حياتي كما فعلنا حينها.

"أخـذنا مايـك إلـى فـيغاس في طائرته في عطلة نهاية الأسبوع وتزوجنا. كان هو الشاهد على زواجنا مع صديقة لك آنذاك. كانت زميلتك في الغرفة، لكنني أعجز تماماً عن تذكر اسمها. وكنت أنت أجمل عروس رأيتها في حياتي. استعرت فستاناً من خزانة ملابس فيلم سينمائي من حقبة الثلاثينيات. بدوت مثل ملكة.

"ذهبـنا إلى المكسيك في شهر العسل. أمضينا أسبوعين في أكابولكو ثـم عدت إلى العمل. كنت تصورين ثلاثة أفلام في السنة تقريباً. كان هذا كثيراً. كانت الاستوديوهات تتسارع إلى التعاقد معك لتمثّلي مع نجوم كبار، وأسـماء كبيرة، ومنتجين مهمين، وكنت ترفضين السيناريوهات بالسرعة التـي تـصل إلـيك. كنت صناعة بحد ذاتها. لم أشاهد يوماً شيئاً من هذا القبـيل. كـنت أهـم نجمـة في العالم، وتزوجت بك. كانت أخبارك تملأ الصحف. هذا أمر صعب جداً بالنسبة إلى ولدين، وظننت أن الأمر سيخبو فـي الـنهاية. لكن هذا لم يحصل. أحببت كل دقيقة، ومن يستطيع لومك؟ كنت محبوبة العالم، والمرأة الأكثر جاذبية في العالم... وتنتمين إليّ أنا.

"كـنت في مواقع التصوير في معظم الوقت، وبين جلسات التصوير كـنا نعيش في نيويورك. اشترينا شقة رائعة في بارك أفنيو. وكنت أطير لـرؤيتك في موقع التصوير كلما استطعت. رأينا بعضنا كثيراً. تحدثنا عن إنجـاب الأطفال، لكن لم يكن هناك وقت. كان هناك دوماً فيلم آخر يجب تـصويره. ثم جاء أنطوني. كان نوعاً من مفاجأة، وقد مضى على زواجنا سنتان حينها. أخذت إجازة لمدة ستة أشهر تقريباً، ما إن بدأ يظهر الحمل، وعـدت إلى العمل حين أصبح عمر أنطوني ثلاثة أسابيع. كنت تصورين

فيلماً في إنكلترا وأخذته معك برفقة مربية. بقيت هناك لمدة خمسة أشهر تقريباً، وكنت آتي إليكما مرة كل أسبوعين. كانت طريقة عيش مجنونة، لكن مهنتك مهمة جداً للتخلي عنها، وكنت صغيرة جداً للاعتزال. تفهمت الأمر تماماً. أخذت بعدها بضعة أشهر إجازة حين كنت حاملاً بكلويه. كان عمر أنطوني ثلاث سنوات آنذاك. أخذته إلى الحديقة العامة، مثل كل الأمهات الأخريات. أحببت ذلك. فالزواج بك كان أشبه باللعب بيت بيوت مع نجمة سينمائية. أجمل امرأة في العالم كانت ملكي أنا". لمعت عيناه حين قال ذلك، فيما راقبته كارول من سريرها متسائلة عن سبب عدم تخفيفها من وتيرة عملها. بدا أنه غير مكترث لذلك مثلها. لا تبدو مهنتها مهمة الآن، بالنسبة إليها على أي حال. لكنها كانت مهمة آنذاك. أوضح الأمر تماماً.

"على أي حال، بعد سنة من ولادة كلويه، حين كان أنطوني في الرابعة، حملت مجدداً. حادثة حقيقية هذه المرة، وغضبنا كلانا. كنت أؤسس عملي وأعمل مثل المجنون، وكنت أنت تعملين بجهد في تصوير الأفلام في كل أنحاء العالم. بدا أنطوني وكلويه كافيين حينها، لكننا مضينا في الحمل. إلا أنك خسرت الجنين. شعرت بحزن كبير، وأنا أيضاً. لقد اعتدت على فكرة مجيء طفل ثالث. كنت تصورين في أفريقيا وتنجزين عملك المعتاد، الأمر الذي بدا جنوناً، وفقدت الجنين. جعلوك تعودين إلى العمل بعد أربعة أسابيع. كان عقد عملك بائساً، مع صورتين خلفه. كان الأمر بمثابة دوامة مستمرة. بعد سنتين، فزت بأول جائزة أوسكار، وأصبح الضغط أسوأ. أظن أن شيئاً ما حصل حينها، ليس معك، وإنما معي.

"كنت لا تزالين شابة. كان عمرك ثلاثين سنة حين فزت بجائزة الأوسكار. كنت أشارف على الأربعين ولم أتقبل الأمر أبداً حينها، وإنما رأيت أنني منحوس لأن زوجتي ناجحة أكثر مني. كنت تجنين ثروة طائلة، وكان كل شخص في العالم يعرفك. وأظن أنني تعبت من التعاطي مع الصحافة، والإشاعات. كان الجميع ينظرون إليك أنت كلما دخلنا معاً إلى

غرفة. لم يتركز الاهتمام أبداً عليّ، وإنما دوماً عليك أنت. وهذا صعب جداً على أنانية رجل. أردت ربما أن أكون نجماً أنا أيضاً، ماذا أعرف؟ أردت فقط حياة عادية، مع زوجة وولدين، ومنزل في كونيكتيكوت، وربما في ماين خلال الصيف. لكنني كنت بدلاً من ذلك أطير حول العالم لرؤيتك. وكنت إما تصطحبين الولدين معك، أو أبقيهما معي وكنت يائسة من دونهما. بدأنا نتشاجر كثيراً. أردتك أن تتوقفي، لكنني لم أملك الجرأة على طلب ذلك منك فانقلب الأمر عليك. بالكاد كنت أراك، وحين كنا نرى بعضنا كنا نتشاجر. ثم ربحت جائزة أوسكار أخرى بعد سنتين، وأظن أن هذا سدد الضربة القاضية. كانت هذه النهاية. شعرت باليأس بعد ذلك. عرفت أنك لن تتخلي أبداً عن التمثيل، ليس قبل وقت طويل على الأقل. وقّعت عقداً لتصوير فيلم لمدة ثمانية أشهر في باريس، وفقدت صوابي. كان يجدر بي إخبارك، لكنني لم أفعل. لا أظن أنك كنت تعرفين ماذا يجري معي. كنت مشغولة جداً للتفكير في الأمر، ولم أخبرك أبداً كم كنت منزعجاً. كنت تصورين الأفلام وتحاولين إبقاء ولدينا معك في موقع التصوير، وتسافرين لرؤيتي كلما أتيحت لك إجازة من يومين. كان قلبك في المكان الصحيح. لم تكن هناك أيام كافية في السنة لفعل كل شيء تريدينه: مهنتك وولداك وأنا. كنت لتتوقفي ربما عن العمل لو طلبت منك. من يعرف؟ لكنني لم أسألك أبداً". نظر إليها بندم لأنه لم يطلب منها التوقف عن التمثيل. احتاج جايسون إلى سنوات عدة ليصل إلى البصيرة التي باتت لديه الآن، وها هو يشاركها كلها مع كارول.

تابع مع نظرة حزينة فيما راقبته كارول، صامتة ومركّزة. لم تشأ مقاطعته. "بدأت أتناول الشراب وأذهب إلى الحفلات حينها وأعترف أنني تجاوزت الحدود أحياناً. ظهرت صوري في الصحف أكثر من مرة، ولم تتذمري أبداً من الأمر. سألتني عما يجري مرتين، وقلت لك إنني أتسلى، وهذا صحيح. حاولتِ المجيء إلى المنزل بتواتر أكبر، لكن حين بدأت التصوير في باريس، علقت هناك إذ كنت تصورين ستة أيام في الأسبوع.

كان أنطوني في الثامنة فسجلته في المدرسة هناك، وكانت كلويه في الرابعة فوضعتها في دوام جزئي في حضانة أطفال فيما تواجدت بقية الوقت معك في استوديو التصوير، برفقة المربية. وبدأت أتصرف مثل العازب في المنزل. لا بل مثل المجنون فعلياً". بدا محرجاً تماماً حين نظر إلى زوجته السابقة وابتسمت له.

"بدا وكأننا كنا صغيرين وأحمقين"، قالت بصراحة. "لا بد أن الزواج بشخص غائب معظم الوقت ويعمل كثيراً أمر مأساوي".

أومأ برأسه وهو ممتن لما قالته. "كان الأمر صعباً. كلما فكرت أكثر في الأمر، عرفت أكثر أنه كان يجدر بي أن أطلب منك التوقف عن العمل، أو على الأقل تخفيف الوتيرة. لكن مع وجود جائزتيّ أوسكار بين يديك، كنت تحلقين مثل الصاروخ. لم أشعر أنني أملك الحق في تحطيم مهنتك، فعمدت إلى تحطيم زواجنا عوض ذلك، ولمعلوماتك، سأندم على ذلك دوماً. لم أخبرك هذا من قبل، لكن هذا هو شعوري".

كانت كارول تصغي إليه بهدوء، وأومأت برأسها. قدّرت صراحته. لا تتذكر أي شيء، لكنها ممتنة على صراحته، حتى في ما يتعلق بنفسه. بدا رجلاً لطيفاً بكل معنى الكلمة. كان مذهلاً في أثناء رواية قصتهما. وكما هي الحال دوماً الآن، بدت القصة مثل حياة شخص آخر ولم تشعل أي ذاكرة بصرية في رأسها. وفيما أصغت إليه، راحت تسأل نفسها لماذا لم تملك الشجاعة للتوقف عن العمل وإنقاذ زواجهما، لكن الإصغاء إلى القصة يوحي بأن المسألة كانت أشبه بانهيار لا يمكن توقيفه. الإنذارات الأولى كانت موجودة، لكن يبدو أن مهنتها كانت مزدهرة جداً آنذاك. كانت قوة بحد ذاتها، مع حياة خاصة بها. يمكنها أن تلاحظ الآن كيف حصلت مشاكلهما، تماماً مثله هو. من المخزي أنهما لم يفعلا أي شيء حيال ذلك آنذاك، لكنهما لم يفعلا شيئاً. كانت غير واعية لما يحصل، منهمكة كثيراً في عظمة مهنتها، وكان هو مستاء وأخفى الأمر عنها، فحوّل غضبه إلى الداخل وانقلب من ثم عليها. احتاج إلى سنوات عدة لمعرفة ذلك. إنها قصة

كلاسيكية ومأساوية. تأسف الآن لأنها لم تكن أكثر حكمة آنذاك. لكنها كانت يافعة، إذا كان هذا عذراً ملائماً.

"غادرت إلى باريس مع الولدين. أخذت دوراً مهماً وأديت شخصية ماري أنطوانيت. كان الفيلم من الملاحم المهمة. وبعد أسبوع واحد من مغادرتك، ذهبت إلى حفلة ساهرة أقامها هيوغ هيفنر. لم أشاهد مثل تلك الفتيات الجميلات في حياتي، وكنّ بجمالك تقريباً". ابتسم لها بمكر، وردت له الابتسامة. من المحزن سماع ذلك. يمكن التوقع بالنهاية. لا مفاجآت هنا. تعرف كيف انتهى الفيلم، ولم يعيشا سعيدين بعد ذلك وإلا لما كان يخبرها الآن بقصتهما.

"لم يكنّ نساء مثلك. كنت دوماً محترمة، ولطيفة، وصادقة، وجيدة معي. عملت باستمرار، وكنت تغيبين كثيراً لكنك كنت امرأة جيدة كارول. لطالما كنت كذلك. تلك الفتيات هنّ من سلالة مختلفة. استغلاليات رخيصات، بعضهن محترفات، نجمات صاعدات، عارضات أزياء. كنت متزوجاً بالمعدن الحقيقي. هؤلاء الفتيات كنّ مزيفات، وكنّ يؤثرن في الآخرين مثل السحر. التقيت بعارضة أزياء روسية اسمها ناتاليا. كانت تحقق نجاحاً باهراً في نيويورك آنذاك. الجميع عرفها. جاءت من لا مكان، من موسكو، عبر باريس، وكانت تسعى وراء الرجال الأثرياء في شتى الوسائل. ورائي هنا ووراء كل الرجال الآخرين. أظن أنها كانت عشيقة بلايبوي في باريس نسيته الآن. على أي حال، عرفت العديد من مثل هؤلاء الرجال بعد ذلك. إنها متزوجة حالياً برجل ثري وتقيم في هونغ كونغ، وهي المرة الرابعة التي تتزوج فيها. أظن أنه برازيلي ويتاجر بالأسلحة أو ما شابه، لكنه يملك الكثير من المال. يدعي أنه مصرفي، لكنني أظن أنه يمارس تجارة مشبوهة غير ذلك. على أي حال، سحرتني على الفور. ولكي أكون صادقاً معك، تناولت الكثير من الشراب، وتعاطيت بعض المخدرات التي أعطاني إياها أحدهم، وانتهيت في السرير معها. لم نكن في حفلة هيفنر حينها. كنا على متن يخت أحدهم في نهر هادسون.

كان الأمر جنونياً. كنت في الواحدة والأربعين، وهي في الواحدة والعشرين. كنتِ في الثانية والثلاثين وتعملين في باريس، تحاولين أن تكوني أماً جيدة، حتى لو كنت زوجة دائمة الغياب. لا أظن أنك خدعتني يوماً. لا أظن أن الأمر خطر ببالك، ولم يكن لديك الوقت. كانت سمعتك مثل المسك في هوليوود، لكنني لا أستطيع قول الشيء نفسه عني.

"ظهرت في كل الصحف معها. أظن أنها سعت إلى ذلك. كانت علاقتنا مجنونة، وقد تجاهلتها باحترام، فكان ذلك لطفاً فوق الممكن. حملت بعد أسبوعين من لقائي بها. رفضت الإجهاض وأرادت الزواج. أخبرتني أنها تحبني وأرادت التخلي عن كل شيء من أجلي، عن مهنتها وعرض الأزياء وبلدها وحياتها، والبقاء معي وتربية أولادنا. بدا ذلك كالموسيقى العذبة في أذنيّ. كنت جاهزاً للحصول على زوجة بدوام كامل حينها، فيما لم تكوني أنت مستعدة لذلك، حسبما رأيته. لكن من يعرف؟ لم أسألك أبداً. فقدت صوابي معها.

"ستنجب طفلي. أردت المزيد من الأولاد، فيما كان إنجاب كلويه صعباً جداً عليك. ونظراً لجدول أعمالك، كان جنوناً التفكير في إنجاب المزيد من الأولاد. كان من الصعب كفاية جرّ ولدين في كل أنحاء العالم، ولم أتخيلك وأنت تفعلين ذلك مع ثلاثة أولاد أو أربعة، وكان أنطوني يكبر. وأنا أردت أولادي معي في المنزل. لا تسأليني كيف، لكنها أقنعتني بأن الزواج هو الحل الأمثل، لها. سنكون ثنائياً رائعاً مع مجموعة من الأطفال. اشتريت منزلاً في غرينتش، واتصلت بمحامٍ. أظن أنني فقدت صوابي. أزمة منتصف الحياة الكلاسيكية. رأسماليّ في وول ستريت يصاب بالجنون، ويدمّر حياته، ويترك زوجته. طرت إلى باريس وأخبرتك أنني سأطلقك. لم أشاهد أحداً في حياتي يبكي مثلما بكيت يومها. تساءلت لخمس دقائق تقريباً عما أفعله. أمضيت الليلة معك، وعدت تقريباً إلى رشدي. كان الولدان رائعين ولم أشأ جعلهما أو جعلك تعيسة. لكنها اتصلت بي. كانت مثل الساحرة التي تحيك شباكها حولي، ونجحت.

"عدت إلى نيويورك وأنجزت الطلاق. لم تطلبي مني أي شيء سوى رعاية الولدين. كنت تجنين الكثير من المال لوحدك، ولديك الكثير من الكبرياء لأخذ أي شيء مني. أخبرتك أن ناتاليا حامل، وأظن أن هذا الخبر كاد يقتلك. كنتُ أسوأ رجل عرفته في حياتي. أظن أنني كنت أنتقم من كل دقيقة من نجاحك، ومن كل ثانية لم تمضِها معي. تزوجت بها بعد ستة أشهر، وكنت لا تزالين في باريس. رفضت التحدث إليّ، وهذا أمر مفهوم. جئت إليك مرتين لزيارة الولدين، وكنت تسلمينهما لي في فندق الريتز بواسطة المربية. انقطعت تماماً عني. لم تتحدثي مباشرة إليّ طوال سنتين، وإنما عبر المحامين والسكرتيرات والمربيات. كان لديك الكثير منهم جميعاً. الخبر المؤسف هو أنه بعد سنتين ونصف، حين عدت إلى لوس أنجلوس، أبطأت وتيرة عملك المهني إلى الصفر تقريباً. استمررتِ في تصوير الأفلام، وإنما بتواتر أقل، وكنت تمضين الوقت مع الولدين. كان في وسعي تقبل ذلك، على نحو أفضل من وتيرتك السابقة. لكنني لم أعرف أبداً أنك ستفعلين ذلك. لم أملك الجرأة للانتظار أو لسؤالك.

"أنجبت ناتاليا الطفلة بعد يومين من زواجنا، وأنجبت طفلة أخرى بعد سنة واحدة. توقفت عن عرض الأزياء خلال هاتين السنتين، ثم أخبرتني أنها تشعر بضجر كبير. تركتني وعادت إلى عرض الأزياء. تركت الطفلتين معي لبعض الوقت، ثم أخذتهما. التقت برجل منغمس في الملذات وغني كثيراً فطلّقتني وتزوجت به وجعلتني على الحضيض بعد الطلاق. لا تسأليني لماذا، لكنني لم أمانع. هكذا، سلبتني كل شيء وذهبت. لم أشاهد حتى ابنتيّ طوال خمس سنوات. لم تسمح لي. كانتا خارج نطاق سلطتنا القضائية، وكانت هي تسافر في كل أوروبا وأميركا الجنوبية تجمع الأزواج. كانت فاسقة من المستوى الرفيع، ومذهلة في عملها. وفي غضون ذلك، قمت أنا بتدميرك أنت وزواجنا.

"حين عدت إلى لوس أنجلوس، انتظرت قليلاً حتى تستقرّ الأمور ثم جئت لرؤيتك، زاعماً أنني أريد رؤية الولدين، لكنني جئت لرؤيتك أنت.

كنت قد هدأت، وأخبرتك بما حصل. كنت صادقاً معك وأخبرتك الحقيقة مثلما رأيتها. لا أظن أنني كنت أملك البصيرة التي باتت لديّ الآن، وهي أنني كنت أغار من مهنتك ونجوميتك. طلبت منك إعطائي فرصة جديدة. قلت لك إن هذا من أجل الولدين، لكنه كان من أجلي أنا. كنت لا أزال أحبك، وما زلت أفعل"، قال ببساطة. "لطالما فعلت".

"أصبت بجنون كلي مع تلك الفتاة الروسية. لكنك لم تعودي ترغبين بي حين طلبت منك العودة. لا ألومك. فما من شيء أسوأ من ذلك. كنت مهذبة ولبقة، وطلبت مني بكل تهذيب أن أذهب في طريقي. قلت لي إن الأمر انتهى بالنسبة إليك، وإنني قضيت على كل المشاعر التي كنت تكنّينها لي، إنك أحببتني فعلاً وتأسفين لأن مهنتك أزعجتني إلى هذا الحد، ولأنك كنت تغيبين كثيراً. قلت إنك كنت ستبطئين وتيرة عملك لو طلبت منك، على الرغم من أنني لست واثقاً تماماً من صحة ذلك، في السنوات الأولى على أي حال. كنت تتمتعين بنجومية كبيرة، وكان يصعب عليك التخلي عنها في تلك المرحلة".

"هكذا، عدت إلى نيويورك وبقيت أنت في لوس أنجلوس. في النهاية، أصبحنا صديقين. كبر الولدان، ونحن أيضاً. تزوجت بشون بعد أربع سنوات تقريباً من عودتك، وسعدت لأجلك. كان رجلاً لطيفاً جداً ورائعاً مع ولدينا. حزنت عليه حين مات. كنت تستحقين رجلاً مثله؛ رجل جيد وليس رجلاً حقيراً مثلما كنت معك. ثم مات. شعرت بالأسى عليك. وها نحن الآن قد أصبحنا صديقين. سأبلغ الستين في السنة المقبلة. كنت ذكياً كفاية لعدم الزواج مجدداً بعد ناتاليا. إنها تعيش في هونغ كونغ، وأنا أرى الفتاتين مرتين في السنة. تعاملانني مثل الغريب، وأنا هكذا. لا تزال جميلة، بعد الكثير من العمليات الجراحية. اللعنة، لا تزال في الواحدة والثلاثين فقط. الفتاتان عمرهما ست عشرة وسبع عشرة سنةً، وتبدوان رائعتين. المبلغ المالي الذي أدفعه لهما كفيل بتمويل دولة صغيرة، لكنهما تعيشان أسلوب حياة محموماً. تعمل كلاهما في عرض الأزياء الآن. لم يلتقِ بهما أنطوني وكلويه أبداً، وهذا ربما أفضل.

"وها قد وصلنا. أصبحت نوعاً من أخ، وصديق، وزوج سابق لا يزال يحبك، وأظن أنك عشت حياة جيدة لوحدك. لم أشعر أبداً أنك ندمت على عدم العودة إليّ وإعطائي فرصة ثانية، خصوصاً بعد لقائك شون. أنت لا تحتاجين إليّ كارول. لديك مالك، الذي استثمرته لك بطريقة جيدة قبل زمن طويل، وما زلت تطلبين مني النصيحة الآن. نحب بعضنا بطريقة غريبة. أنا موجود دوماً، إذا احتجت إليّ. وأظن أنك تفعلين الشيء نفسه لي. لن أكون أكثر من ذلك الآن، لكنني أملك بعض الذكريات الرائعة معك. لن أنساها أبداً. أنا حزين لأنك لا تملكين هذه الذكريات الآن لأننا قضينا بعض الأوقات الرائعة مع بعضنا. أتمنى أن تتذكريها يوماً ما مجدداً. أعشق كل لحظة قضيناها معاً، ولن أتوقف أبداً عن الندم على الألم الذي سببته لك. دفعت الكثير من أجله، وهذا ما أستحقه".

قدم اعترافاً كاملاً لها، وتأثرت كارول كثيراً بعد الإصغاء إليه. "أتمنى أن تسامحيني يوماً ما. أظن أنك فعلت هذا. قبل زمن طويل. ما من مرارة الآن في صداقتنا، وما من زوايا حادة. أصبحت الصداقة أكثر ليونة مع الوقت، بسبب شخصياتنا. لديك قلب كبير، وكنت زوجة جيدة معي وأماً رائعة لولدينا. أنا ممتن لك على هذا". صمت حينها، وراقبها، فيما نظرت هي إليه بحنان كبير.

"عانيت كثيراً"، قالت بلطف. "شكراً على مشاركة كل ذلك معي. أنا آسفة لأنني لم أكن ذكية كفاية لأكون الزوجة التي أردتها. نفعل مثل هذه الحماقات في شبابنا". شعرت أنها كبيرة جداً بعد الإصغاء إليه. استغرق إخبار القصة ساعتين كاملتين. إنها متعبة، لكن لديها الكثير للتفكير فيه. لا شيء من الذي قاله حرك ذاكرتها، لكنها تشعر تماماً بأنه حاول أن يكون عادلاً، مع كليهما. الشخص الوحيد الذي جرى لومه في القصة هو العارضة الروسية، لكن يبدو أنها تستحق ذلك. اختار لنفسه ورطة كبيرة، وهو يعرف ذلك. إنها امرأة شابة خطيرة. لم تكن كارول أبداً هكذا،

وحاولت دوماً أن تكون حنونة وصادقة معه. أوضح لها هذا تماماً. ليس لديها شيء لتلوم نفسها عليه، باستثناء العمل كثيراً والابتعاد غالباً.

"أنا ممتن لأنك ما زلت على قيد الحياة، كارول"، قال لها برفق قبل أن يغادر، وأحسّت أنه يقصد كلماته فعلاً. "كان سينفطر قلبي وقلبا الولدين لو قتلك الانفجار. أتمنى أن تستعيدي ذاكرتك. لكن حتى لو لم تفعلي، نحن نحبك جميعاً".

"أعرف"، قالت بهدوء. لديها دليل على ذلك منهم جميعاً، حتى منه هو، على الرغم من أنهما لم يعودا متزوجين. "أحبك أنا أيضاً"، قالت بهدوء. انحنى لتقبيل وجنتها ثم غادر.

لقد أضاف شيئاً إلى حياتها، ليس فقط ذكريات ومعلومات عن الماضي، وإنما صداقة جميلة لها نكهتها الخاصة.

الفصل العاشر

بعد عطلة مناسبة الشكر، أعلن جايسون وأنطوني أنهما يريدان العودة إلى نيويورك. وشعرت كلويه أنه عليها العودة إلى وظيفتها. اتصل بها جاك أيضاً مرات عدة. ليس بوسع أحد فعل أي شيء لكارول، وعرفوا جميعاً أنها تجاوزت مرحلة الخطر. أما تعافيها الكامل فيحتمل أن يكون بوتيرة بطيئة، وهو مسألة وقت.

سيعود الولدان إلى لوس أنجلوس خلال عطلة الميلاد، ويتوقع أن تخرج هي من المستشفى وتتمكن من العودة إلى منزلها، بعد شهر تقريباً. دعت كارول جايسون لينضم إليهم خلال عطلة الأعياد، وقَبِل بامتنان. سيأخذ الولدان إلى سانت بارت في ليلة رأس السنة ودعاها للانضمام إليهم، لكنها لا تستطيع السفر بعد وصولها إلى لوس أنجلوس. لا يوصي الأطباء بذلك. لا تزال هشة جداً، والأمر مربك بالنسبة إليها. لا تستطيع المشي بعد، ومن دون ذاكرة، يبدو كل شيء أصعب. أرادت البقاء في المنزل بعد وصولها إلى هناك. لكنها لا تريد حرمان ولديها من الرحلة مع والدهما. لقد عانوا كثيراً جميعهم بعد حادثة كارول. عرفت أن العطلة ستكون جيدة لهم.

أمضى جايسون ساعة لوحده مع كارول في ليلته الأخيرة في باريس، وقال إنه يعرف أن الوقت لا يزال مبكراً للحديث عن ذلك، لكنه تساءل ما إذا كانت مستعدة، بعد تعافيها، لفتح صفحة جديدة معه. ترددت، وهي لا تتذكر أي شيء من تاريخهما، وعرفت أنها تشعر بحنان كبير تجاهه. إنها

ممتنة على الوقت الذي أمضاه في باريس، ولاحظت كم هو رجل جيد. لكنها لا تشعر تجاهه بشيء أكثر من ذلك، وشكّت في أنها ستفعل مع الوقت. لا تريد تضليله أو تشجيعه على الأمل بشيء لا تستطيع تقديمه له. عليها التركيز على التعافي الآن، واستعادة قوتها مجدداً، وتريد قضاء الوقت مع ولديها. ليست في وضع يسمح لها بالتفكير في رجل. وبدا كأن قصتهما كانت معقدة جداً. لقد وصلا إلى مرحلة جيدة قبل الحادث، ولا تريد إفساد ذلك أو المخاطرة به مجدداً.

تلألأت الدموع في عينيها حين أجابته: "لست واثقة من السبب، لكنني أشعر أنه من الأفضل لنا نحن الاثنين ترك الأمور على حالها. لا أعرف الكثير عن حياتي بعد، لكنني أعرف أنني أحبك. وأنا واثقة من أن الأمر كان أشبه بكارثة حين افترقنا. لكن شيئاً ما أبعدنا عن بعضنا منذ ذلك الحين، حتى لو كنت لا أتذكر ما هو. تزوجت بشخص آخر، ويقول لي الجميع إنني كنت سعيدة معه. لا بد أنك عرفت أشخاصاً آخرين في حياتك أيضاً. أنا واثقة من أننا فعلنا هذا. وأشعر بالقوة التي نتشاركها، وقوة حبي لك وحبك لي كصديقين. هناك ولدانا اللذان يجمعان بيننا إلى الأبد. لا أريد إفشال ذلك أو إيلامك.

"لا بدّ أنني قصّرت نوعاً ما، أو خيّبت أملك، حتى تتركني وتذهب مع شخص آخر. أقدّر الحب الذي يجمعنا الآن، كأهل لنفس الولدين وكصديقين. لا أريد خسارة ذلك لأجل أي شيء في العالم، أو فعل أي شيء لإفساده. ثمة شيء يقول لي إن محاولة إحياء زواجنا ستكون محفوفة كثيراً بالمخاطر، وقد تكون النتائج كارثية لنا معاً. إذا كان الأمر يناسبك"– ابتسمت له بحنان– "أفضل إبقاء الأمور على هذا النحو. يبدو لي أننا نملك معادلة رابحة الآن، من دون إضافة أي شيء لها. إذا نجحت في عدم تدمير نفسي مجدداً، سأكون هناك لمساعدتك إلى الأبد. أتمنى أن يكون هذا كافياً لك، جايسون. يبدو لي أن ما نملكه حالياً هو هدية رائعة. لا أريد إفساد ذلك". لا تكنّ مشاعر رومنسية تجاهه، مهما كان وسيماً ولطيفاً، أو

مهما أحبها. لا تشعر بهذا الحب تجاهه في الوقت الحاضر، على الرغم من أنها واثقة من أنها فعلت ذلك قبل سنوات عدة. لكنها لم تعد الآن. إنها واثقة من ذلك.

"كنت أخشى أن تقولي شيئاً مثل هذا"، قال بحزن. "وأنت محقة ربما. طرحت عليك السؤال نفسه بعدما تطلقنا أنا وناتاليا، بعد انتقالك إلى لوس أنجلوس. أعطيتني الجواب نفسه تقريباً، على الرغم من أنني أظن أنك كنت لا تزالين غاضبة مني آنذاك. لديك كل الحق في ذلك. كنت شريراً حين تركتك، واستحققت كل ما حصل لي. جنون الشباب... أو في حالتي، منتصف العمر. لا أملك الحق في ما طلبته منك، لكنني أردت المحاولة مرة جديدة. وسأكون موجوداً لأجلك إلى الأبد. يمكنك الاعتماد عليّ كارول. أتمنى أن تعرفي هذا".

"أعرف"، قالت والدموع في عينيها. كان رائعاً معها منذ الحادث. "أحبك جايسون بأفضل ما يمكن".

"وأنا أيضاً"، قال لها فيما قبّلها على وجنتها في سريرها. في النهاية، بدا لها أن إبقاء الأمور على حالها هو الأفضل. وهذا هو رأيه أيضاً. لاحظ بصيص أمل لبرهة، أو تمنى ذلك، وأراد سؤالها. إذا كانت هناك فرصة، لا يريد تفويتها. وإلا، لا يزال يحبها على أي حال. لطالما أحبها. حزن لمغادرته باريس. فعلى الرغم من الظروف، استمتع بقضاء الوقت معها. وعرف أنه سيشتاق إليها مجدداً حين يغادر. لكنهما سيقضيان عطلة الميلاد مع بعضهما، في لوس أنجلوس، برفقة الولدين.

قررت ستيفي البقاء في باريس مع كارول إلى أن تعود إلى لوس أنجلوس، مهما استغرق ذلك من وقت. لقد تحدثت إلى آلان مرات عدة، وتفهم مكوثها في باريس. لمرة واحدة، بدا له منطقياً بقاؤها مع كارول. كان داعماً للتوتر الذي تعيشه، ولم يتذمر أبداً. أحبته ستيفي لذلك. ثمة أوقات يكون فيها آلان رجلاً رائعاً فعلاً، مهما اختلفت احتياجاتهما وأهدافهما أو آراؤهما بشأن الزواج.

جاء أنطوني لرؤية أمه في المستشفى قبل أن يغادر إلى نيويورك، وأمضى ساعة معها وأخبرها، مثلما فعل جايسون، كم هو ممتن لنجاتها. قالت كلويه الشيء نفسه حين جاءت لتودع أمها قبل ساعة، في طريقها إلى المطار. كانوا مرتاحين جميعاً لبقائها على قيد الحياة.

"حاولي الابتعاد عن المشاكل، على الأقل لبعض الوقت، حتى أعود إلى المنزل. لا مزيد من الرحلات المجنونة لوحدك مثل هذه. خذي ستيفي معك على الأقل في المرة التالية". لم يكن أنطوني واثقاً من أن هذا كان ليغير أي شيء، إذا تواجدت في المكان الخطأ وفي الوقت الخطأ. لكن الفكرة أنه كاد يخسر أمه في انفجار قنبلة في باريس لا تزال ترعبه. "شكراً على دعوتك بابا لقضاء عطلة الميلاد معنا. هذا لطف منك". عرف أنه لولا هذه الدعوة، لبقي والده وحيداً. لم تكن هناك امرأة مهمة في حياته منذ وقت طويل. وهذه هي عطلة الأعياد الأولى التي يمضونها هم الأربعة مع بعضهم منذ ثماني عشرة سنةً. آخر عطلة تشاركوها هم الأربعة كانت ذكرى مشوشة له، وليس واثقاً من أن الأمر سيحصل مجدداً بعد هذه السنة، ولذلك عنى له الأمر كثيراً، ولوالده أيضاً.

"سأكون حسنة السلوك"، وعدت كارول وهي تنظر بفخر إلى ابنها. على الرغم من أنها لم تعد تتذكر تفاصيل طفولته، من السهل الملاحظة أنه كان شاباً لطيفاً، مثلما قال والده عنه. كما أن حبه لأمه تلألأ بوضوح في عينيه، مثلما ظهر حبها له في عينيها.

بكى كلاهما حين تعانقا للمرة الأخيرة، على الرغم من أنها عرفت أنها ستراه عما قريب. باتت تبكي بسهولة الآن، وبدا كل شيء عاطفياً أكثر بالنسبة إليها. لديها الكثير لتعلّمه واستيعابه. يبدو الأمر فعلاً وكأنها ولدت من جديد.

فيما كان أنطوني على وشك مغادرة غرفتها، بعدما تعانقا، دخل رجل. إنه الرجل الفرنسي الطويل الذي زارها من قبل وأحضر لها الأزهار. لم تستطع تذكر اسمه، وما بقي من فرنسيتها ضللها تماماً.

تستطيع فهم ما يقوله الأطباء والممرضات حولها، لكنها لا تستطيع إجابتهم بالفرنسية. يصعب عليها أصلاً تحدث الإنكليزية مجدداً، وتذكر كل كلماتها. إنها تتحدث جيداً الآن، لكن تحدث الفرنسية لا يزال خارج قدراتها.

بدا وكأن أنطوني تجمد حيث وقف، ونظر الرجل الفرنسي إلى أنطوني مع ابتسامة صغيرة وإيماءة. لاحظت أن ابنها تعرف إليه، فيما بدا أن جسم أنطوني كله تصلب وأصبحت النظرة في عينيه نظرة جليدية. بدا واضحاً أنه غير سعيد برؤية هذا الرجل. لقد قال الرجل الفرنسي إنه صديق للعائلة ويعرف ولديها، ولذلك لم تتفاجأ بأنهما تعرفا إلى بعضهما. لكنها انزعجت لرؤية أنطوني مصدوماً.

"مرحبا أنطوني"، قال ماتيو بهدوء. "لقد مضى وقت طويل".

"ماذا تفعل هنا؟"، قال أنطوني باستياء. لم يره منذ أن كان طفلاً. ألقى نظرة وقائية على أمه، فيما راقبته كارول وهي تحاول أن تفهم ماذا يحصل.

"جئت لرؤية أمك. جئت سابقاً مرات عدة". ثمة برودة واضحة بين الرجلين، ولا تعرف كارول لماذا.

"هل تذكرتك؟"، سأل أنطوني ببرودة.

"لا، لم تفعل"، أجاب أنطوني نيابة عنها. لكن أنطوني تذكره جيداً، وكيف جعل أمه تبكي كثيراً. كان قد نسي الأمر حتى الآن. لم يره منذ خمس عشرة سنةً، لكنه يتذكر الأمر كما لو أنه حصل البارحة، كيف كانت محطمة حين جاءت لإخباره هو وكلويه أنهم سيغادرون باريس. بكت كثيراً كما لو أن قلبها سيتحطم، ولم ينسَ ذلك أبداً.

أحب أنطوني ماتيو قبل ذلك، وكثيراً. لعب معه كرة القدم، لكنه كرهه حين شاهد أمه تبكي، وأخبرته السبب. ماتيو هو الذي جعلها تبكي. ويتذكر الآن أنها ذرفت الدموع قبل ذلك. لأشهر عدة. كان سعيداً بالعودة إلى الولايات المتحدة، ولكن غير سعيد برؤية أمه محطمة حين غادروا. وهو يتذكر أنها بقيت حزينة لوقت طويل، حتى بعد عودتهم إلى لوس

أنجلوس. عرف أنها باعت المنزل في النهاية وقالت إنهم لن يعودوا أبداً. لم يكترث أنطوني للأمر حينها، على الرغم من أنه كان لديه أصدقاء جيدين هناك. لكنه عرف أن الأمر مهم لأمه، وإذا استعادت ذاكرتها، قد يهمها الأمر الآن أيضاً. شعر أنطوني بالكثير من القلق لرؤية ماتيو في غرفتها.

ثمة شيء في ماتيو يقول إنه يملك الحق في فعل أي شيء يريده. لا يتردد في أي شيء، ويتوقع أن يصغي إليه الأشخاص، ويفعلون مثلما يريد. تذكر أنطوني أنه لم يحب هذه الصفة فيه حين كان طفلاً. أرسله ماتيو إلى غرفته ذات مرة لأنه كان قاسياً مع أمه، وصرخ أنطوني في وجهها قائلاً إنه ليس والده. اعتذر منه ماتيو لاحقاً، لكن أنطوني لا يزال يشعر بهذه السلطة فيما وقف في الغرفة، وكأنه ينتمي إلى هنا. إنه لا يفعل، وبدا جلياً لابنها أن كارول لا تزال تجهل من يكون.

"سأمكث لبضع دقائق فقط"، قال ماتيو بتهذيب، فيما عاد أنطوني لمعانقة أمه مجدداً وبدا كأنه يريد حمايتها بشراسة. يريد ماتيو خارج غرفتها، وحياتها، إلى الأبد.

"أراك قريباً، أمي"، وعدها. "اعتني بنفسك. سأتصل بك من نيويورك". قال كلماته الأخيرة فيما ألقى نظرة سريعة على ماتيو، وكره فكرة تركه معها في الغرفة. لا يسعه فعل الكثير لها، وهي لا تتذكره، وهناك ممرضة معها في الغرفة طوال الوقت. لكن أنطوني لم يحب الأمر على أي حال. لقد ترك حياتها قبل سنوات عدة، بعدما سبب لها ألماً كبيراً. ما من سبب لكي يعود، على الأقل برأي ابنها. وهي ضعيفة جداً الآن. مزّق ذلك قلب ابنها.

نظرت كارول إلى ماتيو، بعدما غادر ابنها الغرفة، والسؤال في عينيها. "لقد تذكرك"، قالت له وهي تراقبه. لا شك في أن ابنها لا يحب هذا الرجل. "لماذا لا يحبك؟". عليها الاعتماد على الآخرين ليزوّدوها بالأمور التي يفترض بها معرفتها لوحدها. والأهم من ذلك، أنه عليها الاعتماد

عليهم لإخبارها الحقيقة، مثلما فعل جايسون. أحبته كثيراً لذلك، وعرفت أن الأمر كان صعباً. بدا ماتيو أكثر احترازاً وأقل ميلاً لكشف نفسه أمامها. لديها الإحساس بأنه يتوخى الحذر حين يأتي لزيارتها. لاحظت أيضاً تفاعل الممرضات. بدا جلياً أنهم يعرفون هذا الرجل، وتساءلت أكثر من أي وقت مضى من يكون. أرادت سؤال أنطوني عنه حين يتصل.

"كان ولداً صغيراً حين رأيته لآخر مرة"، قال ماتيو مع تنهيدة فيما جلس. "شاهد العالم بعينيّ طفل آنذاك. لطالما أراد حمايتك بشدة. إنه صبي رائع". تعرف ذلك بنفسها. "أنا جعلتك غير سعيدة، كارول". لا جدوى من إنكار الأمر أمامها. سيخبرها الصبي، على الرغم من أنه لا يعرف القصة كلها. وحده هو وكارول يعرفانها، وهو غير مستعد بعد لإخبارها. لا يريد أن يحبها مجدداً، ويخاف أن يفعل. "كانت حياتنا معقدة جداً. التقينا فيما كنت تصورين فيلماً في باريس، مباشرة بعدما تركك زوجك. ووقعنا في الغرام". قال ذلك والشوق والندم في عينيه. لا يزال يحبها. لاحظت ذلك في عينيه. الأمر مختلف عما رأته في عينيّ جايسون. الرجل الفرنسي أكثر قوة، وحزين نوعاً ما. إنه يخيفها تقريباً، ولكن ليس تماماً. يملك جايسون دفئاً ولطافة يفتقرهما ماتيو. إنه يؤثر فيها بطريقة غريبة. لم تعرف ما إذا كانت تخاف منه، أو تثق به، أو حتى تحبه. ثمة شيء غامض فيه، وشغف ساكن. أياً كانت العلاقة التي ربطتهما قبل سنوات، لا تزال النار متقدة لديه، وثمة شيء يتحرك داخلها أيضاً. لا تستطيع تذكره، لكنها تشعر بشيء تجاهه ولا تعرف ما هو، ما إذا كان الخوف أو الحب. لا تزال تجهل من يكون، وعلى عكس الممرضات، لم تتعرف إلى اسمه. إنه مجرد رجل يقول إنهما كانا على علاقة حب. ومثل الأشخاص الآخرين، لا تتذكره على الإطلاق. لا تعرف أبداً من يكون. كل ما لديها هو تلك المشاعر الغريبة التي يثيرها فيها، مما يجعلها تشعر بالانزعاج، لكنها لا تعرف السبب. على الإطلاق. فكل شيء عرفته أو شعرت به تجاهه أصبح بعيداً عن متناولها.

"ماذا حصل بعدما وقعنا في الغرام؟"، سألته كارول فيما دخلت ستيفي إلى الغرفة وبدت متفاجئة لرؤيته. عرّفته كارول، ثم خرجت ستيفي من الغرفة، والسؤال في عينيها، لتنتظر في القاعة. أخبرت كارول أنها في الجوار. تشعر كارول بالارتياح حين تعرف ذلك. على الرغم من أنه لا يستطيع إيذاءها، شعرت كارول وكأنها عارية لتواجدها لوحدها في الغرفة معه. عيناه لم تبتعدا أبداً عن عينيها.

"حصلت أمور عدة. كنت حب حياتي. أريد إخبارك عنه، ولكن ليس الآن".

"لماذا؟". أقلقها تكتمه. إنه يضع الحواجز، الأمر الذي بدا منذراً بالسوء برأيها.

"لأن هناك الكثير من الأمور لقولها في وقت قصير. كنت أتمنى أن تستعيدي ذاكرتك حين تستعيدين الوعي، لكنني ألاحظ أنك لم تفعلي. أودّ المجيء في يوم آخر، والتحدث إليك بشأن ذلك". ثم أذهلها ما قاله لها. "عشنا مع بعضنا لمدة سنتين".

"فعلنا؟". كانت مصدومة. "هل تزوجنا؟". ابتسم وهزّ رأسه. إنها تعثر على الأزواج في كل مكان. جايسون. شون. والآن، هذا الرجل الذي يقول إنه عاش معها. ليس مجرد معجب وإنما رجل التزمت به بوضوح. لم يخبرها أحد عنه. ربما لا يعرفون. لكن أنطوني يعرف بوضوح، ولم يكن رد فعله جيداً، ما يعني لها الكثير. لم تكن هذه قصة سعيدة، وبما أنهما ليسا مع بعضهما، لم تكن النهاية جيدة أيضاً.

"لا، لم نتزوج. أردت الزواج بك وأردتِ الزواج بي. لكننا لم نستطع. كانت لدي تعقيدات عائلية ومهنة صعبة. لم يكن الوقت مناسباً". التوقيت هو كل شيء. كانت هذه هي الحال مع جايسون أيضاً. هذا كل ما أراد ماتيو قوله الآن. وقف حينها ووعدها بالعودة مجدداً. ليست واثقة من أنها تريده أن يعود. من المستحسن ربما ألا تعرف هذه القصة. بدت الغرفة مليئة بالحزن والندم حين تحدث، ثم ابتسم. غاصت

عيناه كثيراً في عينيها، وتذكرت شيئاً بشأنه، لكنها لم تعرف ماذا. لا تريده أن يعود، لكنها لا تملك الشجاعة لقول ذلك. إذا عاد، فستبقي ستيفي معها، لحمايتها. شعرت وكأنها تحتاج إلى أحد لحمايتها منه. إنه يخيفها. ثمة شيء قوي جداً فيه.

انحنى لتقبيل يدها فيما راقبته. كان رسمياً في تصرفه، لائقاً جداً، وإنما في الوقت نفسه جريئاً جداً. إنه في غرفة امرأة لا تتذكره، لكنه أخبرها أنهما أحبا بعضهما، وعاشا معاً، وأرادا الزواج. وحين راقبها، أحسّت بالرغبة التي لا يزال يشعر بها تجاهها.

عادت ستيفي إلى الغرفة ما إن غادر.

"من هو هذا الرجل؟"، سألت وهي تبدو غير مرتاحة، وقالت ستيفي إنها لا تعرف. "ربما هو الرجل الفرنسي الغامض الذي حطم قلبك ولم تخبريني أبداً عنه"، قالت ستيفي باهتمام، وضحكت كارول.

"اه، إنهم يظهرون من كل مكان، أليس كذلك؟". أزواج، أصدقاء، رجال فرنسيون غامضون. قال إننا عشنا مع بعضنا وأردنا الزواج، لكنني لا أتذكره أكثر من أي شخص آخر. في هذه الحالة ربما، من الأفضل عدم تذكر أي شيء. يبدو غريباً لي".

"إنه فرنسي. إنهم جميعاً غرباء"، قالت ستيفي بفظاظة، "وأقوياء كثيراً. ليس هذا أسلوبي".

"لا أظن أنه أسلوبي أنا أيضاً. لكنه كان كذلك ربما من قبل".

"قد يكون هو الرجل الذي عشت معه في المنزل الصغير، المنزل الذي بعته حين جئت للعمل معك".

"ربما. بدا أنطوني غاضباً لرؤيته. واعترف هو أنه جعلني غير سعيدة"، قالت كارول مع نظرة شاردة.

"إنه على الأقل صادق في هذا".

"أتمنى لو أتذكر شيئاً"، قالت كارول وهي لا تزال تبدو منزعجة.

"هل تذكرت أي شيء؟".

"لا. على الإطلاق. القصص مذهلة، لكن يبدو وكأنني أستمع إلى حياة شخص آخر. وحسبما استطعت جمعه، عملت كثيراً ولم أمكث أبداً في المنزل مع زوجي. خسرته أمام عارضة أزياء عمرها إحدى وعشرون سنةً تخلصت منه بعدما تخلص مني. مباشرة بعد ذلك، يبدو لي أنني وقعت في غرام هذا الرجل الفرنسي الذي جعلني تعيسة ويكرهه ابني. ثم تزوجت برجل رائع مات وهو لا يزال شاباً، وها أنا الآن". ثمة شيء من السخرية في عينيها حين قالت ذلك، وابتسمت ستيفي.

"تبدو هذه حياة ممتعة. أتساءل ما إذا كان هناك شخص آخر؟".

بدت متفائلة كثيراً، فيما بدت كارول مذعورة.

"أتمنى لا! هذا كثير أصلاً بالنسبة إليّ. تعبت من التفكير في هؤلاء الثلاثة. وفي ولديّ". لا تزال قلقة بشأن كلويه وما تشعر ابنتها بأنها لم تحصل عليه وهي بحاجة إليه منها. هذه هي أولويتها في الوقت الحاضر. لم يعد جايسون مسألة على الرغم من أنها أحبته، وشون رحل، وأياً يكن الرجل الفرنسي، لا تكترث به، باستثناء فضولها لمعرفة ماذا كان يعني لها. لكنها تشعر نوعاً ما أنه من الأفضل لها ألا تعرف. لا يبدو الأمر جيداً لها. لا تريد ذكريات مؤلمة تضاف إلى البقية. فالقصة التي أخبرها بها جايسون عن حياتها كافية. تستطيع أن تتخيل كم كانت حزينة آنذاك. ثم هذا الرجل الفرنسي جعلها غير سعيدة أيضاً. لا بد أنها كانت مرحلة مريعة في حياتها، إذ يسهل تصور ذلك. الحمد لله على شون. يبدو كل ما قيل عنه جيداً. وقد خسرته هو أيضاً. لا يبدو لها أنها كانت محظوظة مع الرجال في حياتها، وإنما فقط مع ولديها.

أخرجتها ستيفي من سريرها حينها، بمساعدة الممرضة. يريدون منها أن تتمرن على المشي.

ذهلت لمدى صعوبة ذلك. بدا وكأن ساقيها نسيتا كيفية أداء المهمة. شعرت كأنها طفلة صغيرة فيما تعثرت ووقعت، وعليها تعلم كيفية النهوض لوحدها. وفي النهاية، بدا أن ذاكرتها الحركية تحركت وراحت تمشي على

نحو غير مستقر في القاعات بمساعدة ستيفي وممرضة. تعلم المشي مجدداً أمر صعب جداً. كل شيء صعب. تشعر بالإرهاق كل يوم بحلول المساء وتنام قبل أن تغادر ستيفي الغرفة.

فعل أنطوني مثلما وعدها واتصل بأمه من نيويورك ما إن وصل. كان لا يزال غاضباً من ماتيو.

"لا شأن له في زيارتك، أمي. لقد حطّم قلبك. لهذا السبب تركنا فرنسا".

"ماذا فعل؟"، سألت كارول، لكن ذكريات أنطوني كانت ذكريات طفل صغير.

"كان حقيراً معك وجعلك تبكين". بدا الأمر بسيطاً جداً، فابتسمت.

"لا يستطيع إيذائي الآن"، طمأنت ابنها.

"سأقتله إذا فعل". لم يعد يتذكر التفاصيل، لكن المشاعر المترسبة لا تزال قوية. "اطلبي منه أن يختفي".

"أعدك. إذا كان حقيراً معي، سأرميه في الخارج". لكنها تريد أن تعرف المزيد.

بعد يومين من مغادرة جايسون وأنطوني، قال مايك أبلسون إنه قادم إلى فرنسا لرؤيتها. إنه يتصل كل يوم ويتحدث إلى ستيفي. أخبرته كارول أنها قوية كفاية لتراه، على الرغم من أنها ستعود إلى لوس أنجلوس خلال أسابيع قليلة بحيث يمكنه رؤيتها هناك. قال إنه لا يريد الانتظار وأخذ طائرة من لوس أنجلوس. وصل إلى باريس في اليوم التالي، بعد أسابيع من القلق المميت عليها. إنها بمثابة ابنته، وهي كذلك منذ أن التقيا، حين كانت في الثامنة عشرة.

مايك أبلسون رجل وسيم وبدين مع عينين متقدتين وضحكة مدوية. يملك حساً كبيراً للدعابة وهو ينتج الأفلام منذ خمسين سنة. عثر على كارول في نيو أورليانز قبل اثنتين وثلاثين سنة، وأقنعها بالمجيء إلى هوليوود لإجراء اختبار أمام الشاشة. الباقي قصة هوليوودية. فقد كان

الاختبار أمام الشاشة ممتازاً، ووصلت إلى النجومية مثل الصاروخ، بفضله هو. رافقها في أول أفلامها وراقبها مثل الدجاجة التي تحضن صغارها. كان موجوداً حين التقت بجايسون، وعرّفهما إلى بعضهما، على الرغم من أنه لم يدرك التأثير الذي سيتركه ذلك. أحبه ولداها واعتبراه بمثابة جدّ لهما. وهو يعمل كوكيل لأعمالها منذ أن أطلقها في مهنتها. ناقشت معه كل فيلم شاركت فيه، قبل توقيع العقود، ولم تنجز مشروعاً واحداً من دون موافقته ونصيحته الحكيمة. حين سمع بالحادثة، والحالة التي كانت فيها، شعر بالإحباط. أراد أن يراها الآن بأم عينيه. حذرته ستيفي من أن كارول لم تستعد ذاكرتها بعد. لن تتعرف إليه، أو تتذكر تاريخهما معاً، لكن حين عرفت كم كانت كارول مهمة بالنسبة إليه، وهو مهم بالنسبة إلى كارول، تأكدت ستيفي من أنها ستسعد حتماً لرؤيته.

"لا تزال لا تتذكر أي شيء؟"، سأل وهو يبدو منزعجاً على الهاتف. "هل ستعود ذاكرتها؟". كان قلقاً جداً عليها منذ اتصال ستيفي بعد وصولها إلى باريس. أرادت تحذيره قبل أن يقرأ عن حادثة كارول في الصحف. بكى حين اتصلت به ستيفي.

"تأمل ذلك. لم يتحرك أي شيء بعد، لكننا نحاول"، وهكذا كانت كارول. حاولت أحياناً لساعات عدة تذكر الأشياء التي أخبرها الأشخاص بها منذ أن استفاقت من غيبوبتها. لكنها لم تستطع النفاذ إلى أي شيء بعد. طلب جايسون من سكرتيرته إرسال صور فوتوغرافية، وألبوم الأولاد من منزله. كانت الصور جميلة، لكن كارول حدقت إليها من دون أن تتذكر أبداً الذكريات التي يفترض أن ترافق هذه الصور ولم تفعل. إلا أن الأطباء لم يفقدوا الأمل، وقالت الطبيبة المسؤولة عن حالتها، وهي طبيبة أعصاب، إن الأمر قد يستغرق وقتاً طويلاً، وثمة مساحات من ذاكرتها قد لا تعود أبداً. فالضربة على رأسها، والصدمة، والغيبوبة بعد ذلك كلها أثرت سلباً فيها. إلا أن مدى هذا التأثير ومدة استمرار الضرر لا يزالان أمرين غير معروفين. الأمر محبط جداً بالنسبة إلى كارول.

لكن على الرغم من تحذيرات ستيفي، لم يكن مايك أبلسون مستعداً لافتقارها الكامل إلى الذاكرة حين دخل إلى غرفتها. توقع وجود شيء ما على الأقل، ذكرى لوجهه، أو لجزء من عملهما مع بعضهما على مرّ السنوات. لم يكن هناك أي شيء، وبدت فارغة التعبير حين دخل. لحسن الحظ أن ستيفي كانت في الغرفة أيضاً. لاحظت مدى الإحباط على وجهه فيما حدقت إليه كارول. أخبرتها ستيفي من يكون، وحذرتها سابقاً من أنه قادم. وعلى الرغم من كل جهوده لعدم البكاء، انفجر مايك بالبكاء حين عانقها. إنه أشبه بدب كبير وحنون نسبة إلى رجل.

"الحمد لله"، هو كل ما استطاع قوله في البداية، ثم هدأ أخيراً فيما أرخى عناقه وحرر كارول من ذراعيه.

"أنت مايك؟"، سألت كارول بنعومة، كما لو أنهما يلتقيان للمرة الأولى. "أخبرتني ستيفي كثيراً عنك. كنت رائعاً معي". بدت ممتنة له، على الرغم من أنها لا تتذكر شيئاً من الماضي.

"أحبك صغيرتي. لطالما أحببتك. أنت أجمل فتاة التقيتها في حياتي". اضطر إلى كبح دموعه فيما نظر إليها، وابتسمت له. "كنت خارقة الجمال في عمر الثامنة عشرة"، قال بفخر. "لا تزالين كذلك".

"تقول ستيفي إنك اكتشفتني. يجعلني ذلك أبدو وكأنني دولة، أو زهرة، أو عصفوراً نادراً".

"أنت عصفور نادر، وزهرة"، قال وهو يجلس على الكرسي المريح الوحيد الموجود في الغرفة، فيما وقفت ستيفي قربه. طلبت كارول من مساعدتها البقاء معها. حتى الآن، ومن دون ذاكرة سابقة لما فعلته ستيفي لها، أصبحت كارول تعتمد عليها. تشعر بالأمان والحماية مع المرأة الشابة الطويلة صاحبة الشعر الداكن.

"أحبك كارول"، قال لها، على الرغم من أنها لم تتذكره. "لديك موهبة استثنائية. أنجزنا بعض الأفلام الرائعة مع بعضنا على مرّ السنوات. وستفعل مجدداً، بعدما تتخطين هذه الأزمة". لا يزال محترماً وناشطاً كثيراً

في عمله، وهو كذلك منذ نصف قرن، منذ أن ولدت كارول. "لا أستطيع الانتظار حتى تعودي إلى لوس أنجلوس. حجزت لك أفضل الأطباء في سيدارز – سيناء". سيوصي أطباؤها في باريس بأطباء لها في أميركا، لكن مايك أراد الشعور بالاطمئنان والسيطرة على الوضع. "إذاً من أين نبدأ"، سأل كارول بطريقة عفوية. أراد فعل أي شيء ممكن لمساعدتها. يعرف الكثير عن بداية حياتها في هوليوود، وقبلها. أكثر من أي شخص آخر. شرحت لها ستيفي ذلك قبل أن يصل.

"كيف التقيت بك؟". أرادت كارول سماع القصة.

"قمت ببيعي أنبوب معجون أسنان في متجر صغير، في نيو أورليانز، وكنت أجمل فتاة رأيتها في حياتي"، قال بلطافة. لم يذكر مسألة الندبة على وجهها. لقد رآها سابقاً، بعد أن أصبحت تمشي. إنها تدخل الحمام وتنظر في المرآة. إنها على قيد الحياة، وهذا ثمن صغير نسبة إلى نجاتها. تريد فقط استرجاع ذاكرتها، وليس جمالها الخالي من العيوب.

"دعوتك للمجيء إلى لوس أنجلوس، لإجراء اختبار أمام الكاميرا، وأخبرتني لاحقاً أنك ظننت أنني سمسار فاحشات. جميل، أليس كذلك؟". كان رجلاً ضخماً، وانفجر بالضحك عند تذكر تلك الحادثة. لقد حكى هذه القصة مليون مرة. "كانت هذه أول مرة يظن فيها أحد أنني سمسار فاحشات". ضحكت كارول معه. لقد استعادت كل مفرداتها الآن، وفهمت العبارة. "جئت إلى نيو أورليانز من الميسيسيبي"، تابع قائلاً. "من مزرعة والدك. كان قد مات قبل أشهر قليلة، وبعت المزرعة. كنت تعيشين من ذلك المال، ولم تسمحي لي حتى بأن أدفع لك ثمن بطاقة السفر. قلت إنك لا تريدين أن تصبحي أسيرتي. كنت تتشدقين في الكلام آنذاك. أحببت ذلك. لكن الأمر لا ينفع في الأفلام". أومأت كارول برأسها. أخبرها جايسون الشيء نفسه. كانت لا تزال تحتفظ بشيء من ذلك حين تزوجها، تلك اللكنة الميسيسيبية، لكنها اختفت منذ زمن طويل، قبل سنوات عدة. "جئت إلى لوس أنجلوس، وكان اختبارك أمام الكاميرا مذهلاً".

"ماذا حدث لي قبل ذلك؟". إنه يعرفها أكثر من أي شخص آخر، وظننت أنه قد يعرف شيئاً عن طفولتها. كان جايسون سطحياً في هذا الموضوع، ولا يعرف كل التفاصيل.

"لست واثقاً"، قال بصراحة. "تحدثت كثيراً عن والدك حين كنت صغيرة. بدا أنه كان جيداً معك، وأحببت ترعرعك في المزرعة. عشت في بلدة صغيرة في ضواحي بيلوكسي". حين قال الكلمة، تحرك شيء فيها. لا تعرف لماذا، لكن كلمة خطرت ببالها وقالتها.

"نورتون". حدّقت إليه بذهول، وكذلك فعلت ستيفي، فيما خرجت الكلمة من فمها.

"هذه هي. نورتون". بدا مسروراً. "كان لديك أبقار ودجاجات و...". قاطعته.

"لاما". بدت هي نفسها مذهولة حين لفظت الكلمة. إنه أول شيء تتذكره لوحدها.

ألقى مايك نظرة خاطفة على ستيفي، التي كانت تراقب كارول بتمعن، وأومأت كارول برأسها. أمعنت النظر في عينيّ مايك. إنه يفتح لها باباً لا يستطيع أحد غيره فتحه.

"كان لديّ لاما. أهداني إياها والدي لمناسبة ذكرى ميلادي. قال إنني أبدو مثلها لأنني أملك عينين كبيرتين، وأهداباً طويلة وعنقاً طويلاً. لطالما قال لي إنني مضحكة المظهر". إنها تتحدث كما لو أنها تستطيع سماعه. "كان اسم والدي كونواي". أومأ مايك برأسه، وهو يخشى مقاطعتها. ثمة شيء مهم يحصل، وعرفوا هم الثلاثة ذلك. هذه هي أولى الذكريات التي تعود إليها. عليها العودة إلى البداية الأولى. "توفيت أمي حين كنت صغيرة. لم أعرفها أبداً. ثمة صورة لها فوق البيانو، وأنا على حرجها. كانت جميلة جداً. كان اسمها جاين. أنا أشبهها". وحين قالت ذلك، ملأت الدموع عينيّ كارول. "وكان لديّ جدة اسمها روث، حضّرت لي الحلويات وتوفيت حين كنت في العاشرة".

"لم أعرف هذا"، قال مايك بهدوء. ذكراها لا تزال حادة في عقل كارول.

"كانت جميلة أيضاً. توفي والدي مباشرة بعد تخرجي. انقلبت شاحنته في مصرف مياه". إنها تتذكر كل شيء الآن. "قالوا إنه عليّ بيع المزرعة، و...". بدت فارغة التعبير ثم حدقت فجأة إليهما. "ثم لا أعرف ماذا حصل".

"بعت المزرعة وذهبت إلى نيو أورليانز وعثرت عليك". أعطاها المعلومات، لكنها أرادتها من عقلها هي، وليس من عقله هو. ولم تستطع التقدم أكثر. هذا كل ما استطاعته حتى الآن. مهما أرادت تذكر المزيد، لم يعد باستطاعتها. لكنها تذكرت الكثير في وقت قصير. لا تزال تستطيع رؤية صورة أمها ووجه الجدة روث.

تحدثوا بعدها عن أشياء أخرى لبعض الوقت، وتمدد مايك ووضع يدها في يده. لم يقل ذلك، لكنه انزعج جداً من رؤيتها مشوشة هكذا. دعا لكي تعود ذاكرتها، وتعود هي تلك المرأة الساطعة، المشغولة، الذكية والموهوبة التي كانت ذات مرة. من المخيف التفكير في أنها قد لا تعود كذلك، وأنها قد تبقى محدودة إلى الأبد، ولا تتذكر شيئاً أبعد من الأسبوع الماضي. إنها تواجه بعض المشاكل في الذاكرة قصيرة الأمد أيضاً. لا مجال لأن تمثل مجدداً إذا بقيت على هذه الحال. ستكون هذه نهاية مهنة مهمة وامرأة رائعة. الآخرون قلقون بشأن الشيء نفسه، وكذلك كانت كارول بطريقتها الخاصة. إنها تكافح لاسترجاع أدنى ذكرى يمكنها الحصول عليها. وزيارة مايك لها كانت انتصاراً رائعاً في هذا الصدد. فهذا أكثر ما تذكرته حتى الآن. حتى الآن، لم ينجح أي شيء في فتح هذه الأبواب، لكنه نجح هو على ما يبدو. أرادت تذكر المزيد.

تحدثت هي وستيفي بشأن عودتها إلى لوس أنجلوس ومنزلها. لا تتذكر كارول كيف هو شكله. وصفته لها ستيفي، علماً أنها فعلت ذلك مرات عدة من قبل. تحدثت عن حديقتها، ثم نظرت إلى ستيفي بغرابة وقالت: "أظن أنه كان لديّ حديقة في باريس".

"نعم، هذا صحيح"، قالت ستيفي بهدوء. "هل تتذكرين ذلك المنزل؟".

"لا". هزت كارول رأسها. "أتذكر مزرعة والدي حيث كنت أحلب الأبقار". بدأت الأجزاء والقفافيت تعود، مثل الأحجية المعقدة. لكن معظم الأجزاء لا تتطابق مع بعضها. تساءلت ستيفي الآن إذا تذكرت كارول حديقة باريس، هل ستتذكر في النهاية ماتيو؟ تصعب معرفة ذلك. تأمل ألا تفعل هذا، إذ جعلها تعيسة جداً. تتذكر الآن كيف كانت كارول غاضبة حين أغلقوا ذلك المنزل.

"كم ستمكث في باريس؟"، سألت ستيفي مايك.

"حتى الغد فقط. أردت رؤية فتاتي الصغيرة هنا، لكن عليّ العودة". إنها رحلة طويلة جداً، نسبة إلى رجل في عمره، لليلة واحدة فقط. لكنه مستعد للسفر حول العالم بلمح البصر من أجلها، وأراد المجيء إليها منذ أن اتصلت به ستيفي. طلب منه جايسون الانتظار، ولذلك فعل، لكنه كان تواقاً للمجيء.

"أنا مسرورة لأنك جئت"، قالت كارول وهي تبتسم له. "لم أتذكر أي شيء حتى الآن".

"ستفعلين حين تعودين إلى لوس أنجلوس"، قال مايك بثقة لم يشعر بها. كان خائفاً فعلاً عليها. قيل له ما يجدر به توقعه، لكن الوضع أسوأ نوعاً ما. فالنظر في عينيها والإدراك أنها لا تتذكر أي شيء من حياتها أو مهنتها، أو الأشخاص الذين أحبوها، كلها أمور جعلته يرغب بالبكاء. "إذا علقت هنا، سأصاب أنا أيضاً بهفوات في الذاكرة". تماماً مثل شون، لم يحب مايك أبداً باريس. الشيء الوحيد الذي أحبه هنا هو الطعام. وجد أنه يصعب التعاطي مع الفرنسيين في العمل، وهم غير منظمين ولا يمكن الاعتماد عليهم في أفضل الأحوال. ما جعل المدينة مقبولة بالنسبة إليه هو فندق الريتز، الذي قال إنه أفضل فندق في العالم. باستثناء ذلك، يجد نفسه أكثر سعادة في الولايات المتحدة. وأراد إعادة كارول إلى هناك أيضاً، إلى الأطباء الذين يعرفهم. لقد حجز لها مواعيد مع أفضل أطباء المدينة.

بـصفته مـصاباً بوسواس المرض، بات في مجلس إدارة مستشفيين وكلية طب.

لم يشأ تركها تلك الليلة للعودة إلى الفندق، لكنه لاحظ أنها متعبة. لقد بقـي معهـا طوال فترة بعد الظهر، وكان مرهقاً هو أيضاً. حاول تنشيط ذاكـرتها أكثر بقصص عن بداياتها في هوليوود، لكنها لم تتذكر أي شيء إضـافي. فقط فتافيت من طفولتها في الميسيسيبي. لكن لا شيء بعد عمر الثامنة عشرة، حين تركت المزرعة. إنها بداية.

لا يـزال الـتحدث إلى الأشخاص لوقت طويل يتعبها، فيما محاولة استرجاع ذاكرتها ترهقها. كانت مستعدة للخلود إلى النوم فيما استعد مايك للمغـادرة. وقف قرب سريرها لوقت طويل قبل أن يغادر، وداعب شعرها الأشـقر الطويل بيده. "أحبك، صغيرتي". لطالما ناداها هكذا، منذ أن كانت صغيرة. "عليك الآن التحسن والعودة إلى الوطن بأسرع ما يمكنك. سأكون فـي انـتظارك فـي لوس أنجلوس". اضطر إلى كبح دموعه مجدداً فيما عانقهـا، ثـم غادر الغرفة. ثمة سائق ينتظره في الأسفل لاصطحابه إلى الفندق.

بقـيت سـتيفي حتى نامت كارول، ثم غادرت هي أيضاً. اتصل بها مايك في غرفتها حين عادت وكان غاضباً. "يا الله"، قال لها. "لا تتذكر أي شيء".

"اللامـا، بلـدتها، جـدتها، صورة أمها، ومزرعة والدها هي أولى إشـارات الأمـل التـي لدينا. أظن أنك أفدتها كثيراً". كانت ستيفي ممتنة وصريحة.

"أتمنـى أن نتخطـى هذه المرحلة قريباً". أرادها مايك أن تعود هي نفـسها، وتعود إلى مهنتها. لا يريدها أن تنتهي هكذا، بحيث تصبح كارول مصابة في الدماغ ومعوقة.

"أتمنـى ذلـك أيـضاً"، وافقت ستيفي، وأخبرها أنه أعطى تصريحاً وجيزاً خارج المستشفى. ثمة صحافي أميركي تعرّف إليه وسأله عن حال

كـارول، وإذا جـاء لـرؤيتها. قـال إنه فعل، وإنها في حال جيدة. أخبر الـصحافي أن ذاكـرتها بدأت تعود، لا بل إنها تتذكر كل شيء تقريباً. لا يريد أن ينتشر كلام مفاده أنها فقدت عقلها. ظنّ أن رسم صورة وردية عن تقـدم حالتها أمر مهم لمهنتها. لم تكن ستيفي واثقة من أنه محق، لكن هذا لـن يؤذي أبداً. لم تكن كارول تتحدث إلى الصحافيين بنفسها، وبالتالي ما مـن طـريقة لهم ليعرفوا الحقيقة، ولم يكن يُسمح لأطبائها بالتحدث إليهم. مايك يهتم فعلاً لكارول، لكنه يفكر دوماً في مهنتها.

صـدر تقرير وجيز عن حديثه عبر وكالة الأسوشيتد برس في اليوم التالـي، وانتشر الخبر في الصحف في كل أنحاء العالم. النجمة السينمائية كـارول باربـر تتعافى في باريس، وقد عادت ذاكرتها، حسبما جاء على لسان مايك أبلسون، المنتج ووكيل الأعمال. قال إنها ستعود قريباً إلى لوس أنجلـوس لاسـتئناف مهنـتها. لم تتذكر المقالة أنها لم تشارك في أي فيلم سـينمائي منذ ثلاث سنوات. اكتفى بالقول إن ذاكرتها عادت، وهذا كل ما يهمـه. فكمـا هـي الحـال دوماً، يهتم مايك أبلسون بها، ويفكر دوماً في مصلحتها.

الفصل الحادي عشر

في الأيام القليلة التي تلت زيارة مايك، كانت كارول في وضع مريع. فقد أصيبت بزكام رهيب. لا تزال فريسة الأمراض العادية، تماماً مثل أي شخص آخر، فضلاً عن الضرر العصبي الذي تحاول تخطيه، وتعلم المشي بسهولة مجدداً. خصصت لها طبيبتها معالجين فيزيائيين للعمل معها، ومعالجاً للنطق يأتي كل يوم. أصبح المشي أفضل، لكن الزكام جعلها تشعر بالبؤس. وأصيبت ستيفي بالزكام أيضاً. وبما أنها لم تشأ جعل كارول أسوأ حالاً، بقيت في سريرها في فندق الريتز. جاء طبيب الفندق لفحصها ووصف لها مضادات حيوية إذا ساء وضعها. لديها التهاب في الجيوب الأنفية وسعال مزعج. اتصلت بكارول التي بدت أيضاً في حال سيئة.

ثمة ممرضة جديدة بدأت العمل وتركت كارول لوحدها في أثناء وقت الغداء. كانت كارول وحيدة من دون وجود ستيفي للتحدث إليها، وللمرة الأولى منذ وجودها هنا، أضاءت جهاز التلفزيون وشاهدت الأخبار على محطة سي إن إن. هذا شيء على الأقل. لا يمكنها التركيز جيداً بعد لقراءة كتاب. القراءة لا تزال صعبة عليها. والكتابة أسوأ. كما تواجه مشكلة في الخط. أدركت ستيفي تماماً أن تأليف الكتاب لن يتم سريعاً، على الرغم من أنها لم تقل هذا لكارول بعد. ما من وسيلة لتأليفه الآن على أي حال. فهي لم تعد تتذكر حبكة الرواية، ولا يزال جهاز الكمبيوتر خاصتها في الفندق. لديها مشاكل أخرى أكثر أهمية لمواجهتها. لكن في الوقت الحاضر، تستمتع كارول في مشاهدة التلفزيون، فيما استلقت لوحدها في

غرفتها. وعلى أي حال، لم تكن صحبة الممرضة الجديدة رائعة لأنها مملة كثيراً.

مع صوت التلفزيون، لم تسمع كارول باب الغرفة وهو يفتح، وذهلت لرؤية أحدهم يقف قرب سريرها. حين أدارت رأسها، كان هناك، يراقبها. إنه شاب في سروال الجينز، عمره ست عشرة سنة تقريباً. بدا داكن البشرة، وله عينان لوزيتان تقريباً. بدا أنه يعاني من سوء التغذية وكان خائفاً فيما التقت عيناه بعينيها. ليس لديها فكرة عما يفعله في غرفتها، ولم تغادر عيناه عينيها أبداً. افترضت أن الحارس الواقف خارج بابها سمح له بالدخول. إنه على الأرجح صبي توصيل جاء لتوصيل الأزهار، لكنها لم تشاهد أي دليل على وجود باقة أزهار. حاولت التحدث إليه بلغة فرنسية ركيكة، لكنه لم يفهم. جربت الإنكليزية. لم تكن واثقة من جنسيته.

"هل أستطيع مساعدتك؟ هل تبحث عن شخص ما؟". قد يكون تائهاً، أو أحد المعجبين. فقد جاء البعض منهم، يبحثون عنها، على الرغم من أنه يفترض بالحارس إبقائهم في الخارج.

"هل أنت نجمة سينمائية؟"، سألها بلكنة غريبة. بدا إسبانياً أو برتغالياً. ولم تستطع تذكر الإسبانية على الإطلاق. يمكن أن يكون إيطالياً أيضاً أو من صقلية. إنه أسمر.

"نعم". ابتسمت له. بدا يافعاً جداً. يرتدي سترة فضفاضة فوق كنزة كحلية. بدت السترة وكأنها تخص شخصاً آخر، إذ كانت بضعف مقاسه، وكان ينتعل حذاء رياضياً مع فجوات فيه، مثل تلك التي ينتعلها أنطوني. يقول ابنها إنه حذاء الحظ، وقد أحضره معه إلى باريس. بدا هذا الصبي وكأنه لا يملك شيئاً أفضل. "ماذا تفعل هنا؟"، سألته بلطافة، متسائلة ما إذا كان يريد توقيعها. فقد وقّعت لبعض المعجبين منذ وصولها إلى هنا، وإن بطريقة سيئة. فتوقيعها الحالي لا يشبه أبداً توقيعها العادي. أثر الانفجار في هذا أيضاً. لا تزال الكتابة اليدوية صعبة عليها.

"أنا أبحث عنك"، قال ببساطة، فيما التقت عيونهما. عرفت أنها لم تره أبداً من قبل، لكن ثمة شيء في عينيه تتذكره. استطاعت رؤية سيارة في عقلها، ووجهه في النافذة يحدق إليها. ثم عرفت. لقد رأته في النفق. في السيارة التي كانت قربها قبل أن تنفجر القنبلة. قفز من السيارة وهرب بعيداً، ثم انفجر كل شيء وأصبحت الأمور سوداء بعد ثوانٍ قليلة.

في الوقت الذي تذكرت فيه المشهد في رأسها، رأته يخرج سكيناً من سترته. السكين لها شفرة طويلة ومقوسة وبشعة مع مقبض عظمي، وكانت سلاحاً شيطانياً. حدّقت إليه، فيما تقدم خطوة واحدة نحوها وقفزت هي من سريرها إلى الجهة الأخرى.

"ماذا تفعل؟". كانت مذعورة، فيما وقفت في رداء المستشفى.

"تذكرتني، أليس كذلك؟ قالت الصحيفة إن ذاكرتك عادت". بدا مذعوراً مثلها تماماً، فيما مرر نصل السكين على سروال الجينز.

"لا أتذكرك على الإطلاق"، قالت بصوت مرتعد، وهي تدعو لكي تسعفها ساقاها على النهوض. إنها على مسافة إنشات قليلة من زر الطوارئ الموجود على الجدار الخلفي. إذا استطاعت الوصول إليه، قد ينقذ حياتها. وإلا، سيذبحها. هذا أمر مؤكد بالنسبة إليها. فالجريمة تظهر في عينيّ الشاب.

"أنت ممثلة وامرأة ارتكبت إثماً. أنت فاسقة"، صرخ في الغرفة الصامتة، فيما ابتعدت كارول عنه واندفع هو بقوة.

من دون أي إنذار، عبر فوق السرير ووجه السكين عليها، وفي اللحظة نفسها ضغطت على الزر الأسود بأقوى ما يمكن. استطاعت سماع جرس الإنذار يدوّي في القاعة، فيما تمدد الشاب وحاول الإمساك بشعرها، واصفاً إياها بالفاسقة مجدداً. رمت عليه صينية الطعام، مما زعزع توازنه، وفي اللحظة نفسها دخلت أربع ممرضات مع طبيبين إلى الغرفة، متوقعين أن يروا حالة طارئة، لكنهم شاهدوا بدلاً من ذلك الشاب مع السكين. كان يتمايل بغرابة أمامهم، ولا يزال يحاول الوصول إلى كارول على أمل قتلها

قبل أن يتمكنوا من توقيفه. لكن الطبيبين أمسكا بذراعيه وثبتاه على الأرض، فيما ركضت إحدى الممرضات لطلب المساعدة. دخل حارس أمن إلى الغرفة بعد ثوانٍ قليلة، وأبعد الشاب عن أيديهم، ورمى السكين في زاوية، وطرحه أرضاً، وكبّل يديه، فيما انزلقت كارول ببطء على الأرض وهي ترتعد من رأسها حتى قدميها.

تذكرت كل شيء الآن، سيارة الأجرة، السيارة التي كانت قربها، الرجلان الضاحكان في المقعد الأمامي، وهما يضغطان على الزمور للسيارة التي أمامهما، والشاب في المقعد الخلفي يحدق إليها، فالتقت عيونهما، ثم هرب وخرج من النفق... ثم الانفجارات... والنار... والتحليق في الهواء... والسواد الكبير الذي طغى عليها... كل شيء واضح مثل البلور. لقد عاد ليقتلها بعدما رأى تصريح مايك في الصحيفة وهو يقول إن ذاكرتها قد عادت. سيذبحها كي لا تتعرف إليه. الشيء الوحيد الذي لا تعرفه هو كيف استطاع تجاوز الحارس الموجود عند الباب.

دخلت طبيبتها إلى الغرفة بعد دقائق قليلة، لفحصها ومساعدتها على العودة إلى السرير. شعرت بارتياح كبير لرؤيتها غير مصابة بأذى، وإنما في صدمة شديدة، وترتعد خوفاً. تولت الشرطة أخذ الشاب الذي كان يحمل السكين.

"هل أنت على ما يرام؟"، سألتها الطبيبة بقلق شديد.

"أظن ذلك... لا أعرف..."، قالت كارول وهي لا تزال ترتجف. "تذكرت... تذكرت كل شيء حين رأيته... في النفق. كان في السيارة قرب سيارة الأجرة التي كانت تقلّني. ركض بعيداً، لكنه نظر إليّ قبل ذلك وأنا في سيارة الأجرة". كانت كارول ترتجف بشدة وأسنانها تطقطق بقوة، فطلبت الطبيبة من الممرضة إحضار بطانيات دافئة، وهذا ما فعلته بسرعة.

"ماذا تتذكرين أيضاً؟"، سألت الطبيبة.

"لا أعـرف". بـدت كارول وكأنها في صدمة، فيما وضعت الطبيبة بطانية عليها، وألحّت عليها للحصول على تفاصيل.

"هل تتذكرين غرفة نومك في لوس أنجلوس؟ ما لونها؟".

"أصفر، حسبما أظن". استطاعت رؤيتها تقريباً في عقلها، ولكن ليس بوضوح. لا يزال هناك ضباب في الصورة.

"هل لديك حديقة؟".

"نعم".

"كيف شكلها؟".

"ثمة نافورة... وبركة ماء... وورود زرعتها... إنها حمراء".

"هل لديك كلب؟".

"لا. لقد مات. قبل زمن بعيد".

"هل تتذكرين ما الذي فعلته قبل وقوع الانفجار؟". كانت الطبيبة تقسو علـيها، مـستفيدة تماماً من الأبواب التي فتحت في عقلها، بعد أن شرعها الصبي الذي جاء لقتلها بالسكين البشعة.

"لا"، أجابـت عـن السؤال، ثم تذكرت. "نعم... ذهبت لرؤية منزلي القديم... قرب شارع جاكوب". تذكرت العنوان تماماً، وكيف مشت هناك، ثـم أخـذت سـيارة أجرة للعودة إلى الفندق، وعلقت في زحمة السير في النفق.

"كيف كان شكله؟".

"لا أعـرف. لا أسـتطيع التذكر"، قالت كارول بصوت خافت، فيما تولى صوت آخر في الغرفة الإجابة عنها.

"كـان منـزلاً صـغيراً في فناء، مع حديقة ونوافذ جميلة. فيه سقف علّـية، ونـوافذ مائلة في الطابق العلوي". إنه ماتيو، يقف قرب سريرها، ويـبدو عنيفاً. نظرت إليه عبر دموعها، غير راغبة برؤيته، لكنها شعرت بالارتياح في الوقت نفسه. كانت مرتبكة، ونظر هو إلى الطبيبة التي كانت واقفة عند الجانب الآخر من السرير.

"ماذا حصل هنا؟"، سأل بصوت مدو. "أين كان الحارس؟".

"حـصل سوء تفاهم. ذهب لتناول الغداء وكذلك فعلت الممرضة. لم يـأت أحد مكانه". بدت الطبيبة يائسة أمام الغضب في وجه ماتيو، والذي كان مبرراً.

"وتركها لوحدها؟"، صرخ في وجهها.

"أنا آسفة، سيدي الوزير. لن يتكرر الأمر مجدداً". كان صوتها بارداً مـثل الجليد. على الرغم من هيبته، لم يرعبها ماتيو دو بيانكور. إنها قلقة فقـط على مريضتها، وعلى ما كان يمكن أن يحصل لها على يديّ الشاب الشرق أوسطي.

"جاء ذلك الشاب لقتلها. إنه أحد الإرهابيين الذين قاموا بتفجير النفق. لا بـد أنه قرأ تلك المقالة الغبية في الصحف البارحة بشأن عودة ذاكرتها. أريد حارسين عند بابها الآن، ليلاً نهاراً". لا يملك أي سلطة في المستشفى، لكـن حتـى الطبيـبة عرفت أن ما يقوله منطقي. "وإذا كنتم تعجزون عن الدفاع عنها كما يجب، أعيدوها إلى الفندق".

"سـأتولى الأمـر"، طمأنته الطبيبة، وقبل أن تنتهي من لفظ كلماتها، دخل مدير المستشفى. استدعاه ماتيو على الفور، ما إن شاهد الشاب مكبل اليدين وأخبرته الشرطة بما حصل. ركض ماتيو على السلالم للوصول إلى غـرفة كـارول. كان آتياً لزيارتها. وأصيب بالجنون حين اكتشف ما كاد يفعله الشاب. لو لم تتمكن من الوصول إلى الجرس، لكانت ماتت.

سـأل مديـر المستشفى كارول إذا كانت على ما يرام، بلغة إنكليزية ركـيكة، ثم خرج مجدداً ليحطّم بعض الرؤوس. فآخر شيء يحتاجون إليه هو اغتيال نجمة سينمائية أميركية في المستشفى عندهم. سيشكل ذلك سمعة سيئة لهم.

غـادرت الطبيبة مجدداً، مع ابتسامة دافئة لكارول ونظرة باردة إلى ماتـيو. لا تحب أن يقول لها الرجال العاديون ما عليها فعله، سواء أكانوا وزراء مـتقاعدين أو لا، علـى الرغم من أنها عرفت في هذه الحالة أنه

محق. كادت كارول أن تقتل تقريباً. إنها أعجوبة أن الشاب لم ينجح في مهمته. لو وجدها نائمة، لكان قتلها. عشرات السيناريوهات البشعة تخطر بالبال.

جلس ماتيو على الكرسي قرب سريرها وربّت على يدها، ثم نظر إليها بلطافة لا علاقة لها أبداً بالطريقة التي تكلم فيها إلى موظفي المستشفى. كان غاضباً جداً من سوء حمايتهم لها. كادت أن تُقتل بسهولة. شكر الله لأنها لم تمت.

"كنت أنوي زيارتك اليوم"، قال بهدوء. "هل تريدين أن أرحل؟ لا تبدين بخير".

هزّت رأسها جواباً على سؤاله.

"لديّ زكام"، قالت وهي تنظر في عينيه. شعرت بأنها تعرفت إليهما وهي تحدق إليهما. إنهما العينان اللتان أحبتهما ذات مرة. لا تتذكر تفاصيل ما حصل بينهما، وليست أكيدة من أنها تريد ذلك، لكنها تذكرت الحنان والألم، والإحساس بشغف قوي. لا تزال ترتعد من صدمة الحادثة التي حصلت للتوّ. كانت مذعورة. لكن شيئاً فيه جعلها تشعر بالحماية والأمان. إنه رجل قوي، من نواحٍ عدة.

"هل تودين كوباً من الشاي، كارول؟". أومأت برأسها إيجاباً. ثمة إبريق من الماء الساخن في الغرفة، وعلبة من أكياس الشاي التي تحبها. لقد أحضرتها ستيفي من الفندق وتركتها لها. أعدّ لها الشاي بالطريقة التي تحبها، غير قوي جداً وغير خفيف جداً. أعطاها كوب الشاي وأخذته واتكأت على مرفق واحد. إنهما لوحدهما في الغرفة. بقيت الممرضة في الخارج، مدركة تماماً من يوجد في الغرفة. إنها على الأقل بين يدين أمينتين، وأصبحت خارج الخطر الطبي الآن. الممرضة موجودة لراحتها، وليس بسبب حاجة ملحة. "هل تمانعين إذا شربت أنا أيضاً كوب شاي؟". هزّت رأسها، وذهب ليحضّر لنفسه كوباً من الشاي. تذكرت حينها أنه هو أول من أعطى هذا الشاي لها. لطالما شربا هذا الشاي معاً.

"كنت أفكر فيك كثيراً"، قال لها بعدما ارتشف القليل من شاي الفانيلا. لم تنطق كارول أي كلمة. إنها خائفة كثيراً نتيجة ما حصل للتو.

"كنت أفكر فيك أنا أيضاً"، اعترفت له. "لا أعرف لماذا، لكنني فعلت. أحاول التذكر، لكنني لا أستطيع". عادت إليها بعض الذكريات، لكن لا شيء له علاقة به. لا تفاصيل. تذكرت فقط عينيه وأنها أحبته. هذا كل شيء. لا تزال تجهل من يكون، أو لماذا ينتبه الجميع حين يقترب. الأهم من ذلك أنها لا تتذكر أنها عاشت معه، أو كيف كانت حياتهما معاً، باستثناء الشاي في الوقت الحاضر. لديها إحساس بأنه حضّر لها الشاي من قبل. مرات عدة. عند الفطور، على طاولة المطبخ حيث كانت أشعة الشمس تتدفق إلى الغرفة.

"هل تتذكرين كيف التقينا؟". هزّت رأسها. شعرت ببعض التحسن بعد الشاي. وضعت الكوب الفارغ على الطاولة واستلقت مجدداً. كان يجلس قريباً جداً منها، لكنها لم تبالِ. تشعر بالأمان قربه. لا تريد أن تكون وحيدة. "التقيت بك فيما كنت تصوّرين فيلماً عن ماري أنطوانيت. كان هناك حفل استقبال في الكاي دورساي أقامه وزير الثقافة. كان صديقاً قديماً لي، وأصرّ على حضوري. لم أشأ الذهاب. كان لديّ شيء آخر لفعله تلك الليلة، لكنه أصرّ كثيراً بحيث ذهبت. وكنتِ هناك. بدوت رائعة بشكل مذهل. كنت قد وصلت للتو من التصوير، وما زلت ترتدين ثياب التصوير. لن أنسى ذلك أبداً. لم تكن ماري أنطوانيت يوماً هكذا". ابتسمت كارول للذكرى. تتذكر الآن بغموض، الثياب، والسقف الرائع المرسوم باليد في الكاي دورساي. لكنها لم تتذكره.

"كان فصل الربيع. توجب عليك العودة إلى موقع التصوير بعد ذلك وإعادة الثوب. أخذتك إلى هناك، وبعدما بدّلت ملابسك، ذهبنا للقيام بنزهة طويلة على ضفاف السين. جلسنا على ضفة النهر، وتحدثنا لوقت طويل. شعرت كأن السماء وقعت عليّ، وقلتِ لي أنت الشيء نفسه أيضاً". ابتسم للذكرى، فيما التقت عيونهما مجدداً.

"كان حباً من النظرة الأولى"، قالت بهمس. كان هذا هو ما عبّرت عنه بعد الليلة الأولى... حب من النظرة الأولى. تذكرت كلماته، ولكن ليس ما حصل لاحقاً.

"تحدثنا لساعات طويلة. بقينا مستيقظين حتى توجب عليك العودة إلى موقع التصوير في الساعة الخامسة من فجر ذلك اليوم. كانت الليلة الأكثر إثارة التي عرفتها في حياتي. أخبرتني أن زوجك يتركك من أجل امرأة أخرى. كانت شابة جداً بحسب ما أذكر. روسية، أظن. كانت حاملاً بطفله. كنت منهارة. تحدثنا عن الأمر لساعات طويلة. أظن أنك أحببته فعلاً". أومأت برأسها. حصلت على الانطباع نفسه من جايسون. من الغريب أنه عليها الاعتماد على كل هؤلاء الأشخاص لتعرف كيف كان شعورها. لا تتذكر أي شيء لوحدها. ليس مع جايسون. لكنها بدأت تتذكر بعض الأمور بشأن ماتيو، وكانت مشاعر أكثر مما هي أحداث. تستطيع تذكر حبه، وإثارة تلك الليلة الأولى.

تذكرت بغموض كيف عادت إلى موقع التصوير، من دون النوم. لكنها لم تعرف كيف كان شكله آنذاك. والواقع أنه لم يتغير كثيراً، باستثناء الشعر الأبيض. كان شعره داكناً جداً حينها، أسود تقريباً. كان عمره خمسين سنة حين التقيا، وأحد أقوى الرجال في فرنسا. معظم الأشخاص خافوا منه. لكنها لم تخف أبداً. لم يخفها أبداً. أحبها كثيراً ليخيفها. كل ما أراد فعله هو حمايتها، مثلما يفعل الآن. لا يريد أن يؤذيها أحد. تستطيع الإحساس بذلك الآن، فيما جلس قربها، متحدثاً عن الماضي.

"دعوتك لتناول العشاء في الليلة التالية، وذهبنا إلى مكان سخيف من أيام دراستي. قضينا وقتاً جيداً، وتحدثنا طوال الليل مجدداً. لم نتوقف أبداً. لم أستطع أبداً التعبير عن نفسي هكذا أمام أي كان في حياتي. أخبرتك كل شيء، كل المشاعر والأسرار والأحلام والأمنيات، وبعض الأمور التي لم يكن يجدر بي فضحها، بشأن عملي. لكنك لم تخذلي ثقتي أبداً. أبداً. وثقت بك تماماً، منذ البداية، وكنت محقاً".

"رأينا بعضنا كل يوم إلى أن انتهيت من تصوير الفيلم بعد خمسة أشهر. أردت العودة إلى نيويورك، أو لوس أنجلوس، لم تكوني واثقة إلى أين تريدين الذهاب، وطلبت منك البقاء في باريس. كنا غارقين في الحب حينها، ووافقت. عثرنا على المنزل معاً. المنزل قرب شارع جاكوب. ذهبنا إلى المزادات معاً، واشترينا الأثاث. زرعت شجرة لأنطوني في الحديقة. أحبها. تناول كل وجبات طعامه هناك ذلك الصيف. ذهبنا إلى جنوب فرنسا حين ذهبا لرؤية والدهما. ذهبنا معاً إلى كل مكان. كنت معك كل ليلة. ذلك الصيف، أمضينا أسبوعين على متن يخت في جنوب فرنسا. لا أظن أنني كنت يوماً بهذه السعادة في حياتي، قبل ذلك أو مذذاك. كانت تلك أفضل أيام حياتي". أومأت كارول برأسها فيما أصغت إليه. لا تستطيع تذكر الأحداث، وإنما فقط المشاعر. لديها إحساس بأن تلك المرحلة كانت سحرية. التفكير فيها يجعلها تشعر بالحنان، لكن حصل شيء آخر أيضاً، شيء سيئ. حصلت مشكلة من نوع ما. بحثت عيناها عن عينيه ثم تذكرت وقالتها بصوت عال.

"كنت متزوجاً"، قالت بحزن.

"نعم، كنت كذلك. كان زواجي قد انتهى قبل سنوات، وكبر أولادنا. أصبحنا أنا وزوجتي غريبين، وعشنا حياتين منفصلتين لعشر سنوات قبل أن ألتقي بك. كنت سأتركها حتى قبل أن ألتقي بك. وعدتك أنني سأفعل، وكنت أقصد ذلك فعلاً. أردت فعل ذلك بهدوء، من دون أي إحراج لكلينا. تحدثت إلى زوجتي عن الموضوع، وطلبت مني ألا أفعل، ليس مباشرة. كانت تخاف من الذل والفضيحة، إذا تركتها من أجل نجمة سينمائية مشهورة. هذا مؤلم لها، وستتحول المسألة إلى قضية عالمية مشهورة في الصحافة، ولذلك وافقت على الانتظار ستة أشهر. كنت متفهمة جداً للموضوع. لم يبدُ الأمر مهماً. كنا سعيدين، وعشت معك في منزلنا الصغير. أحببت ولديك، وأظن أنهما أحباني، في البداية على الأقل. كنت يافعة جداً آنذاك، كارول. كنت في الثانية والثلاثين حين التقينا، وأنا في

الخمسين. كان بالإمكان أن أكون والدك، لكنني شعرت أنني صبي صغير مجدداً كلما تواجدت معك".

"أتذكر القارب"، قالت بهدوء، "في جنوب فرنسا. ذهبنا إلى سان تروبيز، والمرفأ القديم في الأنتيب. أظن أنني كنت سعيدة جداً جداً معك"، قالت بطريقة حالمة.

"كنا كذلك"، أضاف بحزن وهو يتذكر كل ما حصل بعد ذلك.

"حصل شيء ما. اضطررت للمغادرة".

"نعم، صحيح". ذهل لأنها تذكرت الأمر. كاد ينسى الحادثة بنفسه، على الرغم من أن الأمر كان صدمة كبيرة آنذاك. اتصلوا به عبر الجهاز اللاسلكي في القارب. اضطر إلى تركها في المطار في نيس، وذهب هو على متن طائرة عسكرية.

"إلى أين ذهبت. تم قتل أحدهم، حسبما أظن". كانت تقطب جبينها في محاولة للتذكر فيما حدقت إليه. "من قُتل؟". عليها أن تعرف.

"رئيس فرنسا. كانت محاولة اغتيال، لكنها فشلت. خلال استعراض يوم الباستي في الشانزيليزيه. كان يجدر بي التواجد هناك، لكنني كنت معك عوض ذلك".

"كنت في الحكومة... في منصب رفيع جداً وسري جداً. ماذا كنت؟... من شرطة التحري؟". نظرت إليه شزراً من سريرها.

"كانت هذه من مهامي. كنت وزير الداخلية"، قال بهدوء، وأومأت هي برأسها. تذكرت الآن. هناك الكثير من الأمور التي لم تتذكرها بشأن حياتها، لكنها تذكرت هذا. أبحرا بالقارب إلى المرفأ، وغادرا المطار في سيارة أجرة. تركها بعد دقائق قليلة، وشاهدته يقلع في طائرة عسكرية، فيما عادت هي إلى باريس لوحدها. اعتذر كثيراً على تركها بهذه الطريقة، وكان هناك جنود حوله مع أسلحة. لم تخف من ذلك، لكن الأمر بدا غريباً.

"حصل شيء آخر غير ذلك... مرة أخرى... أصيب أحدهم، وتركتني في مكان ما، خلال رحلة... كنا نتزلج على الثلج، وغادرت

بالمروحية". لا تزال تتذكر مشهد ارتفاعه في الهواء، وتطاير الثلج في كل مكان.

"تعرض الرئيس لنوبة قلبية، وغادرت لأكون معه".

"حصل ذلك في النهاية، أليس كذلك؟". بدت حزينة.

أومأ برأسه، وبقي صامتاً في البداية، وتذكر ذلك هو أيضاً. إنها الحادثة التي أعادته إلى صوابه وذكّرته بأنه لا يستطيع ترك مهنته لأنه ينتمي إلى فرنسا. إنه يدين لهم، مهما أحبها وأراد ترك كل شيء لأجلها. لم يستطع في النهاية. قضيا بعض الوقت الإضافي معاً بعد ذلك، ولكن ليس كثيراً. وكانت زوجته تسبب له الكثير من المشاكل آنذاك. كانت فترة مستحيلة، بالنسبة إليهما معاً. "نعم، كانت النهاية وشيكة. مرّت سنتان بين الحادثتين، وقضينا الكثير من الأوقات الرائعة".

"هذا كل ما أذكره"، قالت وهي تراقبه، متسائلة عما كانت تلك السنتان. أحست أنهما كانتا سنتين مثيرتين، لأنه كان مثيراً، وإنما قاسيتين أحياناً لأنه كان قاسياً أيضاً. ومثلما أخبرها للتو، عاش حياة معقدة. السياسة، والدراما المرافقة لها، كانتا بمثابة الدم الذي يجري في عروقه. لكنها كانت هي دم حياته لبعض الوقت. كانت القلب الذي أبقاه على قيد الحياة.

"أمضينا عطلة الميلاد في جستاد معاً خلال السنة الأولى، مع الولدين. ثم باشرت بتصوير فيلم آخر في إنكلترا، وكنت أذهب لأراك في عطلة كل نهاية أسبوع. وحين عدت، أردت الذهاب إلى المحامي للطلاق، وتوسلتني زوجتي مرة جديدة كي لا أفعل. قالت إنها لا تستطيع تحمل الأمر. مضى على زواجنا تسع وعشرون سنةً، وشعرت أنني أدين لها بشيء ما، ببعض الاحترام على الأقل، لأنني لم أعد أحبها. عرفت ذلك، وعرفت أيضاً كما أحببتك أنت، ولم تعارضني. كانت رحيمة جداً حيال الموضوع. أردت ترك وظيفتي في الحكومة تلك السنة، وكان الوقت مثالياً لإنهاء العلاقة معها، ثم جرت تسميتي للوزارة في حكومة جديدة. كانت

سنة كاملة على وجودنا أنا وأنت مع بعضنا قد مضت، وكانت أسعد سنة في حياتي. وافقت على منحي ستة أشهر إضافية. وكنت أنوي الطلاق جدياً. وعدتني أرليت ألا تعرقل الطلاق، لكن حصل آنذاك العديد من الفضائح في الحكومة التي طالت أشخاصاً آخرين، وعرفت أن الوقت غير مناسب. وعدتك بأنه إذا أعطيتني سنة إضافية، سأستقيل وأذهب معك إلى الولايات المتحدة".

"لم تكن لتفعل هذا أبداً. وكنت ستشعر بالتعاسة في لوس أنجلوس".

"شعرت أنني أدين لبلدي بشيء ما... ولزوجتي... لا أستطيع التخلي عنهما، من دون إتمام واجباتي، لكنني كنت أنوي تماماً المغادرة والذهاب معك، ثم...". توقف لبرهة، وتذكرت كارول ما حصل. "حصل شيء مريع...".

"توفيت ابنتك... في حادث سيارة... أذكر... كان الأمر مريعاً...". التقت عيونهما لبعض الوقت، ثم تمددت ولمست يده.

"كانت في التاسعة عشرة. حصل الحادث في الجبال. ذهبت للتزلج مع أصدقائها. كنت رائعة معي. لكنني لم أستطع ترك أرليت حينها. كان هذا غير إنساني". تذكرت كارول قوله هذه العبارة لها.

"لطالما قلتَ لي إنك ستتركها. منذ البداية. قلت إن زواجك بها انتهى، لكنه لم يكن كذلك. لطالما شعرت أنك مدين لها بشيء ما. أرادت دوماً ستة أشهر إضافية، وكنت تمنحها ذلك. لطالما حميتها هي، وليس أنا. أتذكر ذلك الآن. انتظرتك دوماً لتطلقها. عشت معي، لكنك كنت متزوجاً بها. وبفرنسا. أعطيت دوماً سنة إضافية لفرنسا، وستة أشهر إضافية لزوجتك، وفجأة مرّت سنتان". نظرت إليه حينها، مذهولة بما تذكرته للتو. "وكنت حاملاً". أومأ برأسه، مع نظرة خوف. "توسلتك لتطلقها حينها، أليس كذلك؟". أومأ برأسه مجدداً وبدا خجلاً. "كان هناك بند أخلاقي في عقودي آنذاك، ولو اكتشف أحد أنني كنت أعيش مع رجل متزوج، وأنني حامل بطفله، لكانت انتهت مهنتي. كان سيتم وضعي على اللائحة السوداء، أو

طردي من العمل على الأقل. خاطرت بذلك من أجلك"، قالت بحزن. عرف كلاهما المخاطر التي كانت موجودة. كان بلده سيسامحه على اتخاذه عشيقة له وخداع زوجته، لأن هذا مقبول تماماً في فرنسا. لكن بلدها، أو مهنتها على الأقل، لن تسمح لها بعلاقة مع رجل متزوج، بحيث تكون عشيقته وتتورط في فضيحة عامة مع موظف حكومي رفيع. فضلاً طبعاً عن الطفل غير الشرعي. البند الأخلاقي في عقودها صارم جداً. ستصبح منبوذة بين ليلة وضحاها. خاطرت بكل ذلك لأنه أصرّ على أنه سيحصل على الطلاق، لكنه لم يذهب أبداً لرؤية محامٍ. توسلته زوجته كي لا يفعل، ولذلك لم يفعل. استمر في شراء الوقت مع كارول. المزيد دوماً.

"ماذا حصل للطفل؟"، سألت بصوت مخنوق، وهي تنظر إليه. لا تزال بعض الأمور تائهة عنها، على الرغم من أن الكثير من الأمور عادت إليها في الوقت الحاضر.

"فقدته. كان صبياً. كنت حاملاً في الشهر السادس تقريباً. سقطت عن السلم في أثناء تزيين شجرة الميلاد. حاولت التقاطك، لكنك وقعت خلفي. بقيت في المستشفى ثلاثة أيام، لكننا خسرناه. لم تعرف كلويه أبداً أنك كنت حاملاً، لكن أنطوني عرف. شرحنا الأمر له. سألني إذا كنا سنتزوج، وقلت له إننا سنفعل. ثم ماتت ابنتي وأصيبت أرليت بانهيار عصبي وتوسلتني كي لا أفعل. هددتني بالانتحار، وكنتِ خسرتِ الطفل حينها، ولم يعد بالتالي زواجنا ملحاً. توسلتك كي تفهميني. كنت سأستقيل في الربيع، وظننت أن أرليت تستطيع تقبل الأمر حينها. احتجت إلى المزيد من الوقت، أو هذا ما قلته على الأقل". نظر حينها إلى كارول بعينين حزينتين. "في النهاية، أظن أنك فعلت الشيء الصحيح". قتله قول ذلك. "لا أظن أنني كنت سأتركها يوماً. أردت ذلك. واعتقدت أنني سأفعل، لكنني في الواقع لم أستطع. ولم أتقاعد من مهنتي إلا بعد ست سنوات من تركك باريس. ولست واثقاً من أنه كان باستطاعتي ترك أرليت. لطالما وجد شيء ما، أو سبب يمنعني من تركها. لا أظن حتى أنها أحبتني، ليس مثلما فعلت، أو

مثلما أحببتك أنا. لكنها لم تشأ خسارتي لأجل امرأة أخرى. لو كنت فرنسية، لكنت تحملت الأمر. لكنك لم تكوني كذلك. بدا كل شيء بمثابة أكاذيب لك، وكان بعضها كذلك. لم أكن أملك الشجاعة لأخبرك بأنني لا أستطيع فعل ذلك. كذبت على نفسي أكثر مما كذبت عليك. حين قلت لك إنني سأطلقها، كنت أقصد ذلك فعلاً. كرهتك لأنك تركتني. رأيت أنك قاسية جداً معي. لكنك كنت محقة في ذلك. كنت سأحطم قلبك في النهاية، أكثر مما فعلت. فالأشهر الستة الأخيرة كانت مثل الكابوس. شجارات مستمرة، وبكاء مستمر. كنت محطمة بعد خسارة الطفل. وكذلك أنا".

"ما الذي فجّر الموضوع أخيراً؟ ما الذي جعلني أتركك؟". كان صوتها مثل الهمس.

"يوم آخر، كذبة أخرى، تأجيل آخر. نهضت صباح أحد الأيام وبدأت توضبين أغراضك. انتظرت حتى نهاية السنة الدراسية. لم أفعل أي شيء بشأن الطلاق، وكانوا يطلبون مني حقبة جديدة في الوزارة. حاولت شرح الأمر لك، ولم تصغي إليّ. غادرت بعد أسبوع. أوصلتك إلى المطار، ولم يتوقف أي منا عن البكاء. طلبتِ مني الاتصال بك، إذا تطلّقت. اتصلت بك، لكنني لم أطلّق زوجتي أبداً، وبقيت في الحكومة. كانوا بحاجة إليّ. وهي أيضاً، بطريقتها الخاصة. لم تحبني، لكننا كنا معتادين على بعضنا. شعرت أنني أدين لها بالبقاء معها".

"اتصلت بك مرات عدة بعدما عدت إلى لوس أنجلوس، ثم توقفت عن استقبال اتصالاتي. سمعت أنك بعت المنزل. ذهبت لإلقاء نظرة عليه في أحد الأيام. تحطم قلبي حين تذكرت كم كنا سعيدين هناك".

"ذهبت لأراه ذلك اليوم، قبل انفجار القنبلة في النفق. كنت في طريق عودتي إلى الفندق حين حصل الانفجار"، قالت، وأومأ هو برأسه. إنه ملاذ لكليهما، عش الحب الذي تشاركاه والمكان الذي تكوّن فيه طفلهما. لم تكفّ عن التساؤل ماذا كان ليحصل لو أنجبت طفله، ما إذا كان طلق زوجته. ربما لا. إنه فرنسي. الرجال الفرنسيون يملكون عشيقات وأطفالاً غير

شرعيين. فعلوا ذلك طوال قرون، ولم يتغير أي شيء. لا يزال الأمر مقبولاً، لكن ليس بالنسبة إلى كارول. إنها فتاة ريفية من الميسيسيبي، مهما أصبحت مشهورة، ولا تريد العيش مع زوج امرأة أخرى. لقد أخبرته ذلك منذ البداية. "لم يكن يجدر بنا البدء أساساً"، قالت وهي تنظر إليه من حيث استلقت فيما رأسها على الوسادة.

"لم يكن لدينا خيار"، قال ماتيو ببساطة. "كنا عاشقين ولهين كي لا نفعل ذلك".

"لا أعتقد ذلك"، قالت بحزم. "أظن أن الأشخاص يملكون دوماً الخيارات. اتخذنا الخيارات غير الصحيحة ودفعنا ثمناً باهظاً لها. لست أكيدة، لكنني لا أظن أنني قد أنساك يوماً. لم أنسك لوقت طويل، إلى أن التقيت بالمرحوم زوجي". تتذكر ذلك بوضوح الآن.

"قرأت أنك تزوجت، قبل عشر سنوات تقريباً"، قال لها وأومأت برأسها. "كنت سعيداً لأجلك" - ثم ابتسم بمكر - "وغيوراً جداً. إنه رجل محظوظ".

"لا، لم يكن كذلك. مات قبل سنتين بسبب السرطان. يقول الجميع إنه كان شخصاً رائعاً".

"لهذا السبب كان جايسون هنا. تساءلت عن السبب".

"كان سيأتي على أي حال. إنه رجل جيد أيضاً".

"لم يكن هذا رأيك به قبل ثماني عشرة سنة"، قال ماتيو وهو يبدو مستاء. لم يكن واثقاً من أنها كانت ستقول الشيء نفسه عنه، حتى اليوم، بأنه هو أيضاً رجل جيد. فبرأيها، لم يكن كذلك. هكذا قالت من قبل. قالت إنه كذب عليها وضللها، وكان شخصاً غير صادق وغير محترم. أثرّ ذلك فيه كثيراً آنذاك. لم يتهمه أحد بمثل هذه التهمة في حياته، لكنها كانت محقة.

"أظن أنه شخص جيد الآن"، قالت كارول عن جايسون، "جميعنا ندفع ثمن أخطائنا في النهاية. فالعارضة الروسية تركته في الوقت الذي غادرت فيه أنا باريس".

"هل حاول العودة إليك؟". كان ماتيو فضولياً بشأن ذلك.

"يـبدو أنــه فعــل. يقول إنني لم أقبل به. كنت لا أزال مغرمة بك آنذاك".

"هل أنت نادمة؟".

"نعم"، قالت بصراحة. "بددت سنتين ونصف من حياتي معك، وربما خمـس سنوات أخرى لنسيانك. هذا وقت طويل يمكن منحه لرجل لا يترك زوجته". ثم فكرت في الأمر وتساءلت عما حصل. "أين هي الآن؟".

"ماتت قبل سنة بعد مرض طويل. كانت مريضة جداً خلال السنوات الـثلاث الأخيرة من حياتها. أنا مسرور لأنني كنت معها. أدين لها بذلك. بقيـنا متزوجين لمدة ست وأربعين سنة في النهاية. لم يكن هذا هو الزواج الذي أريده، أو الزواج الذي ظننت أنني سأحصل عليه عندما تزوجتها في الحادية والعشرين، لكنه هو الزواج الذي حصلت عليه. كنا صديقين. كانت راقـية جداً بشأنك. لا أظن أنها سامحتني، لكنها فهمت. عرفت كيف كنت مغـرماً بك. لم أشعر بهذه الطريقة حيالها. كانت شخصاً بارداً جداً. لكنها كانـت امـرأة محتـرمة وصادقة". لذلك بقي معها، تماماً مثلما ظنت أنه سـيفعل. حتـى إنه قال إنها فعلت الشيء الصحيح برحيلها. لديها الأجوبة الآن، الأجـوبة التي جاءت إلى باريس من أجلها. لقد فات الأوان بالنسبة إلـى جايـسون حين عاد إليها. لم تعد تحبه، ولم تستطع منعه من الزواج بالعارضة الروسية. لم يكن لديها خيار آنذاك، وحين أصبح لديها الخيار، لم تعـد تريده. لا تريده حتى الآن. لقد فات الأوان كثيراً. وكل ما أمكنها أن تكـون بالنـسبة إلى ماتيو هو عشيقته. لم يكن ليترك زوجته أبداً إلى أن ماتـت. شـعرت كارول أنها فهمت ذلك حين تركت باريس، ولهذا السبب فعلـت ذلـك. لكنها تعرف الآن فقط أنه كان القرار الصحيح. لقد أكد ذلك لها، وهذه هدية مهمة، ولو متأخرة.

تذكـرت الكثيـر مــن الأشـياء الآن، بعض الأحداث والكثير من المشاعر. تستطيع تقريباً الإحساس بخيبتها ويأسها حين قررت أخيراً تركه.

لقـد دمّـرها تقريباً، هي ومهنتها. حتى إنه خيّب آمال ولديها. مهما كانت نـواياه فـي البداية، أو حبه لها، لم يكن صادقاً معها. على الأقل ما فعله جايـسون، مهما كان مريعاً بالنسبة إليها، كان صادقاً وصريحاً. لقد طلّقها وتزوج بالمرأة الأخرى. لكن ماتيو لم يفعل ذلك أبداً.

"ماذا تفعل الآن؟ هل لا تزال في الحكومة؟"، سألته.

"بقيت حتى قبل عشر سنوات، حين تقاعدت وعدت إلى شركة محاماة عائلتي. أمارس المهنة مع اثنين من إخوتي".

"وكنت أقوى رجل في فرنسا. سيطرت على كل شيء آنذاك وأحببت أنت ذلك".

"نعـم، صـحيح". إنه صادق في هذا على الأقل، وكان صادقاً بشأن البقـية أيضاً الآن. تبين أنها محقة في النهاية، لكن سماع ذلك مؤلم، حتى الآن. تتذكـر جـيداً كـم أحبتـه، وكم أذاها بقوة. "القوة هي مثل المخدر للـرجال. يصعب التخلي عنها. كنت مدمناً عليها. لكنني كنت مدمناً أكثر علـيك. كدت أموت حين تركتني. لكنني عجزت على الرغم من ذلك عن طلاقها أو التخلي عن مهنتي".

"لـم أشأ يوماً أن تترك مهنتك. لم تكن هذه المسألة. لكنني أردتك أن تطلقها".

"لم أستطع". رفع رأسه حين قال ذلك، ثم نظر إليها مجدداً. "لم أملك الشجاعة". كان هذا اعترافاً خطيراً، ولم تجب كارول لبرهة.

"لهذا السبب تركتك".

كان صوته مثل الهمس. "كنت محقة". أومأت برأسها.

جلـسا معاً بصمت لوقت طويل، ثم نظر إليها ورآها تغمض عينيها وتغطّ في النوم. للمرة الأولى منذ وقت طويل، تشعر بالسلام. جلس هناك، يراقبها، ثم وقف أخيراً وغادر الغرفة بقدمين صامتتين.

الفصل الثاني عشر

استيقظت كارول مجدداً تلك الليلة وهي تشعر بالتحسن بعد نوم طويل. تذكرت حينها أن ماتيو زارها، وما قاله لها، واستلقت في سريرها تفكر فيه لوقت طويل. على الرغم من ذاكرتها المشوشة، أعاد الكثير من الذكريات. قدّرت صراحته معها أخيراً حين قال لها إنها كانت محقة في الرحيل. سماع ذلك منه هو بمثابة هدية حرية. لطالما تساءلت عما كان سيحصل لو بقيت. لو انتظرت وقتاً أطول. أكد لها الآن أن هذا لم يكن ليحدث فرقاً.

كانت هناك ممرضة معها في الغرفة حين استيقظت، مع حارسين عند الباب، بفضل الجلبة التي أحدثها ماتيو. اتصلت بجايسون وولديها لإخبارهما عن الاعتداء. طمأنتهم بأنها بخير، وبأنها كانت محظوظة مجدداً. عرض عليها جايسون العودة إلى باريس، لكنها أكدت له أن الشرطة سيطرت على الوضع. لا تزال خائفة، لكنها أخبرتهم أنها بأمان. أصيبوا جميعاً بالذعر حين عرفوا أنها كانت ضحية عمل إرهابي ثانٍ مباشرة بعد الأول. حذرها أنطوني من ماتيو مجدداً. هددها بالمجيء لحمايتها بنفسه، لكنها أخبرته أن كل شيء على ما يرام.

استلقت في سريرها تفكر في كل ذلك في منتصف الليل. الإرهابي، ماتيو، وأجزاء تاريخهما التي أخبرها بها. جعلها كل ذلك تشعر بالقلق والعصبية.

اتصلت بعد ذلك بستيفي في الفندق، وهي تشعر بالحماقة لإزعاجها، لكنها كانت يائسة لسماع صوت مألوف، على الرغم من الساعة المتأخرة. كانت ستيفي نائمة.

"كيف حال زكامك؟"، سألتها كارول. تشعر هي بالتحسن على الرغم من أنها لا تزال مريضة، وبالخوف من أحداث النهار. بدا الأمر الآن مخيفاً أكثر عند التأمل فيه.

"أفضل، حسبما أظن، ولكن ليس كثيراً"، قالت ستيفي. "لماذا أنت مستيقظة في مثل هذه الساعة؟". أخبرتها كارول حينها بما حصل، حين دخل الشاب مع السكين إلى غرفتها. "ماذا؟ هل تمزحين؟ أين كان رجل الأمن اللعين؟". أصيبت ستيفي بالذعر، تماماً مثل عائلة كارول. يصعب تصديق الأمر، وسينتشر الخبر في اليوم التالي.

"خرج لتناول الغداء. قالوا إن بديله لم يأتِ أبداً". أصدرت كارول تنهيدة طويلة واستلقت في سريرها، تفكر كم كانت محظوظة. "خفت حتى الموت". لا تزال ترتعد حين تفكر في الأمر. كانت مسرورة لأن ماتيو وصل مباشرة بعد ذلك.

"سآتي إليك في الحال. يمكنهم وضع سرير نقال في غرفتك. لن أتركك لوحدك مجدداً".

"لا تكوني سخيفة. أنت مريضة. أنا بخير. لن يسمحوا بحصول شيء مثل هذا مجدداً. ماتيو كان هنا، وجنّ جنونه. لا بد أنه لا يزال يملك بعض السلطة. حضر مدير المستشفى إلى هنا للاعتذار خلال خمس دقائق. وبقيت الشرطة لساعات طويلة. لن يسمحوا بحدوث أي شيء الآن. لكن الحادثة أخافتني حتى الموت".

"لا عجب". يصعب التصديق أنها كانت ضحية حادثين.

قال رجال الشرطة إنهم سيأتون لأخذ تقرير مفصل منها في اليوم التالي. لم يرغبوا بإزعاجها أكثر بالإلحاح عليها مباشرة بعد ما حصل. وكان المعتدي عليها قيد الاحتجاز، وهي بالتالي في أمان.

"تذكــرته من النفق"، قالت كارول، وهي لا تزال تبدو خائفة، فغيرت ستيفي الموضوع لإلهائها، وسألتها عن ماتيو.

"هــل ألقــى الرجل الغامض المزيد من الضوء على علاقتكما؟". لا تزال ستيفي تشعر بالفضول بشأنه.

"نعم. تذكرت الكثير بنفسي. تذكرت الصبي مع السكين أيضاً"، قالت وهــي تعــود إلى موضوع الاعتداء. "كان في السيارة قربي في النفق، ثم ركــض بعيداً. لا بد أن الانتحاريين قالوا له إنه سيموت. يبدو أنه لم يكن مستعداً لذلك".

"لا، كــان يفضل قتلك. بحق الله، لا أستطيع الانتظار حتى نعود إلى المنزل".

"وأنــا أيضاً"، قالت كارول مع تنهيدة. "كانت هذه رحلة مريعة. لكن أظن أنني حصلت على الأجوبة التي أريدها. إذا استعدت ذاكرتي، وتعلمــت كــيف أســتعمل الكمبيوتر مجدداً، أظن أنني جاهزة لتأليف الكــتاب. علــيّ إضــافة شــيء عن كل ذلك. الأمور مفيدة جداً لعدم استعمالها".

"تظنــين أنــه يمكــنك إعداد كتاب طبخ في المرة التالية، أو كتاب للأولاد؟ لا أحب الأبحاث التي تقومين بها لهذا الكتاب".

لكــن الأجــوبة التي حصلت عليها من جايسون وماتيو كانت هي ما تحتاج إليه لنفسها. عرفت ذلك الآن. والأفضل أنها سمعت الأجوبة منهما، بدلاً من تخمينها وتصورها بنفسها.

"ماذا تسمعين من ألان؟"، سألت كارول فيما ثرثرتا وبدأت تسترخي. من الجيد وجود شخص للتحدث إليه في وقت متأخر من الليل. اشتاقت إلى ذلــك مــع شون. بدأت تتذكر الآن، وإنما القليل فقط. فقد أخبرتها ستيفي أشياء عنه جعلتها تتذكر بعض الأمور.

"يقــول إنه يشتاق إليّ"، أجابتها ستيفي. "يتحرق شوقاً لكي أعود إلى المنــزل. يقول إنه يتوق لطبخي. لا بد أنه فقد ذاكرته هو أيضاً. ما الذي

اشــتاق إليه؟ الطعام الصيني الجاهز أو الوجبات السريعة؟ لم أطبخ وجبة لائقة له منذ أربع سنوات".

"لا ألومه. أنا اشتقت إليك اليوم أيضاً".

"سآتي إليك غداً. وسأنام هناك ليلة غد".

"لن يتبعني أحد"، قالت كارول. "كل الآخرين فجروا أنفسهم". وكادوا يفجرونها هي أيضاً. "لم يبقَ أحد".

"لا أهتم. أفضل التواجد معك".

"أنــا أفضل التواجد في الريتز"، ضحكت كارول، "بدلاً من مستشفى لابيتييه سالبيتريير. لديك خدمة غرف أفضل بكثير هناك".

"لا تبالــي"، قالت ستيفي بصرامة. "سآتي إليك. واللعنة عليهم إذا لم يعجــبهم الأمــر. إذا عجزوا عن توفير حارس أمام بابك في أثناء الغداء، فأنت بحاجة إلى كلب شرس هناك".

"أظــن أن ماتــيو اهــتم بذلك. خافوا كثيراً منه. وهناك نحو مليون حارس في القاعة الليلة".

"أخافني أنا أيضاً"، قالت ستيفي بصراحة. "يبدو رجلاً قاسياً".

"إنــه كــذلك". تتذكر كارول هذا لديه. "لكنه لم يكن هكذا معي. كان متــزوجاً. لم يستطع ترك زوجته. تحدثنا عن الأمر اليوم. عشنا معاً لمدة سنتين ونصف. لم يطلقها، ولذلك تركته".

"عــشت مــثل هــذه التجــربة ذات مرة. يصعب الفوز بهم. معظم الأشخاص لا ينجحون. لم أجرب الأمر مجدداً. قد يكون ألان حقيراً أحياناً، لكنه على الأقل لي".

"نعــم، أظــن أننــي احتجت إلى بعض الوقت مع ماتيو لفهم الأمر. أخبرني أنه سيتركها حين التقينا، وأن زواجه انتهى، وهو كذلك منذ عشر سنوات".

"يقولون دوماً مثل هذا الهراء. والشخص الوحيد الذي لا يعرف بشأن العلاقة هو زوجتهم. لا يتركونها أبداً".

"بقي متزوجاً بها حتى السنة الماضية. قال إنني كنت محقة في الرحيل".

"هذا ما يبدو. وهل طلقها الآن؟". بدت ستيفي متفاجئة. في عمره، لا أحد يطلّق. خصوصاً في فرنسا.

"لا. لقد ماتت. بقي معها حتى النهاية المريرة. ست وأربعون سنةً من زواج خالٍ من الحب افتراضياً. ما الجدوى من هذا؟".

"عادة. كسل. جبن. الله يعلم لماذا يبقى الأشخاص".

"ماتت ابنته حين كنت أعيش معه. ثم هددته زوجته بالانتحار. كانت هناك سلسلة لامتناهية من الأعذار، بعضها منطقي، على الرغم من أن معظمها ليس كذلك، إلى أن استسلمت أخيراً. كان متزوجاً بها، وبفرنسا".

"يبدو أنك لم تكوني محظوظة".

"لا، لم أكن محظوظة. يقول هو ذلك أيضاً الآن. لكنه لم يقل ذلك حتماً آنذاك". لم تخبر ستيفي عن الطفل الذي خسرته، لكنها ستتحدث مع أنطوني عن الموضوع يوماً ما، إذا تذكر. لم يقل أبداً أي شيء لها، لكن بدا جلياً في المستشفى حين التقيا أنه يكره ماتيو كثيراً. حتى الولدان شعرا أنهما تعرضا للخيانة. لقد ترك ذلك أثراً دائماً في ابنها، مهما كانت التفاصيل.

"بدوت يائسة حين عدنا لتوضيب المنزل".

"كنت كذلك".

"يبدو أنك تتذكرين الكثير".

"نعم، شيئاً فشيئاً، تعود إليّ الذكريات. مشاعر أكثر من الأحداث".

"هذه بداية". لقد ساعدها مايك أبلسون أيضاً باستثناء مقابلته مع الصحافة التي دفعت الشاب مع السكين وراءها. "أتمنى أن يعيدوك إلى الفندق قريباً". كانت ستيفي قلقة كثيراً بشأن الخطر المحتمل عليها من بقية الإرهابيين. لكن الشرطة تهتم في الوقت الحاضر.

"وأنا أيضاً".

قالتا تصبحان على خير لبعضهما ثم أقفلتا الخط، واستلقت كارول على سريرها لوقت طويل، تفكر كم هي محظوظة، وكم هي محظوظة لإنجابها ولدين، وكم كانت نجاتها أمراً غريباً، وكم هي محظوظة لامتلاك ستيفي كصديقة. حاولت ألا تسمح لنفسها بالتفكير في ماتيو، أو الشاب الذي جاء لقتلها بالسكين المرعبة. استلقت على سريرها وأغمضت عينيها، وأخذت نفساً عميقاً. لكن مهما فعلت، استمرت في رؤية الشاب مع السكين موجهة إلى رأسها، ثم تسابق عقلها إلى حماية ماتيو ووقايته. بدا وكأنه على الرغم من مرور كل تلك السنوات، لا يزال ملجأ تشعر بوجوده بالأمان والسلام، لإبقائها بمنأى عن الأذى. لم تشأ تصديق ذلك، لكنها لا تزال تفعل هذا في مكان ما من ذاكرة قلبها. استطاعت الإحساس بذراعيه حولها فيما خلدت بهدوء إلى النوم.

الفصل الثالث عشر

جاءت الشرطة لتأخذ تقريراً من كارول في اليوم التالي. تبين أن الشاب الذي تم احتجازه هو شرق أوسطي وعمره سبع عشرة سنةً. إنه عضو في مجموعة متطرفة مسؤولة عن ثلاث هجمات إرهابية حصلت مؤخراً، اثنتان منها في فرنسا وواحدة في إسبانيا. باستثناء هذه المعلومات، لا يعرفون الكثير عنه، وكارول هي الشخص الوحيد التي استطاعت ربطه بتفجير النفق. على الرغم من أن ذاكرتها لا تزال مشوشة بشأن الحادثة، تماماً مثل تفاصيل حياتها الخاصة، تذكرت بوضوح أنها رأته في السيارة قربها، فيما علقت سيارة الأجرة في زحمة السير تحت الأرض. عادت كل الذكريات إليها حين رأت وجهه في غرفتها في مستشفى لابيتييه سالبيتربير. عيناه لفتتا انتباهها حين هجم عليها مع السكين الطويلة والمعقوفة.

استجوبها رجال الشرطة لثلاث ساعات تقريباً، وعرضوا عليها صور عشرة رجال تقريباً. لم تتعرف إلى أي منهم، باستثناء الشاب الذي دخل إلى غرفتها وحاول قتلها. ذكّرتها إحدى الصور الفوتوغرافية بسائق السيارة التي كانت قربها، لكنها لم تنتبه إليه كثيراً بقدر ما انتبهت إلى الشاب الجالس في المقعد الخلفي، ولذلك لا يمكنها أن تكون واثقة. ليس لديها أي شك بشأن الشاب الذي هاجمها، إذ تذكرت بوضوح وجهه الحزين فيما حدّق فيها من مقعده الخلفي. هجومه عليها أعاد كل الذكريات إلى عقلها مجدداً. الصور واضحة تماماً.

ثمة ذكريات أخرى تعود أيضاً. لكنها في أغلب الأحيان غير مترابطة وغير منطقية بالنسبة إليها. استطاعت رؤية حظيرة والدها في عقلها، وتذكرت حلب الأبقار كما لو أنه البارحة. استطاعت سماع ضحكة والدها، لكن كل التركيز لم يساعدها على تذكر وجهه. اللقاء بمايك أبلسون في نيو أورليانز حين اكتشفها بقي غامضاً بالنسبة إليها، لكنها تذكرت الآن الاختبار أمام الكاميرا وعملها في أول فيلم. استيقظت وهي تفكر فيه ذلك اليوم، لكن اللقاء بجايسون وأيامها الأولى معه تبخرت في الهواء. تذكرت يوم زفافهما والشقة في نيويورك حيث عاشا بعدما تزوجا، وتذكرت ولادة أنطوني بغموض، لكنها لم تتذكر أي شيء عن ولادة كلويه، والأفلام التي صورتها، أو جائزتيّ الأوسكار اللتين فازت بهما، وتتذكر القليل فقط عن شون.

كان كل شيء منفصلاً وغير متسلسل، مثل لقطات من فيلم سينمائي وصلت إلى غرفة المونتاج. تعود الوجوه إلى عقلها، أو الأسماء، على نحو غير مترابط في أغلب الأحيان، ثم تظهر المشاهد كلها وتكون واضحة مثل البلور. الأمر أشبه بمزيج مرقع ومجنون لحياتها، تحاول دوماً فرزه وتنظيمه، ووضعه في التسلسل مجدداً. وكلما رأت أنها فعلت ذلك بشكل صحيح وعرفت ما تتذكره، تتذكر تفصيلاً آخر، أو وجهاً أو اسماً أو حدثاً وتتبدل القصة كلها مجدداً. الأمر أشبه بمشهد متغير، يتبدل ويتحول باستمرار فيما الألوان والأشكال تتبدل وتتحرك. من المرهق محاولة استيعاب كل ذلك وفهمه. والآن، تستطيع لساعات متتالية تذكر كل شيء، ثم يبدو عقلها وكأنه انطفأ لساعات أخرى متتالية، كما لو أنه اكتفى من عملية التحليل والفرز التي تشغلها طالما هي مستيقظة. إنها تحاول إجبار نفسها على تذكر كل شيء، وتطرح ألف سؤال حين تخطر الأمور ببالها، محاولة جعل التركيز أكثر وضوحاً في عدسة عقلها. إنها وظيفة بدوام كامل، وأصعب وظيفة عرفتها في حياتها.

كانت ستيفي مدركة تماماً كم أن الأمر مرهق بالنسبة إليها، ولذلك كانت تجلس بصمت في غرفتها كلما لاحظت أن كارول تحاول فرز الأمور في عقلها. وفي النهاية، تقول كارول شيئاً ما، لكنها تبقى لساعات طويلة مستلقية على سريرها، وكأنها تحدق إلى الفضاء، تفكر في كل شيء. لا تزال بعض الأمور غير منطقية بالنسبة إليها، مثل الصور الفوتوغرافية لأشخاص في ألبوم من دون إشارات إلى من يكونون أو لماذا كانوا هناك. ثمة أمور تتذكرها بوضوح، وثمة أمور أخرى تتذكر القليل منها فقط. وكان كل شيء مشوشاً في رأسها. احتاجت إلى ساعات طويلة أحياناً للتعرف إلى مشهد أو وجه أو اسم، وكان انتصاراً حقيقياً لها كلما فعلت ذلك. كانت تشعر بالنصر في كل مرة، ثم تستلقي صامتة ومستنفدة من الطاقة لوقت طويل.

تأثرت الشرطة بما تذكرته. قيل لهم في البداية إنها لم تعد تملك أي ذاكرة على الإطلاق. والعديد من الضحايا الآخرين الذين تحدثوا إليهم تذكروا أموراً أقل مما فعلت هي. لم يكونوا منتبهين في أثناء وجودهم في النفق، يتحدثون إلى ركاب آخرين، يغيّرون الإذاعات في الراديو، أو أن صدمة الحدث والإصابات الناجمة عنه محت كل الذكريات من عقولهم. قامت الشرطة ووحدة الاستخبارات الخاصة بمقابلة الأشخاص طوال أسابيع. وحتى هذا الوقت، قيل لهم إن كارول لا تستطيع الإسهام في أي شيء في بحثهم. فجأة، تغير هذا الأمر وكانوا ممتنين لمساعدتها. باتوا يوفرون لها حراسة إضافية في المستشفى. ويوجد الآن عنصران من فرقة مكافحة الشغب يقفان خارج بابها وهما ينتعلان حذاءي القتال ويرتديان بزات كحلية. يمكن التعرف فوراً إليهما ولسبب وجودهما هنا. فالأسلحة التي يحملانها تنطق بكل شيء. فرقة مكافحة الشغب هي الوحدة الأكثر هيبة في باريس، ويتم استدعاؤها خلال أعمال الشغب أو بعد حصول عمل إرهابي في مكان ما. لذا، فإن استدعاء عنصرين من هذه الفرقة يؤكد جدية الحدث الذي أحضرها إلى مستشفى لابيتييه سالبيتريير.

ما من سبب للاعتقاد أن بقية أفراد المجموعة الإرهابية سيحاولون الاعتداء عليها مجدداً. فالمعلومات المتوافرة لديهم تفيد بأن كل الإرهابيين قتلوا في التفجير الانتحاري في النفق، باستثناء الشاب الذي هرب. تتذكره كارول بوضوح وهو يركض إلى الخلف في اتجاه مدخل النفق مباشرة قبل انفجار القنبلة الأولى. إلا أن ذاكرتها مشوشة بشأن ما حصل لاحقاً إذ تم قذفها خارج سيارة الأجرة وطرحها في إحدى الفجوات في النفق. لكن الشرطة لا تزال تتخوّف نظراً لكون كارول ضحية مشهورة للانفجار. لذا، فإن القضاء عليها سيكون ضربة موفقة للإرهابيين، ونصراً إضافياً، عبر قتل شخصية مشهورة للفت الانتباه إلى قضيتهم. في كلا الحالتين، لا ترغب الشرطة ووحدة الاستخبارات بأن تموت كارول على الأراضي الفرنسية. ولذلك يبذلون كل ما في وسعهم لإبقائها على قيد الحياة، على الأقل حتى تغادر فرنسا. وبما أنها أميركية، اتصلوا بمكتب الأف بي آي أيضاً. وعدوهم بتوفير مراقبة لمنزلها في بل - آير خلال الأشهر القليلة التالية، خصوصاً بعد عودتها إلى المنزل. هذا الأمر مخيف ومطمئن في الوقت نفسه.

لم يكن مشجعاً أبداً احتمال تعرضها لخطر إضافي. فقد دفعت ثمناً باهظاً كفاية لوجودها في النفق في أثناء التفجير الانتحاري. وكل ما تريده الآن هو استعادة ذاكرتها، ومغادرة المستشفى، ومتابعة حياتها بعد عودتها إلى المنزل. لا تزال تأمل في كتابة روايتها. وكل شيء في حياتها، حاضرها وماضيها، بدا الآن أكثر أهمية بالنسبة إليها، ولاسيما ولديها.

وصل ماتيو في منتصف المقابلة مع الشرطة. لم يقل أي شيء، وإنما دخل الغرفة بهدوء ووقف يراقب بصمت. أومأ برأسه إلى كارول، وبدا جدياً وقلقاً فيما أصغى. أجرى عدة اتصالات هاتفية بوحدة الاستخبارات التي تتولى القضية، واتصالاً برئيس وحدة مكافحة الشغب. كما تلقى وزير الداخلية الحالي اتصالاً منه في اليوم السابق. أراد ماتيو إتمام التحقيق معها وحمايتها من دون أي خطأ أو شائبة. لم يترك مجالاً للشك عند أحد بأن

القضية بالغة الأهمية بالنسبة إليه. ولا حاجة لأن يشرح السبب. كارول باربر هي زائرة مهمة لفرنسا، وقال لوزير الداخلية الحالي إنها صديقة شخصية منذ سنوات عدة. لم يسأله الوزير عن نوع العلاقة.

وقف ماتيو يراقب وجهها فيما كانوا يطرحون عليها الأسئلة، وتفاجأ لسماع ما تتذكره، تماماً مثلما تفاجأوا هم. استطاعت تذكر العديد من التفاصيل التي فاتتها من قبل. لم تزعج هذه المرة من وجود ماتيو هنا. من المريح وجود شخص مألوف قربها، فضلاً عن أنه لم يعد يخيفها. ظنت أن خوفها الأولي منه حين جاء لزيارتها ناجم عن كونها شعرت بأنه كان مهماً لها، لكنها لم تكن تعرف السبب. والآن، أصبحت تعرف السبب واللافت أنها تتذكر تفاصيل عن حياتهما معاً أكثر مما تتذكر عن بقية الأشخاص والأحداث.

فالمراحل الأساسية لعلاقتها معه محفورة بقوة في ذاكرتها، نابعة من البحار التي غمرتهما، وتتذكر مليون تفصيل صغير أيضاً، ولحظات مهمة، وأياماً مشمسة، وليالٍ عاصفة، ولحظات رقيقة، والخوف الذي شعرت به لعدم تركه زوجته، والجدالات التي دارت بينهما لهذا السبب. لا تزال شروحاته وأعذاره واضحة في عقلها، وكذلك رحلة القارب في جنوب فرنسا. تتذكر كل حديث دار بينهما تقريباً فيما كانا يبحران ببطء قرب سان تروبيز، وحزنه الشديد حين ماتت ابنته بعد سنة واحدة. حزنهما المشترك وخيبة أملهما حين فقدت الطفل. ذكرياته لا تزال تغمرها، ويبدو أنها أغرقت كل الذكريات الأخرى. تستطيع تذكر الألم الذي سببه لها كما لو أنه حصل البارحة، واليوم الذي غادرت فيه فرنسا. تخلت عن أي أمل في العيش معه في ذلك الحين. وبعد معرفة كل ذلك، من الغريب التواجد معه الآن في غرفة واحدة. الأمر غير مخيف، وإنما مقلق. إنه يملك طلة صارمة وحزينة، الأمر الذي اعتبرته مشؤوماً لها في البداية، لكنها تتذكر الآن تاريخهما، وباتت طلته الحزينة مألوفة بالنسبة إليها. لا يبدو مثل رجل سعيد، لا بل معذباً بذكرياته الخاصة للوقت الذي تشاركاه. أراد الاعتذار منها قبل سنوات، وقد منحه القدر الآن هذه الفرصة.

بدت كارول مرهقة حين غادر رجال الشرطة والاستخبارات الغرفة. جلس ماتيو قربها، ومن دون سؤالها أولاً، أعطاها كوباً من الشاي. بدت ممتنة له وابتسمت. كانت متعبة جداً لرفع الكوب إلى شفتيها. شاهد يدها ترتجف وأمسك لها الكوب. بقيت الممرضة خارج الغرفة تتحدث إلى رجليّ الشرطة. لقد تم تجاوز اعتراضات المستشفى على أسلحتهما. فحماية كارول أمر بالغ الأهمية ويتجاوز قواعد المستشفى. لذا، بقيت الأسلحة. شاهدتهما كارول بنفسها حين مشت في الرواق مع الممرضة، قبل وصول فريق الاستجواب لأخذ أقوالها. وصُدمت لرؤية أسلحتهما، لكنها شعرت بالاطمئنان في الوقت نفسه. تماماً مثل وجود ماتيو قربها، بحيث بدا مثل لعنة ونعمة في الوقت نفسه.

"هل أنت على ما يرام؟"، سألها بهدوء، وأومأت برأسها، فيما ارتشفت الشاي الذي حمله لها. كانت ترتجف كلها.

كان صباحاً مزعجاً، ولكن أقل من اليوم الذي سبق، حين دخل الشاب مع السكين غرفتها. إنه حدث وإحساس عرفت أنها لن تنساهما أبداً. كانت واثقة من أنها ستموت، أكثر من الوقت الذي طارت في النفق. إنه أمر شخصي، وهادف خصيصاً إلى إيذائها، مثل الصاروخ الموجه مباشرة إليها. لا تزال تشعر بالخوف حين تفكر في الأمر. إلا أن النظر إلى ماتيو هدأ أعصابها. بدا رقيقاً جداً حين جلس هناك. ثمة جانب لطيف لديه لم تنسه أبداً. بدا ذلك جلياً فيما جلس قرب سريرها وسطع حبه لها في عينيه. لم تكن واثقة ما إذا كانت ذكرى هذا الحب لديه، أم أن نار الحب لم تنطفئ أبداً، ولم ترغب بسؤاله. من الأفضل إبقاء بعض الأبواب مغلقة إلى الأبد. وما يوجد خلف هذا الباب مؤلم جداً لهما معاً، أو على الأقل هذا ما تعتقده. لم يعطها أي تلميحات بشأن الحاضر، وإنما فقط الماضي، وهذا كافٍ بالنسبة إليها.

"أنا بخير"، تنفست مع تنهيدة، فيما ألقت رأسها على الوسادة ونظرت في عينيه. "كان هذا قاسياً"، قالت وهي تشير إلى التحقيق، وأومأ هو برأسه.

"أبليت حسناً". كان فخوراً بها. بقيت كارول هادئة، واضحة، وبذلت كل جهد لإخراج كل تفصيل ممكن من ذاكرتها المشوشة. كانت مذهلة، ولم يفاجئه ذلك. لطالما كانت امرأة مميزة. كانت رائعة معه حين توفيت ابنته، وفي مليون مرة أخرى، ولم تخذله أبداً في أي طريقة، مثلما خذلها هو. يعرف كل ذلك جيداً، وراجع المسألة مرات لامتناهية في عقله طوال كل هذه السنوات. بقي مهووساً بوجهها، وصوتها، ولمستها، طوال خمس عشرة سنة، وها هو الآن يجلس قربها. من الغريب تصديق ذلك.

"هل تحدثت إليهم من قبل؟". كانت كارول فضولية. فالشرطة كانت لطيفة ومحترمة معها، في أثناء الإلحاح عليها لتزويدهم بكل تفصيل ممكن. لكن طريقة تعاطيهم معها بدت رقيقة ومحترمة على نحو غير اعتيادي، وشكّت في أن يكون هو المسؤول عن ذلك.

"اتصلت بوزير الداخلية في الليلة الفائتة". في النهاية، كان هو المسؤول عن التحقيق، والمسؤول عن كيفية سيره، ونجاحه النهائي. كانت هذه هي مهمة ماتيو حين التقيا.

"شكراً"، قالت وهي تنظر إليه بامتنان. كان في وسعهم التعامل معها بخشونة، وهذا هو أسلوبهم عادة، لكنهم لم يفعلوا ذلك. كانوا في غاية الرقة في طريقة تعاطيهم معها، بفضله هو. "هل تشتاق إلى مهنتك القديمة؟". بدا طبيعياً لها أن يشتاق. كان يملك الكثير من القوة، وكان أقوى رجل في فرنسا. يصعب على أي شخص التخلي عن ذلك، خصوصاً على رجل. كافح للحفاظ على هذه القوة حين عرفته، وكان بارعاً جداً في طريقة عمله، ولهذا السبب لم يترك أبداً. شعر وكأن سلامة بلده من مسؤوليته طوال الوقت. البلد الذي أحبه. "وطني" مثلما قال لها غالباً، وهو يتحرق شوقاً لأرضه وشعبه. من المستبعد أن يكون تغير، حتى لو تقاعد.

"أحياناً"، قال بصدق. "يصعب التخلي عن مسؤولية من مثل هذا النوع". إنها مثل الحب، لا يتوقف، حتى لو غيّر العنوان. لكن الأوقات مختلفة الآن. باتت المهمة أصعب اليوم، ولم تعد نظيفة كما في السابق. فقد

بدّل الإرهاب العديد من الأشياء، في كل الدول. لم يعد أي زعيم يقضي وقتاً جيداً الآن. كان الأمر أكثر بساطة حين كنت في الحكومة. كنت تعرفين من هم الأشرار. لكنهم لا يملكون الآن أي وجه، ولا ترينهم إلا بعد حصول الضرر، مثلما حصل معك. بات من الأصعب حماية الدولة والشعب. أصبح الجميع خائبي الأمل، والبعض على نحو مرير. من الصعب أن يصبح المرء بطلاً. فالناس غاضبون من الجميع، ليس فقط من أعدائهم وإنما أيضاً من زعمائهم"، قال مع تنهيدة. "لا أحسد من هم في الحكومة اليوم، وإنما أشتاق فقط". منحها واحدة من ابتساماته النادرة. "وأي رجل لا يشتاق؟ كان الأمر ممتعاً كثيراً".

"أذكر كم كنت تحب ذلك"، قالت مع ابتسامة خجولة. "كنت تعمل لساعات طويلة وتتلقى اتصالات طوال الليل". أراد العمل بهذه الطريقة. أراد معرفة كل تفصيل لكل ما يجري على الدوام. كان مهووساً بالعمل.

وذلك الصباح، وقف في الغرفة، مطلعاً على التحقيق، كما لو أنه لا يزال هو المسؤول. ينسى أحياناً أنه لم يعد كذلك. ولا يزال محترماً كثيراً من قبل الناس والرجال الذين استلموا مهمته. كان يعطي دوماً آراءه بشأن مسائل سياسية، وتجرى معه غالباً مقابلات في الصحف. اتصلوا به قبل أيام قليلة للاطلاع على رأيه بشأن تفجير النفق وكيفية التعاطي مع المسألة. كان دبلوماسياً، على الرغم من أنه ليس دوماً كذلك. فحين يكون غاضباً من شيء ما، أو منتقداً للحكومة، لا يستعمل الكلمات اللطيفة، ولم يفعل ذلك يوماً.

"لطالما كانت فرنسا حبي الأول"، قال لها. "إلى أن جئت أنت"، أضاف برفق. لكنها ليست واثقة من أن هذا صحيح، أو كان يوماً صحيحاً. فحسب ما ترى هي، جاءت دوماً في المرتبة الثالثة بعد بلده وزواجه.

"لماذا تقاعدت؟"، سألته كارول بهدوء وتمددت لشرب الشاي مجدداً. هذه المرة أمسكت الكوب بنفسها. أصبحت تشعر بالتحسن والهدوء مجدداً. لقد أزعجها الاستجواب، لكنها ارتاحت أخيراً. لاحظ ذلك هو أيضاً.

"ظننت أن الوقت قد حان. خدمت بلدي لوقت طويل. نفذت مهمتي. انتهت ولايتي، وتبدلت الحكومة. عانيت من مشاكل صحية، كانت مرتبطة بالعمل على الأرجح. أنا بخير الآن. اشتقت إلى العمل كثيراً في البداية، وعُرضت عليّ بعض المناصب البسيطة، كبادرة حسن نية. لا أريد ذلك. لا أريد جائزة ترضية. لديّ ما أردته. ظننت أن الوقت قد حان للتوقف. وأنا أستمتع بممارسة مهنة الحقوق. طُلب مني مرات عدة أن أصبح قاضياً، لكنني أجد ذلك مضجراً. من الممتع أكثر أن أكون محامياً وليس قاضياً. بالنسبة إليّ على أي حال. على الرغم من أنني أنوي التقاعد من هذه المهنة هذه السنة أيضاً".

"لماذا؟". بدت قلقة عليه. إنه رجل يحتاج إلى العمل. حتى في عمر الثامنة والستين، لا يزال يملك طاقة رجل أكثر شباباً. لاحظت الأمر مجدداً حين كانوا يستجوبونها. كان يضجّ بالحيوية، مثل السلك الكهربائي. من غير الصحي أن يتقاعد رجل مثله. يكفي أنه تخلّى عن الوزارة، ولذلك لا يبدو حكيماً بالنسبة إليها أن يتوقف عن المحاماة أيضاً.

"أنا عجوز، عزيزتي. حان الوقت للقيام بأشياء أخرى. الكتابة، القراءة، السفر، التفكير، اكتشاف عوالم جديدة. أنوي السفر إلى جنوب شرق آسيا". ذهب إلى أفريقيا في السنة الماضية. "أريد فعل الأمور ببطء أكبر الآن، والاستمتاع بها، لكنني لا أستطيع فعل ذلك بعد الآن".

"ما زالت أمامك سنوات عدة للقيام بذلك. لا تزال رجلاً حيوياً ونابضاً بالشباب".

ضحك على اختيارها للكلمات. "نعم، نابض بالشباب، ولكن ليس شاباً. ثمة فرق في ذلك. أريد الاستمتاع بحياتي، وبالحرية التي لم أعشها أبداً. لا أجيب على أحد الآن. ثمة فائدة كبيرة في ذلك، وسلبية أيضاً. كبر أولادي، وحتى أحفادي". ضحك. يصعب تخيل ذلك، لكنها تدرك تماماً أن هذا صحيح. "رحلت أرليت. ما من أحد يهتم لأين أكون أو ماذا أفعل، وهذا أمر محزن، لكنه صحيح. قد أستفيد من ذلك أيضاً حين أستطيع، قبل أن

يبدأ أولادي بالاتصال بالمنزل لسؤال الخادمة إذا تناولت طعامي أو بللت سريري". لا تزال هذه الطريق بعيدة، وأثّرت فيها كثيراً الصورة التي رسمها لمستقبله. بطريقة ما، باتت تعيش الوضع نفسه هي أيضاً. ولداها أصغر كثيراً من أولاده. تعرف أن ابنه البكر في الأربعينيات تقريباً، وليس أصغر منها كثيراً. تزوج شاباً وأنجب الأولاد في سن مبكرة، ولذلك ليس مرتبطاً بأولاد صغار نسبياً، مثلها هي. لكن، حتى ولداها هي تخرجا من الجامعة، وكبرا، ويعيشان في مدينتين مختلفتين. ولولا وجود ستيفي قربها كل يوم، لكان المنزل أشبه بالصحراء. لا يوجد رجل في حياتها، ولا أولاد في المنزل، ولا أحد للإجابة عليه أو قضاء الوقت معه، أو الاهتمام به، لا أحد يهتم في أي وقت تناولت العشاء، أو إذا تناولته أصلاً. إنها أصغر منه بعشرين سنة تقريباً، لكنها من دون قيود الآن أيضاً. هذا ما دفعها إلى المضي قدماً في الكتاب، والقيام بالرحلة للتجول في أوروبا، للعثور على الأجوبة التي أضاعتها حتى ذلك الحين.

"ماذا عنك أنت؟". التفت صوبها وبدا في عينيه السؤال نفسه الذي رآه في عينيها. "لم تشاركي في فيلم سينمائي منذ وقت طويل. أظن أنني شاهدت أفلامك كلها". ابتسم مجدداً. كان يدلل نفسه بذلك، بحيث يجلس في مسرح داكن، يراقبها ويصغي إليها. شاهد بعض الأفلام ثلاث وأربع مرات، ثم شاهدها مجدداً على التلفزيون. لم تعلّق زوجته أبداً، وكانت تترك الغرفة بهدوء حين تظهر كارول على الشاشة. فهمت. حتى النهاية. إنه موضوع لم يتطرقا إليه أبداً خلال السنوات الأخيرة من حياتهما معاً. قبلت حبه لكارول، وحقيقة أنه لم يحبها أبداً بالطريقة نفسها، ولن يفعل أبداً. مشاعره تجاه زوجته مختلفة تماماً. كانت مشاعر قائمة على الواجب، والمسؤولية، والصحبة والاحترام. أما مشاعره تجاه كارول فولدت من الشغف، والرغبة، والأحلام والأمل. لقد أضاع الأحلام، ولكن ليس الأمل أو الحب. إنهما له إلى الأبد، واحتفظ بهما داخل قلبه، مثل جوهرة نادرة ونفيسة في مكان آمن، بعيداً عن الأذى وبعيداً عن العين. استطاعت كارول

الإحساس بالمشاعر التي لا يزال يكنّها لها، فيما جلسا في غرفة المستشفى وتحدثا. كانت الغرفة تنبض بكل ما لم يقل، ولا تزال تشعر بتأثيره على الأقل.

"لم تعجبني السيناريوهات خلال السنوات القليلة الماضية. لا أريد أداء أدوار غبية، إلا إذا مثلت دوراً مضحكاً فعلاً، وأظن أنني تأخرت في ذلك قليلاً. لطالما أردت أداء الكوميديا، وقد أفعل في يوم من الأيام. لا أعرف كم أنا مضحكة، لكنني أودّ التجربة وأداء الدور. في هذه المرحلة، لمَ لا؟ وإلا، أريد أداء أدوار تعني لي الكثير وتحدث فرقاً عند الأشخاص الذين يشاهدون الأفلام. لا أرى الجدوى من إبقاء وجهي على الشاشة لمجرد ألا ينسى الأشخاص من أكون. أريد أن أهتم فعلاً للأدوار التي أقبل بها. يجب أن يهمني الدور، وإلا لا جدوى من أدائه. لا يوجد الكثير من هذه الأدوار في الوقت الحاضر، خصوصاً في عمري. ولم أشأ العمل خلال السنة التي مرض فيها زوجي. ومنذ ذلك الحين، لم أطّلع على دور واحد يعجبني. كل الأدوار تافهة. لم أمثل أبداً أدواراً تافهة، ولا أريد فعل ذلك الآن. لا أحتاج إلى فعل ذلك. كنت أحاول تأليف كتاب"، اعترفت له مع ابتسامة. يجريان دوماً محادثات ممتعة بشأن الأفلام، والسياسة، والعمل، وآرائهما بشأن الوضع الإنساني، والحياة. إنه مثقف جداً، ومطالع نهم، وشخص فلسفي، يحمل شهادة ماجستير في الأدب، وعلم النفس، والفن وشهادة دكتوراه في العلوم السياسية. إنه متعدّد الاهتمامات وصاحب عقل حاد الذكاء.

"هل تؤلفين كتاباً عن حياتك؟". بدا محتاراً.

"نعم ولا". ابتسمت بخجل. "إنها قصة عن امرأة تقدمت في العمر وبدأت تتمعن في حياتها بعد موت زوجها. كتبت عشرات المقدمات الفاشلة. كتبت فصولاً عدة، من زوايا مختلفة، وكنت أعلق دوماً في المكان نفسه. لا أستطيع تصور مغزى حياة هذه المرأة بعد رحيل زوجها. إنها جرّاحة أعصاب باهرة، ولم تستطع إنقاذه من ورم في الدماغ على الرغم

من كل معارفها. إنها امرأة معتادة على القوة والسيطرة، ولذلك فإن إخفاقها في تغيير القدر يضعها أمام منعطف طرقات في حياتها. إنها حكاية قبول واستسلام وفهم للذات ومعنى الحياة. اتخذت بعض القرارات المهمة في ماضيها، ولا تزال تؤثر فيها. تترك مهنتها وتنطلق في رحلة محاولة العثور على أجوبة لأسئلتها، ومفاتيح الأبواب التي تركتها مغلقة في معظم حياتها، فيما كانت تمضي قدماً. عليها العودة الآن إلى الوراء قبل أن تتمكن من المضي قدماً مجدداً". تفاجأت هي نفسها بما تتذكره عن الكتاب.

"يبدو كتاباً مهماً"، مازحها وهو يبدو شارداً. فهم تماماً أن الكتاب يتحدث عنها والقرارات التي اتخذتها، وما فعلته. المنعطفات والخيارات التي أخذتها في حياتها، ولاسيما القرار الذي اتخذته بشأنه فتركت فرنسا، والعلاقة التي اعتبرتها من دون جدوى بالنسبة إليها.

"أتمنى ذلك. وقد تعرض القصة في فيلم يوماً ما، إذا قمت بتأليفها. هذا دور أودّ أداءه!". عرف كلاهما أنها قامت أصلاً بتأديته. "لكنني أحب تأليف الكتاب. إنه يمنحني الصوت الروائي، كلي المعرفة والبصيرة، وهو ليس فقط حواراً بين الشخصيات وتعابير على الوجه في فيلم على الشاشة. الكاتب يعرف كل شيء، أو يفترض به ذلك حسبما أظن. وحين حصل ذلك، اكتشفت أنني لم أفعل. لم أستطع العثور على أجوبة لأسئلتي، ولذلك جئت إلى أوروبا للعثور عليها، قبل أن أمضي قدماً في الكتاب. أتمنى أن يفتح لي بعض الأبواب وأتمكن من متابعة تأليفي".

"وهل حصل ذلك؟". بدا محتاراً، وابتسمت بمكر.

"لا أعرف. ربما. ذهبت لأرى منزلنا القديم يوم وصلت إلى باريس، وخطرت ببالي بعض الأفكار. كنت عائدة إلى الفندق لكتابة بعض الأمور، وحدث أن وجد النفق بين المنزل والفندق. وطار كل شيء من رأسي، فضلاً عن كل ما كان موجوداً فيه. من الغريب جداً ألا تعرف من تكون، أو أين كنت، أو ما كان مهماً بالنسبة إليك. كل الأشخاص والأماكن والأحداث التي جمعتها اختفت، وبقيت وحيداً بصمت، من دون أدنى فكرة

عن تاريخك أو من كنت". إنه أسوأ كابوس، ولم يستطع تخيله فيما نظر إليها. "بدأت الأمور تعود الآن، بأجزاء وقتافيت. لكنني لا أعرف ماذا نسيت. في معظم الأوقات، أشاهد صوراً ووجوهاً وأتذكر مشاعر، لكنني لست واثقة من كيفية انطباقها في مخطط الأحداث أو في أحجية حياتي". تذكرت أموراً عنه أكثر مما تذكرت أي شيء آخر، الأمر الذي بدا غريباً بالنسبة إليها. تذكرت عن ماتيو أكثر مما تذكرت عن ولديها، الأمر الذي جعلها حزينة. ولم تتذكر أي شيء عن شون تقريباً، باستثناء ما قيل لها، وبعض الأمور المهمة جداً في السنوات الثماني التي أمضياها معاً. حتى ذكرى موته بقيت غامضة. واستطاعت تذكر جايسون قليلاً جداً، على الرغم من أنها عرفت أنها أحبته بطريقة لطيفة وأخوية. لديها مشاعر مختلفة تجاه ماتيو. ذكرياتها عنه تجعلها تشعر بعدم الارتياح وتعيد إليها ذكرى فرح قوي وألم كبير. ألم على الأغلب.

"أظن أن ذاكرتك ستعود. كلها في النهاية ربما. عليك أن تكوني صبورة. قد يمنحك ذلك بصيرة أفضل مما كنت من قبل".

"ربما".

كان الأطباء متفائلين، لكنهم لم يعدوها بشفاء تام بعد. إنها تتحسن، وتتقدم إلى الأمام بسرعة، لكن لا تزال هناك أوقات تصل فيها إلى نقطة جامدة. ثمة كلمات، وأمكنة، وأحداث وأشخاص اختفت تماماً من رأسها. لا تعرف ما إذا كانت ستعثر عليها مجدداً، على الرغم من أن المعالجين يساعدونها. إنها تعتمد على الآخرين لمشاركة تاريخهم معها، وتحفيز ذاكرتها، مثلما فعل ماتيو. وفي حالته، لا تزال غير واثقة ما إذا كان الأمر نعمة أم لا. فما تشاركه معها حتى الآن جعلها حزينة على ما خسراه، بما في ذلك الطفل. "إذا لم أستعد ذاكرتي"، قالت بطريقة عملية، "سأعيش وقتاً عصيباً في المستقبل. قد يكون انتهى أمري الآن. فممثلة لا تستطيع تذكر السطور لا يمكنها على الأرجح الحصول على الكثير من العمل، على الرغم من أنني عملت مع الكثير من مثل هؤلاء الأشخاص"، قالت

وضحكت. كانت تتمتع بروح رياضية كبيرة حيال الخسارة التي ألمّت بها، وكانت أقل اكتئاباً من أطبائها وعائلتها. لا تزال تملك الأمل. وكذلك هو. بدت حيوية ويقظة جداً معه، نسبة إلى ما حصل والضرر اللاحق بدماغها.

"اعتدت على مشاهدتك وأنت تمثلين أفلامك. كنت أذهب إلى إنكلترا في عطلة كل نهاية أسبوع حين كنت تمثلين الفيلم الذي تلا **ماري أنطوانيت**. لا أستطيع تذكر الاسم الآن. كان ستيفين أرشر يشارك فيه والسير هارلاند تشادويك". حاول تحفيز ذاكرته، ولكن من دون محاولة، لفظت كارول اسم الفيلم.

"الظهور. الله كم كان فيلماً جميلاً"، قالت وهي تبتسم ابتسامة عريضة، ثم بدت مذهولة لأنها تذكرت الاسم والفيلم لوحدها. "واو، من أين جاء ذلك؟".

"كل شيء موجود هنا في مكان ما"، قال ماتيو برفق. "ستجدين كل شيء. عليك البحث".

"أظن أنني خائفة مما سأعثر عليه"، قالت بصدق. "قد يكون الأمر أسهل هكذا. لا أتذكر الأشياء التي تؤلمني، الأشخاص الذين كرهتهم أو الذين كرهوني. الأحداث والأشخاص الذين أردت نسيانهم... لكنني لا أتذكر الأحداث الجيدة أيضاً"، قالت وهي تبدو حزينة. "أتمنى لو أنني أتذكر المزيد عن ولديّ، خصوصاً كلويه. أظن أن مهنتي سببت لها الأذى. لا بد أنني كنت أنانية جداً حين كانت هي وأنطوني صغيرين. يبدو أنه سامحني، أو يقول إنه لا يوجد شيء للمسامحة، لكن كلويه أكثر صراحة بشأن الأمر. تبدو غاضبة، وكذلك متأثرة. أتمنى لو أنني كنت أذكى حينها وأمضيت المزيد من الوقت معهما". جاء الذنب مع الذاكرة.

"قضيت الوقت معهما. الكثير من الوقت. الكثير جداً برأيي في بعض الأحيان"، طمأنها ماتيو. "أخذتهما معك إلى كل مكان، ومعنا. لم تبعد كلويه أبداً عن ناظريك حين كنت لا تعملين، وكانت دوماً معك في موقع التصوير حين كنت تعملين. لم ترغبي حتى بتسجيلها في مدرسة. كانت

فتاة متطلبة جداً. مهما أعطيتها، أرادت شيئاً مختلفاً أو أكثر. كانت طفلة صعبة الإرضاء".

"هل هذا صحيح؟". من المثير رؤية الأمر عبر عدستيّ عينيه، لأن عينيها مشوشتان جداً، وتساءلت ما إذا كان محقاً أم منحازاً للاختلاف الجنسي والثقافي بينهما.

"أظن ذلك. لم أمضِ أبداً وقتاً مع أولادي مثلما فعلت أنت، ولم تفعل أمهم ذلك أيضاً، على الرغم من أنها لم تعمل مثلك. كنت ملتصقة دوماً بكلويه وقلقة بشأنها. وأنطوني أيضاً. عشت وقتاً أفضل معه. كان أكبر سناً، وأقرب إليّ لأنه كان صبياً. كنا صديقين رائعين حين كنت هنا. وفي النهاية، كرهني، مثلما فعلت أنت. رآك تبكين طوال الوقت". بدا مذنباً ومنزعجاً حين قال ذلك.

"هل كرهتك؟"، سألت وهي تبدو محتارة. فما تتذكره، أو تشعر به من الذكريات التي عادت إليها، هو ألم كبير وليس كرهاً، أو ربما كانا الشيء نفسه. خيبة أمل، ويأس، وإحباط، وغضب. بدت الكراهية كلمة قوية جداً. لم تكرهه حين جلس قربها. وكان أنطوني غاضباً حين رآه، مثل الولد الذي خاب أمله بشدة أو تعرض للخيانة. في النهاية، لم يقم ماتيو بخيانتهم فقط، وإنما خان نفسه أيضاً.

"لا أعرف"، قال لها وهو يفكر في الأمر قبل أن يجيبها. "كان يجدر بك كرهي ربما، إذا لم تفعلي. لقد خذلتك بشدة. كنت مخطئاً. انخرطت في التزامات معك لم أستطع الإيفاء بها. لم يكن لدي الحق في إعطائك الوعود التي قطعتها لك. اقتنعت بها بشدة آنذاك، لكن حين أنظر إليها الآن، وأفعل ذلك غالباً، أعرف أنني كنت أحلم. أردت جعل الحلم حقيقياً لكنني لم أستطع. أصبح حلمي كابوساً بالنسبة إليك. وبالنسبة إلي، في النهاية". كان يحاول أن يكون صادقاً معها ومع نفسه. أراد قول هذه الأمور لها منذ سنوات، ومن المريح فعل ذلك على الرغم من أن الأمر مؤلم لهما معاً. "لم يستطع أنطوني حتى أن يودعني حين غادرت. شعر أن والده خانكم

جميعاً، ثم جئت أنا لأزيد الأمر سوءاً. كانت ضربة مريعة لك ولولديك ولي أنا أيضاً. أظن أنها كانت المرة الأولى في حياتي التي أرى فيها نفسي رجلاً سيئاً. كنت سجين الظروف". أومأت برأسها وهي تستوعب كل ما قاله. لم تستطع تأكيد حقيقة ما قاله أو إنكارها، لكن الأمر منطقي. وفيما أصغت إليه، شعرت بحنان تجاهه، مدركة أنه عانى هو أيضاً.

"لا بد أن الوقت كان عصيباً لكلينا".

"نعم. ولأرليت أيضاً. لم أظن أبداً أنها أحبتني، إلى أن جئت أنت. اكتشفت الأمر بنفسها آنذاك ربما. لست أكيداً من أنه كان حباً حقيقياً. لكنها شعرت أن لديّ واجباً تجاهها، وأعتقد أنّها كانت محقة. لطالما اعتبرت نفسي رجل شرف، ولم أكن شريفاً مع أي منكما حينها. أو مع نفسي. أحببتك وبقيت معها. كان الأمر سيختلف ربما لو لم أبقَ في الحكومة. ولايتي الثانية بدلت كل شيء، وشهرتك. فامتلاك عشيقة ليس بالصدمة الكبيرة، إذ فعلها آخرون من قبل في فرنسا، لكن بما أنه أنت، كانت الفضيحة ستصبح مريعة، لنا جميعاً، وكانت ستقضي على مهنتك ومهنتي حسبما أظن. استفادت أرليت من ذلك"، قال بصراحة.

"وانتهزت المسألة تماماً، مثلما أذكر"، قالت كارول وبدت فجأة متوترة. "قالت إنها ستتصل بي في الاستوديو، وبالصحافة، ثم هددت بالانتحار". عادت إليها الذكرى بقوة، وبدا ماتيو محرجاً.

"تحدث مثل هذه الأمور في فرنسا. يشيع أن تهدد النساء هنا بالانتحار أكثر مما يحصل في الولايات المتحدة، خصوصاً في المسائل العاطفية".

"أحكمت قبضتها عليك، وأنا أيضاً"، قالت كارول بجرأة، وضحك.

"يمكنك قول ذلك، في حالتي. لكنها أحرجتني بأولادي أيضاً. ظننت فعلاً أنهم لن يتحدثوا إليّ مجدداً إذا تركتها. جعلت ابني الكبير يتحدث إليّ، كناطق رسمي باسم العائلة. كانت ذكية جداً في ذلك. لا أستطيع لومها. كنت واثقاً جداً من أنها ستوافق على الطلاق. لم نحب بعضنا، ولم نفعل

ذلك قبل سنوات عدة. كنت ساذجاً في تصديقها بأنها ستسمح لي فعلاً بالرحيل. وجعلتني سذاجتي أضللك". قال هذا بحزن فيما نظرت كارول إلى عينيه.

"كنا نحن الاثنان في وضع صعب"، قالت بكرم.

"نعم"، وافق معها. "كنا عالقين في حبنا لبعضنا، وبمثابة رهينة لها، ولوزارة الداخلية، وواجباتي هناك". أدركت كارول حين قال ذلك أنه كان يملك الخيارات، خيارات صعبة ربما، لكنها خيارات على أي حال. اتخذ خياراته، واتخذت هي خياراتها حين غادرت. تتذكر أنها خشيت كثيراً من أن يكون قرارها متسرعاً، وتساءلت طوال سنوات ما إذا كان يجدر بها البقاء، وما إذا كانت الأمور ستصل إلى نهاية مختلفة لو بقيت، وما إذا كانت ستفوز به في النهاية. تخلت أخيراً عن الفكرة حين التقت بشون وتزوجت. حتى ذلك الحين، لامت نفسها لأنها تركت ماتيو بسرعة، لكن سنتين ونصف كانتا فترة طويلة له لتنفيذ ما وعد به، وأصبحت آنذاك مقتنعة أنه لن يفي أبداً بوعوده. لطالما اخترع عذراً ما، يبطل مفعوله بعد فترة. كان يصدق أعذاره، لكن كارول لم تعد تصدقه. استسلمت. وهديته لها، حين يتحدثان عن الأمر بعد حادثها، هو أن يقول لها إنها كانت محقة. على الرغم من ذاكرتها المشوشة، ارتاحت كثيراً لسماعه أخيراً يعترف بذلك لها. ففي الفترة السابقة، خلال الاتصالات الهاتفية التي جرت في السنة التي تلت رحيلها، كان يلومها دوماً على تركه في مرحلة مبكرة. لكنه لم يكن محقاً، وهي تعرف ذلك الآن. كان رحيلها صائباً. حتى بعد مرور خمس عشرة سنةً، شعرت بالامتنان لمعرفة ذلك، تماماً مثلما شعرت بالامتنان على الأشياء التي أخبرها بها جايسون عن زواجهما. بدأت تتساءل ما إذا كان تفجير النفق هو نعمة بطريقة ما. لقد جاء كل هؤلاء الأشخاص إليها من الماضي، وفتحوا لها قلوبهم. لم تكن لتعرف أي شيء من ذلك لولا حصول التفجير. هذا هو تماماً ما احتاجت إليه لكتابها، ولحياتها.

"عليك الاستراحة"، قال ماتيو أخيراً لها فيما رأى عينيها متعبتين. لقد أرهقها استجواب الشرطة، والتحدث عن ماضيهما كان متعباً أيضاً. ثم طرح عليها سؤالاً كان يطارده منذ أن عثر عليها مجدداً. لقد جاء لزيارتها مرات عدة، وهو يبدو عفوياً ومهتماً بتهذيب، لكن اهتمامه برؤيتها كان أكبر كثيراً مما يبدو. وبعد أن أصبحت الآن واعية تماماً وتتذكر ما كانا يعنيان لبعضهما من قبل، احترم حقيقة امتلاكها الخيار. "هل ترغبين بقدومي لزيارتك مجدداً، كارول؟". حبس أنفاسه حين طرح عليها السؤال، وترددت هي لوقت طويل. في البداية، كانت رؤيته تربكها وتوترها، لكن يوجد الآن شيء مريح في وجوده قربها، كما لو أنه ملاك حارس يحميها بجناحيه العريضين وعينيه الزرقاوين بلون السماء.

"نعم، أريد"، قالت أخيراً بعد صمت طويل. "أحب التحدث إليك". لطالما فعلت ذلك. "لسنا بحاجة إلى التحدث عن الماضي بعد الآن". أصبحت تعرف ما يكفي، وليست واثقة من أنها تريد معرفة المزيد. هناك الكثير من الألم هناك، حتى الآن. "نستطيع ربما أن نكون صديقين. أودّ ذلك". أومأ برأسه، وهو لا يزال يرغب بالمزيد، لكنه لم يشأ إخافتها، وعرف أنه قد يفعل. لا تزال ضعيفة بعد كل ما حصل لها، ومرّ الكثير من الوقت على انتهاء علاقتهما. لقد فات الأوان ربما، على الرغم من أنه يكره الاعتراف بذلك لنفسه. لقد خسر حب حياته. لكنها عادت الآن، بأسلوب مختلف. قد يكون هذا كافياً ربما، مثلما قالت هي. يمكنهما التجربة.

"سآتي لأتحدث إليك غداً"، وعدها، ووقف ونظر إليها. بدت ضعيفة فيما هي مستلقية تحت البطانيات. بالكاد تصدر نَفَساً في السرير. انحنى لتقبيل جبينها. ابتسمت بسلام فيما أغلقت عينيها وتحدثت بهمس حالم.

"إلى اللقاء، ماتيو... شكراً لك...". لم يحبها يوماً أكثر.

الفصل الرابع عشر

جــاءت ســتيفي إلى المستشفى في وقت متأخر من بعد الظهر وهي تحمل حقيبة صغيرة في يدها، وطلبت من الممرضة تحضير سرير صغير فــي غــرفة كارول. إنها تنوي قضاء الليل هنا. حين دخلت إلى الغرفة، كانــت كــارول تستيقظ من قيلولة طويلة. لقد نامت لساعات بعدما غادر ماتــيو، مرهقة من الصباح الذي عاشته، وبعدها من التحدث إليه. احتاجت إلى كامل تركيزها لإنجاز المهمتين.

"أنا أنتقل إلى هنا"، قالت ستيفي وهي تضع حقيبتها على الأرض. لا تــزال عيــناها دامعتــين، مع أنف أحمر وسعال. لكنها تتناول المضادات الحــيوية وقالت إن مرضها لم يعد معدياً. كما أصبح زكام كارول أفضل.

"مــا الــذي فعلــته اليوم؟". أخبرتها كارول كيف جاءت الشرطة لرؤيتها، وسُــرّت ســتيفي لــرؤية الحارسين على باب غرفتها، على الرغم من أن أسلحتهما تبدو مزعجة، تماماً مثلما هي مزعجة لأي معتدٍ أيضاً.

"وبقــي ماتــيو بعد أن غادروا. كان هنا حين تحدثت إلى الشرطة"، أضافت كارول، وهي شاردة، فيما نظرت إليها ستيفي بعينين ضيقتين.

"هل يجدر بي القلق؟".

"لا أظن ذلك. حصل ذلك قبل وقت طويل جداً. كنت صغيرة، أصغر مما أنت الآن. اتفقنا على أن نكون صديقين، أو نحاول ذلك. أظن أن نيته جــيدة. يبدو مثل رجل غير سعيد". لا يزال يملك القوة نفسها التي تتذكرها خلال أيام شغفهما، لكن ثمة حزن عميق في عينيه لم يكن موجوداً من قبل،

إلا بعدما ماتت ابنته. "سأعود إلى المنزل قريباً على أي حال. من اللطيف عقد الصلح مع أعداء الماضي وإنشاء صداقات معهم. فهذا يسلبهم قوتهم".

"لــست أكــيدة من أن أي شيء يستطيع سلب قوة هذا الرجل"، قالت ســتيفي بعقلانية. "يأتي إلى هنا مثل الموجة الكبيرة، ويقفز الجميع عشرة أقدام حين يرونه".

"كــان رجلاً مهماً جداً، ولا يزال كذلك. اتصل بوزير الداخلية بشأن قضيتي. لهذا السبب، يوجد الحارسان على الباب".

"لا أهــتم لــذلك. أريد فقط ألا يزعجك"، قالت ستيفي بنبرة واقية. لا تــريد أي شيء يؤذي كارول مجدداً. لقد عانت الكثير حتى الآن. وتعافيها صعب كفاية. ليست بحاجة إلى مواجهة المشاكل العاطفية أيضاً، خصوصاً مع ماتيو. لقد نال فرصته، وألقاها أرضاً، حسبما تعرف ستيفي.

"لا يزعجني. الأشياء التي أتذكرها عنه تزعجني أحياناً، لكنه لطيف جــداً. طلــب إذني لزيارتي مجدداً". أثّر ذلك فيها. لم يفرض نفسه، وإنما سأل.

"وهــل أعطيته الإذن؟"، سألت ستيفي باهتمام. ما زالت لا تثق بهذا الــرجل. يملــك عينين مخيفتين. لكن ليس بالنسبة إلى كارول. إنها تعرفه أكثر من ذلك، أو كانت تعرفه ذات مرة.

"نعــم. أظــن أنه يمكننا أن نكون صديقين الآن. يمكننا التجربة. إنه شخص ممتع جداً".

"وهكــذا كان هيتلر... وستالين... لا أعرف لماذا، لكن لديّ الشعور بأن هذا الرجل لا يتوقف أمام أي شيء لينال ما يريده".

"هكــذا كان الأمر من قبل. لكن المسألة مختلفة الآن. نحن مختلفان. لقد كبر في السن. وانتهت العلاقة". بدت كارول واثقة من ذلك، لكن ستيفي لم تكن واثقة.

"لا تراهني على ذلك. نادراً ما يموت الحب القديم". لكن حبهما مات مــن دون شــك. لقد فكرت فيه طوال سنوات، وأحبته لوقت طويل. منعها

ذلك من الوقوع في غرام أي شخص حتى شون. لكن كارول لم تقل أي شيء وأومأت فقط برأسها.

استلقت ستيفي بطريقة مريحة على السرير النقال الذي أحضروه، وارتدت ثياب النوم في وقت متأخر من المساء وقالت إنهما ستقضيان الوقت بالنوم. شعرت كارول بالذنب لأن مساعدتها بقيت معها بدلاً من البقاء في الريتز. لكن بعد حادثة الشاب الحامل للسكين، لم تعد ستيفي تشعر بالارتياح بالابتعاد عن كارول. لقد وعدت جايسون أيضاً بأن تبقيا على اتصال وثيق. اتصل بها عشر مرات، مرتعداً من الهجوم الذي تعرضت له. كما اتصل ولدا كارول أيضاً. لقد وضعوا حارسين مسلحين على باب الغرفة، وجاءت سيتفي لتحميها في الداخل. تأثرت كارول لأن ستيفي تهتم كثيراً لأمرها. ضحكتا وثرثرتا مثل طفلتين صغيرتين حتى وقت متأخر من الليل، فيما وقفت الممرضة في الخارج تتحدث إلى الحارسين.

"هذا ممتع"، قالت كارول في مرحلة ما وهي تضحك. "شكراً لأنك بقيت معي".

"شعرت بالوحدة في الفندق أيضاً"، اعترفت ستيفي. "بدأت أشتاق فعلاً إلى ألان". مضى على غيابها أسابيع عدة، حتى خلال مناسبة الشكر. "إنه يتصل كثيراً. بدأ يبدو فعلياً كرجل ناضج، وهذا خبر جيد فعلاً لأنه بلغ الأربعين الشهر الماضي. لا شك في أنه تأخر في النضوج". لم يتزوج أي منهما من قبل، وبدأ يتحدث كثيراً عن الموضوع في الآونة الأخيرة، وعن مشاريع طويلة الأمد لمستقبلهما. "دعاني لتناول عشاء ذكرى الميلاد في منزل أهله". حتى الآن، أمضينا دوماً عطلات الأعياد على نحو منفصل. قضاء العطلات معاً يبدو أشبه بالتزام، لكلينا معاً. أظن أن هذا تقدم، لكن نحو ماذا؟ أحب ما نحن عليه الآن". حديثه عن مشاريع طويلة الأمد جعلها عصبية.

"ماذا ستفعلين إذا تزوجت؟"، سألت كارول بحذر، من سريرها، مع مصباح ليلي قربها. كانت الغرفة مظلمة تقريباً، مما يوحي باعترافات

وأسئلة لم تكونا لتجرؤان على طرحها لبعضهما لولا ذلك، على الرغم من أنهما صريحتان دوماً مع بعضهما. لكن بعض الموضوعات محظرة، حتى بينهما. هذا سؤال لم تطرحه عليها كارول من قبل، وقد ترددت حتى الآن في طرحه.

"أقتل نفسي"، قالت ستيفي ببساطة، ثم ضحكت. "لماذا؟ لا أعرف... لا شيء... أكره التغيير. شقتنا مريحة. يكره أثاثي، لكنني لا أبالي. قد أعيد ربما طلاء غرفة الجلوس، وأشتري كلباً آخر". لم ترَ ستيفي أي سبب يدفعها إلى التغيير، لكن هذا قد يحصل. الزواج يمنح ألان سيطرة أكبر على حياتها، ولهذا السبب لا تريد الزواج به. تحب حياتها مثلما هي الآن.

"أقصد بشأن مهنتك".

"مهنتي؟ وما علاقة الزواج بذلك، إلا إذا تزوجتك أنت؟ أظن أنني أنتقل حينها للعيش عندك". ضحكت كلاهما على هذا.

"تعملين لساعات طويلة، وتسافرين معي. نغيب لوقت طويل. وفي أي وقت أنفجر في نفق، وتعلقين أنت في باريس لوقت طويل جداً"، شرحت كارول مع ابتسامة.

"أوه هذا. اللعنة، لا أعرف. لم أفكر أبداً في هذا. أظن أنني أتخلى عن ألان قبل أن أتخلى عن مهنتي. في الواقع، أعرف ذلك. إذا كان عملي معك مشكلة بالنسبة إليه، يستطيع الذهاب بعيداً، إلى الجحيم. لن أتخلى عن هذه المهنة. أبداً. عليك قتلي أولاً". ارتاحت كارول لسماع ذلك، على الرغم من أن الأمور تتغير أحياناً على نحو غير متوقع. إنها قلقة بشأن ذلك. وتريد أن تعيش ستيفي حياة جيدة، وليس مجرد مهنة.

"وما رأي ألان في ذلك؟ ألا يشكو أبداً؟".

"ليس تماماً. ينتحب أحياناً، إذا غبت لوقت طويل، ويقول إنه يشتاق إليّ. أتصور أن هذا جيد له، إلا إذا عثر على شريكة أخرى. لكنه كثير التنقل هو أيضاً ومشغول دوماً. إنه يسافر في الواقع أكثر مني، على الرغم من أنه لا يسافر لأمكنة بعيدة". معظم رحلاته كانت إلى كاليفورنيا، فيما

رحلاتهــا هــي مع كارول كانت إلى الخارج. وبقدر ما أعلم، لم يخدعني أبــداً. أظن أنه كان أكثر تهوراً حين كان أصغر سناً. أنا أول امرأة عاش معهــا. تــسير الأمور على ما يرام حتى الآن. وثمة أمر آخر، لمَ إصلاح الشيء غير المكسور؟".

"هل طلبك للزواج، ستيفي؟".

"لا، الحمد لله، لكنني أخشى أن يفعل. لم يتحدث من قبل عن الزواج أبداً. لكنه بات يتطرق إلى الموضوع الآن. كثيراً في الآونة الأخيرة. يقول إنــــه يظن أنه يجدر بنا الزواج. لكنه لم يطلب يدي أبداً. سأنزعج كثيراً إذا فعــل. أظن أنه يعتقد أنها نوع من أزمة منتصف العمر، وهذا أمر محبط أيضاً. أكره التفكير في أننا تقدمنا في السن".

"لست كذلك. من الجميل أنه يشعر بالمسؤولية تجاهك. سأنزعج لو لم يفعــل. هــل ســتذهبين إلى منزل أهله في ذكرى الميلاد؟". كانت كارول فضولية، وتأوهت ستيفي عبر الغرفة.

"أعــتقد ذلــك. أمه مزعجة فعلاً. ترى أنني طويلة جداً وكبيرة جداً علــيه. جميل. لكن والده ظريف. وأحب أخته أيضاً. إنهما ذكيتان، مثله". بــدا كل شيء سليماً بالنسبة إلى كارول وذكّرها بضرورة الاتصال بكلويه في اليوم التالي. أرادت دعوتها للمجيء إلى لوس أنجلوس لبضعة أيام قبل الآخــرين، بحــيث تقضيان بعض الوقت لوحدهما. رأت أن الأمر سيكون جيداً لهما معاً.

استلقت في الظلام لبضعة دقائق، وهي تفكر في ما قاله ماتيو عنها، وكم كانت كلويه صعبة ومتطلبة حتى في صغرها. أراح ذلك كارول قليلاً، لكنها لا تزال تريد التعويض عما تشعر كلويه أنها حرمت منه. لا تملك أي منهما شيئاً لتخسره، ولديهما كل شيء للربح.

كانت نائمة تقريباً حين تحدثت إليها ستيفي مجدداً. إنه واحد من تلك الأســئلة التــي يسهل طرحها في الظلمة. لا تستطيعان رؤية بعضهما من سريريهما. الأمر أشبه بالاعتراف. لكن السؤال فاجأ كارول.

"هــل مــا زلت تحبين ماتيو؟". تساءلت ستيفي عن الموضوع طوال أيام، وكانت قلقة بشأنه. أخذت كارول وقتاً طويلاً للإجابة، وهي تفكر في المسألة، ثم قالت ما هو أقرب إلى الحقيقة.

"لا أعرف".

"هــل تظنــين أنك قد تنتقلين للعيش هنا مجدداً؟". كانت ستيفي قلقة بــشأن مهنــتها، تماماً مثلما كانت كارول قلقة بشأن خسارتها. هذه المرة أجابت كارول بسرعة، من دون تردد في صوتها.

"لا. ليس بسبب رجل على أي حال. أحب حياتي في لوس أنجلوس". حتــى بعــد ذهــاب أنطونــي وكلــويه، لا تزال تحب المنزل، والمدينة، وأصدقاءها والطقس. فصول الشتاء الرمادية في باريس لم تعد تروق لها، مهمــا كانت المدينة جميلة. لقد عاشت هنا، وفعلت هذا، قبل سنوات عدة. ليس لديها رغبة بالانتقال. "لن أذهب إلى أي مكان"، طمأنت مساعدتها.

نامــتا بعــد فتــرة وجيــزة، بعد أن ارتاحتا لعدم تغير أي شيء في حياتهما. المستقبل مضمون، مثلما كان دوماً.

حــين اســتيقظت كــارول في صباح اليوم التالي، كانت ستيفي قد اســتيقظت، وارتــدت ثيابها، ورتبت سريرها. دخلت ممرضة إلى الغرفة وهي تحمل صينية فطور كارول، ولحقت بها طبيبة الأعصاب على الفور.

جــاءت الطبيبة للوقوف قرب سرير كارول، مع ابتسامة دافئة. إنها المريــضة النجمة عندهم وقد تعافت حتى الآن بطريقة فاقت كل التوقعات. قالــت هذا لكارول، فيما وقفت ستيفي في الجوار مثل الأم الفخورة. لديهما الكثير لحمد الله عليه.

"لا تزال هناك العديد من الأمور التي لا أستطيع تذكرها. رقم هاتفي. عنوانــي. شكل منزلي من الخارج. أعرف شكل غرفتي، والحديقة، وحتى مكتبــي. لا أستطيع تصور بقية منزلي. لا أستطيع تذكر وجه الخادمة أو اســمها. لا أتذكــر نمــو ولديّ... أستطيع سماع صوت والدي، لكنني لا أســتطيع رؤيته في عقلي... لا أعرف من هم أصدقائي، وبالكاد أتذكر أي

شـيء عـن زواجـيّ، خصوصاً زواجي الأخير". إنه ابتهال لامتناهٍ فيما ابتسمت طبيبتها.

"آخر أمر ذكرته قد يكون نعمة. أذكر الكثير من الأمور عن زواجيّ. آه، لـو أسـتطيع نسيانهما"، قالت الطبيبة فيما ضحكت النساء الثلاث، ثم عادت الأجواء جدية مجدداً. "عليك التحلي بالصبر، كارول. يستغرق الأمر أشـهراً، وربما سنةً كاملة، أو حتى سنتين. بعض الأمور قد لا تعود أبداً، أمـور صـغيرة ربمـا. يمكـنك فعـل أشياء لتحفيز نفسك، مثل الصور الفوتوغـرافية، والرسـائل، والاعـتماد على الأصدقاء لإخبارك بالأمور. سـيعطيك ولـداك معلومات. تلقى دماغك صدمة هائلة، وهو يؤدي الآن وظيفـته مجدداً. امنحيه بعض الوقت للتعافي. الأمر أشبه بفيلم يتعطل في سينما. يحتاج إلى بعض الوقت ليعود إلى السكة مجدداً ويتابع العرض كما يجـب. قـد يتعثر لفترة، وتكون الصورة مرتجّة، والصوت سريعاً جداً أو بطيـئاً جداً، ثم يعمل الفيلم كما يجب. عليك أن تكوني صبورة خلال هذه العملـية. ضرب القدمين بالأرض أو إلقاء البوشار على شاشة العرض لن يجعـل الفـيلم يعمل بصورة أفضل. وكلما قلّ صبرك، بات الأمر أصعب عليك".

"هـل سـأتذكر كـيف أقود السيارة؟". لقد تحسنت مهاراتها الحركية وتنسيقها لكنها لم تصل إلى الكمال بعد. يقسو المعالجون الفيزيائيون عليها، وحققـوا نـتائج جيدة. توازنها أصبح أفضل، لكن الغرفة تدور حولها بين الحين والآخر، أو تشعر بضعف في قدميها.

"لـيس في البداية ربما. قد تعود ذاكرتك. في كلا الحالتين، عليك أن تتذكـري مـا كنت تعرفينه سابقاً عن ظهر قلب. غسالة الصحون، غسالة الثياب، سيارتك، جهاز الكمبيوتر. كل شيء تعلمته من قبل يجب إدخاله في كمبيوتـر رأسـك مجـدداً، أو سحبه مجدداً إذا تم حفظه. أظن أن معظم المعلومات محفوظة في رأسك. وبعد سنة من الآن، لن يبقى لديك أي دليل على الحادث. أو حتى خلال ستة أشهر. أو قد يكون هناك دوماً أمر صغير

بات أصعب عليك الآن. أنت بحاجة إلى معالج فيزيائي في لوس أنجلوس، يكـون خبيراً في صدمة دماغك. سأقترح عليك معالج نطق، لكنني لا أظن أن هذا الأمر لا يزال مشكلة بالنسبة إليك". بعد صعوبتها الأولى في العثور على الكلمات، بدت أنها تملك نفاذاً كاملاً إلى مجموع مفرداتها، وقد فعلت ذلك قبل فترة. "لديّ اسم طبيب أعصاب ممتاز في لوس أنجلوس، يستطيع مـتابعة حالـتك. سنرسل له كل سجلاتك بعد وصولك إلى لوس أنجلوس. أقتـرح أن تـزوريه مرة كل أسبوعين في البداية، لكن يعود له أن يقرر. لاحقـاً، يمكـنك رؤيته مرة كل بضعة أشهر، إذا لم تواجهي أي مشاكل. أريدك أن تنتبهي إلى نوبات الصداع وتخبرين الطبيب عنها على الفور. لا تنتظري موعد الزيارة التالية. وأي مشاكل في التوازن. قد تبقى هذه مشكلة لـبعض الـوقت. سنجري بعض الصور اليوم، لكنني مسرورة كثيراً من تقدمك. أنت طفلتنا الأعجوبة في لابيتييه".

الآخـرون الـذين نجوا من التفجير لم يتحسنوا كثيراً، والعديد منهم ماتوا، حتى بعد الأيام القليلة الأولى، معظمهم بسبب الحروق. شفيت ذراعا كـارول جيداً، وكان الحرق في وجهها سطحياً، وباتت معتادة على الندبة. تأثـرت الطبيبة بعدم غرورها. إنها امرأة حساسة. كانت كارول قلقة بشأن دماغهـا أكثر من وجهها. لم تقرر بعد ما إذا كانت ستخضع لعملية تجميل للتخلص من الندبة، أو تعيش معها لفترة ثم تقرر لاحقاً ماذا ستفعل بشأنها. إنهـا قلقـة بشأن التأثير المحتمل للتخدير في دماغها، وكذلك هم الأطباء. تستطيع الندبة الانتظار.

"مـا زلـت أريـد ألا تسافري قبل أسابيع قليلة. أعرف أنك تريدين التواجد في المنزل قبل عطلة الأعياد، لكن إذا استطعت الانتظار حتى اليوم العـشرين أو الحادي والعشرين، أكون مسرورة جداً. على افتراض أنك لم تواجهي أي مضاعفات حتى ذلك الحين. يمكن لذلك أن يغير الخطط كثيراً. لكـن بحـسب مـا هي الأمور عليه الآن، أظن أنك ستعودين إلى المنزل لقـضاء ذكرى الميلاد". تلألأت الدموع في عينيّ كارول فيما أصغت إلى

الطبية، وكذلك فعلت ستيفي. بدا لوهلة كأنها لن تعود أبداً إلى المنزل مجدداً، أو لن تتعرف إليه إذا عادت. ستكون ذكرى الميلاد رائعةً هذه السنة، مع والديها تحت السقف نفسه، وجايسون أيضاً. لم يمضِ عطلات الأعياد معهم منذ سنوات عدة. كان الولدان متحمسين كثيراً لقدومه، وكذلك هي.

"متى أستطيع العودة إلى الفندق؟"، سألت كارول. تشعر بالأمان والارتياح في غرفة المستشفى، وتخاف قليلاً من المغادرة، لكنها أحبت فكرة قضاء أيامها الأخيرة في باريس في فندق الريتز. وقد وافقوا أصلاً على إرسال ممرضة معها.

"دعينا نرى كيف هي حال صورك اليوم. يمكنك العودة ربما إلى الفندق غداً أو بعد غد". ابتسمت كارول ابتسامة عريضة، على الرغم من أنها ستشتاق إلى الشعور بالأمان الذي استمدته من وجودها هنا، مع رعاية طبية قربها. سيذهب معها الحارسان إلى فندق الريتز، وقد تم ترتيب ذلك، وسيتم تشديد حراسة الفندق بعد عودتها إليه. إنهم يخططون لذلك. "ما رأيك في أن أرسل معك طبيباً على متن الطائرة إلى لوس أنجلوس؟ أظن أنها فكرة جيدة، ومطمئنة لك. فالضغط الجوي قد يحدث بعض التغيرات التي تزعجك، على الرغم من أنني لا أعتقد أنك ستواجهين مشكلة من هذا النوع. إنه مجرد تدبير وقائي، وعنصر مريح لك". أحبت كل من كارول وستيفي الفكرة. لم تذكر ستيفي الأمر، لكنها كانت قلقة بشأن الرحلة، والضغط الجوي، مثلما قالت الطبيبة.

"سيكون ذلك رائعاً"، قالت كارول بسرعة، فيما أومأت ستيفي برأسها دليل الموافقة.

"لديّ جراح أعصاب شاب لديه شقيقة في لوس أنجلوس، ويتوق للسفر وقضاء عطلة الأعياد معها. سأخبره بالأمر. سيكون متحمساً".

"أنا أيضاً"، قالت ستيفي بارتياح. كانت خائفة جداً من مسؤولية تواجدها لوحدها مع كارول على متن الطائرة، في حال حصل خطب ما

عند وجودهما في الهواء. إنها رحلة من إحدى عشرة ساعة، وهذا وقت طويل للقلق بشأنها، من دون وجود نصيحة أو دعم طبي بعد كل ما مرّت به. تحدثوا عن استئجار طائرة خاصة، لكن كارول أرادت السفر بطائرة عادية. بدت لها الطائرة الخاصة كلفة غير ضرورية، وهي قادرة على التحرك على أي حال، وإنما فقط ضعيفة. تريد العودة إلى المنزل مثلما جاءت، على متن إير فرانس، مع ستيفي قربها، والآن الطبيب الشاب الذي تعيش أخته في لوس أنجلوس. شعرت ستيفي بتحسن كبير بشأن الرحلة. يمكنها حتى النوم في الطائرة، مع وجود طبيب معهما، أو بالأحرى جراح أعصاب.

"أظن أن كل شيء مرتب"، قالت الطبيبة وهي تبتسم مجدداً. "سأطلعك على نتائج التحاليل لاحقاً. أظن أنه يمكنك البدء بتوضيب أغراضك سريعاً. ستشربين الشراب في الريتز خلال وقت قصير جداً". إنها تمزح لأنهم يعرفون جميعاً أنه لا يجدر بكارول تناول الشراب لبعض الوقت. نادراً ما تشرب هي على أي حال، ولذلك لم تهتم للمسألة.

نهضت من السرير واستحمت بعدما غادرت الطبيبة. ساعدتها ستيفي على غسل شعرها ونظرت كارول هذه المرة مطوّلاً في المرآة لمراقبة الندبة في وجنتها.

"عليّ القول إنها ليست جميلة جداً"، قالت وهي تعبس لها.

"تبدو مثل ندبة شجار"، قالت ستيفي بمرح. "أراهن أنك تستطيعين تغطيتها بالماكياج".

"ربما. ربما هي شارة شرفي. على الأقل، لم يصب عقلي بأذى". قالت كارول وهي تبتعد عن المرآة ثم هزّت كتفيها وجففت شعرها بمنشفة. ذكرت أمام ستيفي مجدداً أنها خائفة قليلاً من ترك المستشفى. الأمر أشبه بترك الرحم. إنها مسرورة لأنها ستصطحب معها ممرضة إلى الفندق.

اتصلت بكلويه في لندن بعد أن جف شعرها، وأخبرتها أنها ستعود إلى الفندق سريعاً، وأنها في طريقها إلى لوس أنجلوس قبل ذكرى الميلاد.

افترضت، مثلهم جميعاً، أن صور دماغها ستكون جيدة، أو على الأقل ليس أسوأ مما كانت عليه سابقاً. ما من شيء يوحي بالعكس.

"تساءلت ما إذا كنت تودين القدوم قبل أيام قليلة"، عرضت كارول على ابنتها، "قبل الآخرين. ربما بعد يوم واحد من وصولي إلى المنزل. يمكنك مساعدتي في التحضير لذكرى الميلاد. يمكننا التسوق قليلاً مع بعضنا. لا أظن أنني اشتريت أي شيء قبل أن أغادر لوس أنجلوس. أرى أنه من الجميل لنا أن نقضي بعض الوقت معاً، ونستطيع ربما التخطيط للقيام برحلة معاً في الربيع، إلى مكان تحبين الذهاب إليه فعلاً". فكّرت كارول في الأمر طوال أيام عدة، وأحبت الفكرة بنفسها.

"نحن فقط؟". بدت كلويه مذهولة.

"نحن فقط". ابتسمت كارول فيما أمسكت بالهاتف، ونظرت إلى عينيّ ستيفي التي رفعت لها إبهامها. "أظن أنه علينا التعويض عن بعض الوقت بين الأم وابنتها. أنا جاهزة إذا كنت أنت جاهزة".

"واو، ماما... لم أظن أبداً أنك ستفعلين هذا". بدت كلويه متعجبة.

"أحب ذلك. سيكون هذا رائعاً لي، إذا استطعت إيجاد الوقت". تذكرت ما قاله ماتيو، كيف كانت كلويه متطلبة في صغرها. لكن حتى لو كانت كذلك، ولو كان هذا ما أرادته، لمَ لا تعطيه لها؟ احتياجات الأشخاص مختلفة، واحتياجات كلويه ربما أكبر من احتياجات أي شخص آخر، لسبب ما، سواء أكانت هذه غلطة أمها أم لا. تملك كارول الوقت. لمَ لا تستفيد منه لمنح السعادة لابنتها؟ ألا توجد الأمهات لهذا السبب؟ إذا كان أنطوني أكثر استقلالية ومكتفياً ذاتياً، لا يجعل ذلك احتياجات كلويه غير صحيحة. تريد مشاركة الهدية التي منحت لها، حياتها. إنهما ولداها في النهاية، حتى لو أصبحا كبيرين ولهما حياتهما. مهما تطلبا منها الآن، ستحاول منحهما إياه، ليس فقط تكريماً للماضي وإنما أيضاً للحاضر والمستقبل. يوماً ما، ستكون لهما حياتهما وعائلتاهما. الوقت مناسب الآن لقضاء لحظات خاصة معهما، قبل أن يفوت الأوان. إنها الساعة الحادية عشرة بالنسبة إليها، وبدأت تئنّ تحت الضغط. "لمَ لا تفكرين في المكان الذي تودين الذهاب إليه؟ هذا الربيع ربما. أي مكان في العالم". إنه عرض مذهل، وكما هي الحال دوماً، تأثرت ستيفي بمديرتها وصديقتها. تخرج دوماً سالمة من المحن. إنها امرأة مذهلة، ومن الرائع التعرف إليها وحبها.

"ماذا عن تاهيتي؟"، قالت كلويه دفعة واحدة. "أستطيع أخذ إجازتي في شهر مارس".

"يبدو هذا رائعاً لي. لا أظن أنني ذهبت إلى هناك من قبل. على الأقل، لا أظن ذلك. وإذا كنت ذهبت، فإنني لا أتذكر شيئاً وسيكون الأمر جديداً عليّ". ضحكت كلاهما على ما قالته. "سنتدبر الأمر. على أي حال، أتمنى أن أعود إلى لوس أنجلوس في الحادي والعشرين من الشهر. يمكنك الوصول ربما في الثاني والعشرين. لن يصل الآخرون قبل عشية ذكرى الميلاد. ليس هذا وقتاً كثيراً، لكنها بداية. سأبقى في باريس حتى ذلك الوقت". لكنها عرفت أنه يتوجب على كلويه إنهاء عملها في مجلة فوغ البريطانية، والعمل حتى في عطلات نهاية الأسبوع، للتعويض عن الوقت الذي كانت فيه بعيدة، ولذلك لم تتوقع كارول أن تراها قبل ذكرى الميلاد في لوس أنجلوس. ليست في حال جيدة كفاية للسفر إلى لندن لرؤيتها. تريد الاستراحة حتى موعد رحلتها إلى لوس أنجلوس، خصوصاً وأن هذه الرحلة هي نوع من التحدي. لكنها باتت أقل تحدياً الآن مع سفر جراح أعصاب معهما.

"سآتي في الثاني والعشرين ماما، وشكراً لك"، قالت كلويه. شعرت كارول أن العبارة نابعة من القلب. كلويه قدّرت على الأقل الجهد الذي تبذله أمها. لقد بذلت هذا الجهد على الدوام ربما، قالت كارول لنفسها، ولم تلاحظه ابنتها ربما أبداً من قبل، أو أنها لم تكن كبيرة كفاية لفهمه والامتنان له. إنهما تبذلان الآن معاً جهوداً، وهما تدركان تماماً ضرورة التحلي باللطافة مع بعضهما. هذه بحد ذاتها هدية كبيرة، لكليهما.

"سأعلمك متى أعود إلى الفندق. غداً أو بعد غد. سأتصل بك"، قالت كارول بهدوء.

"شكراً ماما"، قالت كلويه بنبرة حنونة، وأغلقت كلاهما السماعة بعدما قالتا كلمات الحب لبعضهما.

الاتصال التالي الذي أجرته كارول كان بأنطوني في نيويورك. كان في المكتب وبدا مشغولاً، لكنه سُرّ لسماع صوتها. أخبرته بشأن العودة إلى الفندق، وكم هي تتطلع بشوق إلى رؤيته في ذكرى الميلاد. بدا بمعنويات جيدة، على الرغم من أنه حذّرها من عقد صداقة مع ماتيو مجدداً. إنه موضوع يتكرر في كل اتصال.

"أنا لا أثق به أمي. الأشخاص لا يتغيرون. أذكر كم جعلك يائسة من قبل. كل ما أذكره عن أيامنا الأخيرة في باريس هو أنك كنت تبكين طوال الوقت. لا أذكر حتى سبب ذلك. أعرف فقط كم كنت حزينة. لا أريد أن يحدث لك ذلك مجدداً. لقد عشت ما يكفي من أوقات صعبة. أفضل أن تعودي إلى بابا". إنها المرة الأولى التي قال فيها هذا لها، وأدهشها الأمر. لا تريد تخييب أمله، ولا تريد إيذاء جايسون، لكنها لن تعود إليه.

"لن يحصل ذلك"، قالت بهدوء. "أظن أننا صديقان".

"حسناً، ماتيو ليس صديقاً"، قال لها ابنها بغضب. "كان حقيراً جداً معك حين عشت معه. كان متزوجاً، أليس كذلك؟". أصبحت ذكرياته مشوشة الآن، وبقي فقط الانطباع السلبي، وكان في غاية السلبية. كان ليفعل أي شيء لحماية أمه من ذلك الحزن مجدداً. حتى ذكرى ذلك تؤلمه الآن. كانت تستحق أفضل من ذلك، من أي رجل.

"نعم، كان متزوجاً"، قالت بهدوء. لم تشأ أن تكون في وضعية الدفاع عنه.

"ظننت ذلك. لماذا عاش معنا إذاً؟". كان موجوداً معهم معظم الوقت.

"يجري الأشخاص مثل هذه الترتيبات في فرنسا. يملك الرجال عشيقات وزوجات على حدٍّ سواء. ليس هذا وضعاً رائعاً لأي كان، لكن

يبدو أنهم يقبلون به هنا. كان يصعب كثيراً الحصول على الطلاق في تلك الأيام. لذا، عاش الناس بهذه الطريقة. أردته أن يطلق، لكن ابنته ماتت وهددته زوجته بالانتحار. كان في منصب رفيع جداً في الحكومة لإنهاء زواجه من دون إحداث فضيحة كبيرة في الصحافة. بدا الأمر مجنوناً، لكن ما فعلناه كان أقل وطأة. قال إنه سيطلق وسنتزوج. أعتقد أنه وثق فعلاً في أننا سنفعل ذلك، لكن الوقت لم يكن مناسباً أبداً له. لذا، تركنا بعضنا"، قالت مع تنهيدة. "لم أشأ الرحيل، لكنني لم أشأ أن نعيش جميعاً بهذه الطريقة إلى الأبد. لم يكن الأمر محقاً. لكما أو لي. أنا أميركية جداً لأفعل ذلك. لم أشأ أن أصبح عشيقة دائمة وأعيش حياة سرية".

"ماذا حصل لزوجته؟"، سأل أنطوني وهو يبدو متجهماً.

"ماتت. في السنة الماضية على ما يبدو".

"سأكون منزعجاً جداً إذا تورطت في علاقة معه مجدداً. سيؤذيك. فعل ذلك من قبل". بدا أشبه بوالد وليس بابن.

"لست في علاقة معه"، قالت وهي تحاول طمأنته وتهدئته.

"هل هذا احتمال؟ كوني صريحة ماما". أحبت لفظة "ماما". لا تزال الكلمة جديدة عليها، ومليئة بالحب. كلما يلفظها أحد ولديها، تشعر بالحماسة.

"لا أعرف. لا أظن أن هذا سيحصل. حصل الأمر قبل وقت طويل".

"لا يزال يحبك. لاحظت ذلك ما إن دخل الغرفة".

"إذا كان هذا صحيحاً، يكون يحب ذكرى من كنت أنا حينها. لقد كبرنا جميعاً في السن". بدت متعبة حين قالت ذلك. لقد حصل الكثير لها منذ وصولها إلى فرنسا. عليها التعافي من أشياء كثيرة، وإعادة التعلم والاستيعاب. من المتعب التفكير في ذلك.

"لست كبيرة في السن. لا أريد فقط أن تتعرضي للأذى".

"ولا أنا. لا أستطيع حتى التفكير في شيء مثل هذا في الوقت الحاضر". ارتاح لما قالته.

"جيد. ستعودين إلى المنزل قريباً. لا تدعيه يبدأ شيئاً قبل أن تغادري".

"لن أفعل، لكن عليك الوثوق بي في هذا"، قالت وهي تشعر كأنها لم حين قالت ذلك. مهما أحبها ابنها، لديها الحق في اتخاذ قراراتها وعيش حياتها. أرادت تذكيره بذلك.

"أنا لا أثق به".

"لا فائدة من الشك في الوقت الحاضر؟ ليس رجلاً سيئاً، وكان وضعه فوضوياً، ونتيجة ذلك هكذا كان وضعي أنا أيضاً. كنت غبية للتورط في العلاقة، لكنني كنت صغيرة، بالكاد أكبر منك أنت الآن. كان يجدر بي إدراك ما سيحصل. إنه فرنسي. في تلك الأيام، لم يكن الرجال الفرنسيون يطلّقون زوجاتهم. لست أكيدة من أنهم يفعلون ذلك الآن. فوجود عشيقة هو تقليد وطني هنا". ابتسمت، وهزّ أنطوني رأسه من جهته.

"إذا سألتني عن رأيي، هذا مقرف".

"نعم، صحيح"، اعترفت له. تتذكر ذلك بوضوح الآن.

غيّرا الموضوع حينها، وأخبرها أن الثلج يتساقط في نيويورك. وحين قال ذلك، تراءت صورة الثلج أمام عينيها وتذكرت فجأة كيف أخذتهما للتزلج في مركز روكفلر حين كانا صغيرين، فيما كانت شجرة الميلاد عالية، وكان الثلج يتساقط. حصل ذلك مباشرة قبل قدومهم إلى باريس، وكان كل شيء جيداً في عالمهم. جاء جايسون لاصطحابهم وأخذهم جميعاً لتناول الآيس كريم. تتذكر هذه الأيام على أنها أسعد أيام في حياتها. بدا كل شيء مثالياً حينها، حتى لو لم يكن كذلك فعلاً.

"ارتد ملابس دافئة"، قالت له كارول، وضحك هو.

"سأفعل، ماما. اعتني بنفسك أنت أيضاً. لا تفعلي أي حماقة حين تعودين إلى الريتز، مثل الذهاب للرقص". أصابت نقطة فارغة، ولم تعرف إذا كان يقصد فعلاً ما قاله.

"هل أحب الرقص؟"، سألت وهي تبدو محتارة.

"مثل المجنونة. أفضل راقصة على الأرض. سأذكرك حين آتي في ذكرى الميلاد. سنضع بعض الموسيقى أو أصطحبك إلى النادي".

"يبدو هذا ممتعاً". إذا لم تفقد توازنها وتقع على الأرض، قالت لنفسها، مستاءة من أنه لا يزال هناك العديد من الأمور التي تجهلها عن نفسها. يوجد على الأقل شخص ما ليذكّرها.

تحدثا لبضع دقائق إضافية ثم أقفلا الخط بعدما قالت له إنها تحبه أيضاً. ثم اتصل بها جايسون. دخل إلى مكتب ابنه فيما كان أنطوني يقفل السماعة، وقال له إن أمه في حال جيدة. تأثرت كارول باتصال جايسون.

"سمعت أن الثلج يتساقط في نيويورك"، قالت لجايسون.

"بجنون. أربعة إنشات خلال الساعة الأخيرة. قالوا إن علو الثلج سيصل إلى قدمين هذه الليلة. أنت محظوظة لأنك ستعودين إلى لوس أنجلوس وليس إلى هنا. سمعت أن درجة الحرارة هي خمس وسبعين درجة فهرنهايت هناك اليوم. أتوق للذهاب خلال عطلة الميلاد".

"لا أستطيع الانتظار حتى نكون جميعاً مع بعضنا"، قالت مع ابتسامة دافئة تطابقت مع الإحساس في قلبها. "تذكرت للتو حين أخذت الولدين للتزلج في مركز روكفلر ثم أخذتنا أنت لتناول الآيس كريم. كان ذلك جميلاً جداً".

"تتذكرين الآن أشياء لا أذكرها أنا"، قال مع ابتسامة. "كنا نأخذ الولدين للتزحلق في الحديقة العامة. كان هذا ممتعاً أيضاً". واستعراض الأحصنة، وبحيرة المراكب الشراعية. وحديقة الحيوانات. هناك الكثير من الأمور التي فعلوها معاً، والتي فعلتها هي مع ولديها بين تصوير الأفلام. كان ماتيو محقاً ربما في أنها لم تكن أماً مهملة مثلما خشيت هي. جعلت كلويه الأمر يبدو وكأنها لم تكن موجودة أبداً. "متى ستخرجين من المستشفى؟"، سأل جايسون.

"غداً، بحسب ما أتمنى. أنتظر سماع الجواب اليوم". ثم أخبرته أن طبيباً سيسافر معها إلى لوس أنجلوس، وبدا مرتاحاً لذلك.

"هذا جيد. لا ترتكبي أي حماقة قبل أن تغادري. هوّني الأمور عليك وتناولي الكثير من الحلويات في الفندق".

"قالت الطبيبة إنه يجدر بي المشي. سأتسوّق ربما لذكرى الميلاد".

"لا تقلقي بشأن ذلك. نملك جميعاً هدية الميلاد الوحيدة التي أردناها. أنت". من الجميل قول ذلك، وتأثرت به مجدداً. لكن مهما بحثت في قاعدة ذكرياتها، لم تستطع التوصل إلى أي مشاعر رومنسية معه، لكنها أحبته مثل أخ. إنه أب ولديها، رجل أحبته وتزوجته طوال عشر سنوات، وسيبقى إلى الأبد محاكاً داخل نسيج قلبها، وإنما بطريقة مختلفة عما كان سابقاً. لقد تبدلت علاقتهما وارتباطهما ببعضهما على مرّ السنوات. بالنسبة إليها على أي حال. كان الأمر مختلفاً مع ماتيو. لديها عدد أقل من المشاعر المريحة تجاهه، ويجعلها تشعر أحياناً بالانزعاج. لكن جايسون لم يفعل ذلك أبداً. جايسون كان بقعة دافئة حيث تشعر بالارتياح والأمان. أما ماتيو فكان حديقة غامضة تخشى الذهاب إليها، لكنها لا تزال تتذكر جمالها وأشواكها.

"أراك في لوس أنجلوس"، قال جايسون بمرح، ثم أقفل السماعة. وبعد فترة وجيزة، دخلت الطبيبة مع نتائج صور الأشعة. أظهرت الصور أنها تحسنت.

"أنت في طريقك"، ابتسمت لها الطبيبة. "ستعودين إلى المنزل... أو إلى فندق الريتز في الوقت الحاضر. يمكنك مغادرة المستشفى غداً". إنهم في الواقع حزينون لرحيلها، وإنما سعداء لأجلها. وكذلك هي. كان شهراً مريعاً فعلاً.

وضّبت لها ستيفي الأغراض بعد ظهر ذلك اليوم، وأبلغت أمن الفندق أنهما ستصلان في اليوم التالي. نصحها رئيس جهاز الأمن بأن تدخل عبر باب شارع كامبون، في الجهة الخلفية للفندق. سيفتحون لها الباب. فمعظم أفراد الصحافة والباباراتزي ينتظرون في ساحة الفاندوم. أرادت كارول العودة بأقل جلبة ممكنة، على الرغم من أنها عرفت أنه عاجلاً أم آجلاً سيلتقطون صوراً لها. تريد الاستراحة في الوقت الحاضر. ستكون هذه أول

مرة تخرج فيها من المستشفى منذ شهر، بعدما كانت على شفير الموت. أرادت ستيفي منحها الوقت للوقوف على قدميها قبل أن تهاجمها الصحافة. فخروج كارول باربر من المستشفى في باريس سيكون في الصفحة الأولى للجرائد في كل أنحاء العالم. ما من شيء سهل في النجومية. ولا توجد أي خصوصية بالتأكيد. الجمهور يعتقد أنه يملكها، سواء أكانت حية أم ميتة. ومهمة ستيفي هي حمايتها من العيون. لقد أنقذ الأطباء حياتها. ويعود إلى رجال الشرطة وأمن الفندق إبقاؤها على قيد الحياة. لهذا السبب، رأت ستيفي أن مهمتها هي الأسهل.

اتصل بها ماتيو تلك الليلة لرؤية كيف أصبحت. إنه يمضي الليلة في ليون بسبب عمل في شركة القانون. لديه قضية عالقة هناك.

"سأعود إلى المنزل!"، قالت له بسعادة، وساد الصمت في الطرف الآخر.

"إلى لوس أنجلوس؟"، سأل وهو يبدو خائب الأمل، وضحكت هي.

"لا، إلى الفندق. يريدون أن أبقى هنا لأسبوعين إضافيين قبل أن أسافر، للتأكد من أنني بخير. سيرسلون معي طبيباً في الطائرة، وسآخذ معي ممرضة إلى الفندق. سأكون بخير. سيأتي الطبيب ليفحصني هناك. طالما أنني لا أرتكب أي حماقة أو أي جنون، لن يحاول أحد قتلي مجدداً. سأكون بخير. عليّ المشي قليلاً لإعادة تمرين ساقيّ. أستطيع التمرّن ربما عند بائعي المجوهرات في ساحة الفاندوم". كانت تمزح، لأنها لم تشتر أبداً أي مجوهرات لنفسها، لكنها كانت في معنويات جيدة وارتاح لمعرفة أنها ذاهبة فقط إلى الفندق، في الوقت الحاضر. يريد قضاء بعض الوقت معها قبل أن تغادر. ما زال الوقت باكراً جداً لخساراتها مجدداً.

"يمكننا الذهاب إلى الباغاتيل للمشي"، قال، وحين قال الكلمة تذكرت أنها ذهبت معه إلى هناك من قبل. وحدائق اللوكسمبورغ وغابات بولونيا. هناك العديد من الأماكن التي يمكن الذهاب إليها للمشي في باريس. "سأعود غداً. سأتصل بك. اعتني بنفسك كارول".

"سأفعل. أعدك. من المخيف قليلاً ترك المستشفى. أشعر كأن رأسي مصنوع من الزجاج الآن". ليس تماماً، لكنها مدركة تماماً لهشاشتها وتعرضها للموت مثلما لم تفعل من قبل. لم تشأ مواجهة التحدي مجدداً. الابتعاد عن الأطباء الذين أنقذوا حياتها مخيف فعلاً. ارتاحت لفكرة اصطحاب ممرضة معها إلى الفندق، وحصلت ستيفي على غرفة ملاصقة لجناحها، بحيث تكون نائمة في الجوار إذا واجهت كارول مشكلة، لا يتوقعها أحد. لكنهم قلقون على أي حال، وبدا ماثيو قلقاً أيضاً.

"هل أنت أكيدة من أنه عليك السفر قريباً؟". كان مهتماً كثيراً ببقائها، لكنه قلق فعلاً عليها، حتى كصديق.

"قالوا إنه لا مشكلة في ذلك، إذا لم يحصل شيء غريب في الأسبوعين المقبلين. وأريد أن أكون في المنزل مع ولديّ خلال عطلة الميلاد".

"يمكنهم الاحتفال به معك في الريتز"، قال بأمل.

"ليس الأمر هو نفسه". بالإضافة إلى ذلك، تحمل باريس ذكرى غير جميلة لهم جميعاً. سيمضي وقت قبل أن يشعر ولداها بالارتياح مجدداً في الريتز، من دون التفكير في الأيام العصيبة التي أمضوها هناك وهم ينتظرون ما إذا كانت ستنجو. من الجيد العودة إلى المنزل، خصوصاً لها.

"أفهم. إذا كنت تشعرين أنك قادرة، أودّ زيارتك في الفندق غداً حين أعود".

"سيكون هذا جيداً"، قالت بهدوء. إنها تتطلع لرؤيته، وحتى للمشي معه. بدا هذا غير مؤذٍ البتة، حتى بالنسبة إليها.

"أراك غداً"، قال وهو يفكر فيها فيما أقفل السماعة. إنه يخشى اليوم الذي ستتركه فيه مجدداً، وهذه المرة إلى الأبد ربما.

الفصل الخامس عشر

استعداد كارول لمغادرة المستشفى كان أصعب مما توقعت ستيفي. كانت كارول متعبة حين استيقظت في اليوم التالي، ومتوترة لترك الشرنقة التي وفروها لها. عليها التحول الآن من يسروع إلى فراشة مرة جديدة. ساعدتها ستيفي على غسل شعرها، ووضعت كارول الماكياج للمرة الأولى، وغطت الندبة على وجنتها بطريقة جيدة. ساعدتها ستيفي على ارتداء سروال جينز وكنزة سوداء وسترة منقطة كانت موجودة في الفندق، وخف أسود مسطح. قرطان الماسيان كانا في أذنيها، وشعرها مشدود إلى الخلف في ذيل الحصان الناعم المألوف. بدت مثل كارول باربر مجدداً، وليس مريضة في رداء المستشفى، وحتى بعد المحنة التي مرّت بها، لا يزال جمالها الطبيعي صارخاً. بدت نحيلة جداً وضعيفة قليلاً فيما جلست على الكرسي النقال، وجاء الأطباء والممرضات لوداعها. الممرضة التي ستذهب معهما إلى الريتز وضعت معطفها ودفعت الكرسي النقال إلى الأمام، فيما مشى الحارسان المكلفان بحمايتها على جانبي كارول مع نظرات صارمة، وهما يمسكان بأسلحتهما. كانت ستيفي تحمل حقيبة كارول وحقيبتها هي. بدوا مثل طاقم متعدد العناصر.

شقوا طريقهم إلى المصعد وعبر الردهة فيما أمن المستشفى يحيط بهم، وجاء مدير المستشفى ليصافح يدها ويتمنى لها التوفيق أيضاً. إنه رحيل مؤثر. رافقتها طبيبتها إلى السيارة التي أرسلها فندق الريتز إليها، وهي عبارة عن ليموزين مرسيدس طويلة. اختفى الحارسان والممرضة

وستيفي وكارول بسرعة داخلها. أخفضت النافذة ولوّحت للحشود المجتمعة على الرصيف، فيما حمدت ستيفي الحظ الجيد لعدم وجود مصورين فوتوغرافيين لاعتراض طريقهم. أملت في أن يتمكنوا من دخول الفندق بسهولة، من جهة شارع كامبون، والوصول إلى جناح كارول من دون أي حادث. بدت أصلاً متعبة من صدمة النهوض، وارتداء الملابس، والخروج مجدداً. إنه تغيير كبير بالنسبة إليها.

انزلقت سيارة الليموزين بسهولة في شارع كامبون وتوقفت أمام المدخل الخلفي لفندق الريتز الذي تمّ فتحه خصيصاً لها، ووقفت على ساقين ضعيفتين، ثم نظرت إلى السماء وابتسمت فيما وقف الحارسان قربها بإحكام. مشت نحو مدخل الفندق وفق وتيرتها الخاصة، وهي تبتسم، فيما قفز فجأة أربعة مصورون فوتوغرافيون ووقفوا بين باب الفندق وبينها. ترددت كارول لبرهة ثم تابعت السير وهي تبتسم. لا بد أن أحداً أخبرهم في النهاية. لوّح لهم الحارسان للابتعاد، ووقف مصورو الباباراتزي جانباً، وهما يلتقطان صورة تلو الأخرى، وينادونها باسمها، فيما صرخ لها أحدهم "برافو!" ورمى عليها وردة. التقطتها واستدارت وابتسمت له ثم اختفت بلباقة في الفندق.

كان المدير ينتظرها في الداخل، ورافقها إلى جناحها. مجرد الوصول إلى هنا كان صعباً على كارول أكثر مما توقعت. الحراس يملأون القاعات، وبدت مرهقة جداً لحظة وصلت إلى جناحها، لكنها شكرت المدير على باقة الورود العملاقة التي وصل طولها إلى أربعة أقدام على الطاولة، للترحيب بعودتها إلى الريتز. غادر الغرفة بعد دقائق قليلة، وتمركز الحارسان في الخارج فيما احتشد رجال أمن الفندق حولهما. وضعت ستيفي حقيبة كارول أرضاً ووجهت إليها نظرة صارمة.

"اجلسي. تبدين مرهقة". كانت قلقة بشأن صديقتها. فوجه كارول كان بلون الثلج.

"أنا كذلك"، اعترفت كارول وهي ترمي نفسها على كرسي وتشعر أن عمرها مئة سنة، فيما ساعدتها الممرضة على خلع معطفها ثم خلعت معطفها هي ووضعته جانباً. "لا أستطيع التصديق كم أنا متعبة. كل ما فعلته هو الخروج من السرير والركوب في السيارة للوصول إلى هنا. أشعر وكأن باصاً صدمني"، شكت لستيفي وهي تبدو مرهقة.

"هذا ما حصل، قبل شهر. استريحي". لا تزال ستيفي منزعجة من فكرة إخبار أحدهم الصحافة بأن كارول ستصل إلى الفندق. كان الأمر حتمياً، لكنهم سيحاصرونها باستمرار الآن وينتظرونها عند كل مخارج الفندق. كلما أرادت الخروج، عليها أن تشق طريقها بينهم. كانت ستيفي تفكر في مخرج الخدمة كخيار بديل. نجح الأمر معهما من قبل، على الرغم من أنه ليس بعيداً عن باب كامبون، وسيراقبونه أيضاً. يضيف ذلك المزيد من التوتر إلى وجود كارول، وهذا ما لا تحتاج إليه في الوقت الحاضر. كان جميلاً لو أن أحداً لم يعلم بانتقالها من المستشفى إلى الفندق. لكن هذا أمل كبير جداً، مع وجود خادمات لتنظيف غرفتها، ونادلين لإحضار الطعام لها، وكل الثرثرات الداخلية في فندق كبير، حتى لو كان فندقاً رائعاً مثل الريتز. لا بد أن أحداً أخبر الصحافة. وسيدفع ثمن ذلك.

من دون سؤال، أعطتها ستيفي كوباً من شايها وأخذته كارول بامتنان. شعرت وكأنها تسلقت جبل إفرست هذا الصباح. ونظراً لما مرّت به، يمكن القول إنها فعلت ذلك. "هل تريدين أكل أي شيء؟".

"لا، شكراً".

"لماذا لا تستلقين لبعض الوقت؟ أظن أنك مارست للتو تمارينك الصباحية".

"اللعنة، هل سأعود طبيعية مجدداً؟ لم أكن متعبة هكذا في المستشفى. أشعر وكأنني متّ".

"لقد فعلت"، أكدت لها ستيفي. لاحظت أن كارول محبطة، لكن ما تشعر به أمر طبيعي. فالانتقال من المستشفى إلى العالم الحقيقي، مهما تمّ

بـرقة وعناية، أشبه بخروجها من مدفع. "ستشعرين بالتحسن خلال يوم أو يومين، أو حتى ربما قبل ذلك. عليك الاعتياد على محيطك، وعدم الالتفاف بالبطانيات القطنية في المستشفى. حين أجريت عملية الزائدة الدودية قبل سنتين تقريباً، شعرت أن عمري تسعين سنة حين عدت إلى المنزل. وبعد خمسة أيام، كنت أرقص في النادي. امنحي نفسك الوقت، صغيرتي"، طمأنتها ستيفي فيما تنهدت كارول. شعرت بالإحباط لكونها ضعيفة جداً.

مشت كارول ببطء في غرفتها، ووقفت تنظر من حولها بذهول. نظرت إلى المكتب وشاهدت الكمبيوتر وحقيبة يدها عليه. شعرت أنها تركت الغرفة قبل ساعات للذهاب في رحلتها المشؤومة. حين التفتت إلى ستيفي، كانت الدموع تتلألأ في عينيها.

"إنه شعور غريب حين أفكر في أنني عندما غادرت هذه الغرفة، كدت أموت بعد ساعات قليلة. الأمر أشبه بالموت والولادة مجدداً، أو الحصول على فرصة أخرى أو ما شابه". أومأت ستيفي برأسها وعانقت صديقتها.

"أعرف. فكرت في ذلك أيضاً. هل تريدين تبديل الغرف؟". هزّت كارول رأسها. لا تريد أن يتم تدليلها أو معاملتها مثل الأطفال. إنها تحتاج إلى الوقت للتكيف مع كل ما حصل، ليس فقط جسدياً، وإنما أيضاً نفسياً. استلقت على السرير، ونظرت حولها، فيما أحضرت لها ستيفي بقية الشاي. بدأت تشعر بالتحسن، وهي مستلقية. شعرت بالتوتر لرؤية الصحافة، على الرغم من أن هذا لم يظهر عليها. لم يظهر يوماً. بدت مثل الملكة فيما لوّحت بلباقة، وابتسمت لهم، ومشت قربهم، بشعرها الأشقر الطويل، والقرطين الماسيين المتلألئين في أذنيها.

طلبت ستيفي الغذاء لهما في النهاية، وشعرت كارول بالتحسن بعدما أكلت. استرخت في الماء الساخن، داخل المغطس العملاق في الحمام الرخامي الوردي، ثم استلقت مجدداً على سريرها في ثوب الحمام الوردي السميك الذي يوفره الفندق. كانت الساعة الرابعة بعد الظهر حين اتصل ماتيو، بعد أن أخذت قيلولة وشعرت أنها هي نفسها مجدداً.

"كيف حال العودة إلى الفندق؟"، سأل بلطافة.

"إنها أصعب مما اعتقدت"، اعترفت له. "كنت مرهقة حين وصلنا، لكنني أشعر الآن بالتحسن. لا أصدق كم كان الأمر صعباً. وصادفنا بعض الباباراتزي عند الباب الخلفي. بدوت ربما مثل عروس فرانكنشتاين عند الخروج من السيارة. بالكاد استطعت المشي".

"أنا واثق من أنك بدوت جميلة. فأنت دوماً جميلة".

"رمى لي أحد الباباراتزي وردة، وكان هذا لطيفاً. كاد يصيبني. فتعبير "كدت ترميني بريشة" أخذ على ما يبدو معنى جديداً". ضحك على ما قالته.

"كنت سأسألك لتقومي معي بنزهة، لكن يبدو أنك غير قادرة على فعل ذلك. هل ترغبين بزيارة بدلاً من ذلك؟ نستطيع ربما الذهاب للمشي غداً. أو التجول في السيارة، إذا كنت تفضلين".

"هل تود المجيء لشرب الشاي؟"، عرضت عليه. لم تشعر أنها قادرة على استقباله على العشاء، وليست أكيدة من أنه يجدر بها فعل ذلك على أي حال. علاقتهما غير واضحة المعالم، ومتأثرة كثيراً بأحزان الماضي، وكذلك بالحب الذي تشاركاه.

"يبدو هذا رائعاً. في تمام الساعة الخامسة بعد الظهر؟"، اقترح عليها، وهو يشعر بالامتنان لأنها أرادت رؤيته.

"لست ذاهبة إلى أي مكان"، طمأنته. "سأكون هنا".

وصل إلى هناك بعد ساعة، في بزة رسمية داكنة، ومعطفه الرمادي. أصبح الطقس بارداً جداً بعد الظهر، وكانت وجنتاه ورديتين من الرياح. كانت كارول ترتدي الكنزة السوداء نفسها وسروال الجينز الذي ارتدته عند خروجها من المستشفى، والخف الأسود السويدي والقرطين الماسيين في أذنيها. بدت له رائعة، وإنما شاحبة كثيراً. لكن عينيها ساطعتان كثيراً، وشعرت بالتحسن فيما جلسا لشرب الشاي وتناول الحلويات والمعكرون من لا دوريه، التي أرسلها لها الفندق. سُرّ لرؤية الحارسين خارج غرفتها،

ولاحـــظ أمـــن الفندق منتشراً في كل الطوابق. لا يجازفون أبداً معها، ولا يجدر بهم ذلك أصلاً. فالحادث الذي حصل في المستشفى أنذر الجميع بأنها في خطر.

"كـــيف كانـــت لـــيون؟"، ســـألت مع ابتسامة هادئة. كانت سعيدة برؤيته.

"متعـــبة. كـــان لديّ مثول أمام المحكمة لم أستطع تأجيله. كما أنني أفوّت دائماً قطار العودة. المحن والتجارب لمواطن عادي ومحامٍ". ضحك على نفسه، وكان سعيداً بوضوح لرؤيتها أيضاً.

بـــدت أنها أصبحت حيوية مجدداً فيما جلسا وثرثرا، وأصبحت أكثر حيوية وأقرب إلى نفسها. تناولت نصف دزينة من قطع المعكرون، حسبما لاحـــظ بسرور، وشاركته قطعة إكلير بالقهوة. أمل في أن تكون شهيتها قد عادت، لأنها تبدو نحيلة جداً، ولكن ليس شاحبة مثلما بدت حين وصل. عند الأخذ في الاعتبار كل ما عاشته خلال الأسابيع الأخيرة، من الرائع رؤيتها جالـــسة هناك مع قرطين ماسيين وسروال جينز. طلت أظافرها في الغرفة بعـــد ظهـــر الـــيوم. اختارت الطلاء الوردي الشاحب الشفاف، وهو اللون الوحيد الذي تستعمله منذ سنوات. تأمل بإعجاب وصمت أصابعها الطويلة والجمـــيلة فـــيما ارتشفت قهوتها. تركتهما ستيفي لوحدهما، وانسحبت إلى غـــرفتها مـــع الممرضة. كانت ستيفي راضية لأن كارول مرتاحة لوحدها معـــه. نظـــرت إلـــيها بتساؤل قبل أن تغادر الغرفة، وابتسمت لها كارول وأومأت برأسها للقول إن كل شيء على ما يرام.

"خـــشيت ألا أرى هذه الغرفة مجدداً"، اعترفت له كارول، فيما جلسا في غرفة جلوس جناحها.

"خـــشيت ألا تفعلـــي ذلك أيضاً"، اعترف لها مع نظرة ارتياح. كان يـــتوق بـــشدة للقـــيام معها بنزهة، والخروج معها من الفندق، لكنها بدت بوضوح غير مستعدة لمثل هذه المغامرة الآن، على الرغم من أنها أرادت ذلك هي أيضاً.

"يبدو أنني أصادف دوماً المشاكل في باريس، أليس كذلك؟"، قالت مع ابتسامة ماكرة، وضحك ماثيو عليها.

"أود القول إن الأمر كان مبالغاً فيه هذه المرة، أليس كذلك؟"، قال لها وأومأت هي برأسها، ثم راحا يتحدثان عن كتابها.

ساورتها بعض الأفكار بشأنه خلال الأيام القليلة الماضية، وأملت في أن تتمكن من العودة إلى العمل حين تعود إلى لوس أنجلوس. أعجبته بذلك. لطالمـــا طلب منه الناشرون كتابة مذكراته، لكنه لم يفعل ذلك بعد. قال إن هـــناك الكثير من الأمور التي يريد أن يقوم بها، ولهذا السبب ينوي التقاعد في السنة المقبلة، للقيام بالأشياء التي حلم بها، قبل أن يفوت الأوان. ذكّره مـــوت زوجـــته بأن الحياة قصيرة ونفيسة، خصوصاً في عمره. سيذهب للتزلج مع أولاده في فال ديزار خلال عطلة الميلاد. قالت كارول بندم إن أيام التزلج ولّت بالنسبة إليها. فآخر أمر تحتاج إليه هو تلقي صدمة أخرى علـــى رأســـها، ووافق معها. تذكرا معاً المتعة الكبيرة التي شعرا بها حين تـــزلجا معاً في فرنسا. لقد ذهبا للتزلج معاً مرات عدة، واصطحبا ولديها. كان بارعاً جداً في التزلج، وكذلك هي. كان في الفريق الوطني في شبابه.

تحـــدثا عن مجموعة من الأمور فيما حلّ الظلام في الخارج. كانت الـــساعة الثامـــنة مـــساءً تقريباً حين نهض، وهو يشعر بالذنب لأنه أبقاها مستيقظة طوال هذا الوقت. إنها بحاجة إلى الراحة. لقد مكث لفترة طويلة، وبـــدت هـــي متعبة وإنما مسترخية. ثم تعجبت حين نظرت خارج النوافذ المغطاة بالستائر حين نهضا. كان الثلج يتساقط في الخارج، ففتحت النافذة ومـــدّت يدها إلى الخارج للمس كرات الثلج فيما راقبها هو. التفتت إليه مع عينين واسعتين مثل الطفلة.

"انظـــر! الـــثلج يتساقط"، قالت بسعادة. أومأ برأسه وابتسم لها، فيما نظـــرت إلـــى الليل وشعرت بامتنان عميق داخلها. أصبح لكل شيء معنى جديـــد بالنـــسبة إلـــيها، وباتت المسرّات الصغيرة تجلب لها السعادة. إنها الـــسعادة الكبـــرى لهم جميعاً. لطالما كانت كذلك. "هذا جميل جداً"، قالت

يــتعجب، فــيما وقف هو خلفها لكنه لم يلمسها. كان يتشبع من حضورها ويرتجف من الداخل.

"وأنــت أيــضاً"، قــال لها بنعومة. إنه سعيد جداً لوجوده هنا معها، ولسماحها له بقضاء الوقت معها. إنها هدية ثمينة.

التفــتت للنظر إليه مجدداً حينها، والثلج يتساقط خلفها، فأدار وجهها نحــو وجهه. "الليلة التي انتقلت فيها إلى المنزل هنا، كان الثلج يتساقط... كــنت هناك معي... لمسنا كرات الثلج، وقبّلنا بعضنا... أذكر أنني ظننت أنني لــن أنسى تلك الليلة أبداً، إذ كانت جميلة جداً... ذهبنا للقيام بنزهة طــويلة على ضفاف السين، فيما الثلج يتساقط حولنا... ارتديت معطفاً من الفرو مع قلنسوة..."، همست له.

"... بدوت مثل أميرة روسية...".

"هــذا مــا قلته لي". أومأ برأسه، فيما تذكرا معاً سحر تلك الليلة، ثم وقفا أمام النافذة المفتوحة في فندق الريتز، وتحركا لاشعورياً نحو بعضهما البعض وقبّلا بعضهما البعض فيما توقف الوقت.

الفصل السادس عشر

بــدت كــارول قلقة حين اتصل بها ماتيو في فندق الريتز في صباح اليوم التالي. كانت تشعر بالتحسن وباتت ساقاها أقوى، لكنها بقيت مستيقظة وهي تفكر فيه لساعات طويلة في الليلة الفائتة.

"كان سخيفاً فعلاً ما حصل في الليلة الفائتة... أنا آسفة..."، قالت له ما إن أجابت على الهاتف. لقد أقلقها ذلك طوال الليل. لا تريد أن تصل إلى هــناك مجــدداً معه. لكن ذكريات تلك الليلة البعيدة كانت قوية جداً، بحيث تفــوقت عليها. كان لها التأثير نفسه في كليهما، تماماً مثلما حصل حينها. شعرا بتأثير مُسكر في بعضهما.

"لماذا كان سخيفاً؟"، سألها وهو يبدو خائباً.

"لأن الأمور مختلفة. ذلك كان حينها. الآن هو الآن. لا يمكنك العودة بالــزمن إلى الخلف. وسأغادر قريباً. لا أريد إرباكك". ولم تشأ أن يربكها هــو أيــضاً. بعدما غادر، راح رأسها يدور في دوامة. لم يكن ذلك بسبب إصابتها. إنه هو، وإعادة استيقاظ المشاعر التي شعرت بها حياله سابقاً.

"لــم تربكيني كارول. إذا كنت مرتبكاً، تكون هذه مشكلتي، لكنني لا أظن أنني كذلك". ما من شيء مرتبك في مشاعره حيالها. عرف أنه مغرم بهــا مجــدداً، ولطالمــا كان كذلك. لم يتغير أي شيء بالنسبة إليه. كانت كارول من أغلق الباب، وتحاول الآن إغلاقه مجدداً.

"أريد أن نكون صديقين"، قالت بحزم. لكن ليس أكثر.

"نحن كذلك".

"لا أريد فعل ذلك مجدداً"، قالت وهي تشير إلى قبلتهما. إنها تحاول أن تبدو قوية لكنها تشعر بالخوف. عرفت تماماً تأثيره فيها، وشعرت أنه أشبه بموجة كبيرة تغمرها في الليلة الفائتة.

"إذاً، لن نفعل. أقسم لك". وعدها، لكنها عرفت ما تعنيه الوعود بالنسبة إليه. لم يحافظ يوماً على وعوده. أو لم يفعل أبداً.

"تعرف مدى صحة ذلك". خرجت الكلمات من فمها، وسمعته يلهث.

"أنا آسفة. لم أقصد قول ذلك".

"بلى تقصدين. وأنا أستحق هذا. دعينا نقول فقط إن كلمتي باتت أقوى مما كانت من قبل".

"أنا آسفة". شعرت بالإحراج مما قالته. لا تملك سيطرتها الاعتيادية، لكن هذا ليس عذراً، سواء أكان يستحق ذلك أم لا. لا يبدو أنه يكنّ لها الضغينة.

"لا بأس. ماذا عن نزهتنا؟ هل تشعرين أنك قادرة على ذلك؟". لقد ذاب الثلج الذي تساقط في الليلة الفائتة. كان تساقطاً لفترة وجيزة، لكن الطقس بارد في الخارج. لا يريدها أن تمرض. "عليك ارتداء معطف سميك".

"أملك واحداً... أو بالأحرى، كنت أملك". تذكرت أنها كانت ترتديه تلك الليلة في النفق، وقد اختفى مع كل شيء آخر كانت ترتديه. كانت ترتدي خرقاً ممزقة حين عثر عليها رجال الإسعاف. "سأستعير معطف ستيفي".

"إلى أين تريدين الذهاب؟".

"إلى الباغاتيل؟". بدت شاردة.

"ممتاز. سأجعل حارسيك يتبعاننا في سيارة أخرى". لن يجازف أبداً، وبدا ذلك جيداً بالنسبة إليها. المهم هو الخروج من الفندق. اقترحت عليه لقاءه أمام الكريون، والانتقال حينها من سيارتها إلى سيارته. "يبدو لي هذا مثل التجسس". ابتسم. كان هذا مألوفاً بالنسبة إليه، لأنهما توخيا الحذر كثيراً في الأيام القديمة أيضاً.

"إنه تجسس"، ضحكت. "في أي وقت سنلتقي؟". بدت أكثر سعادة وأكثر استرخاء مما كانت قبل دقائق قليلة. كانت تحاول وضع حدود له.

"ما رأيك في الساعة الثانية بعد الظهر؟ لديّ اجتماعات قبل ذلك".

"أراك إذاً أمام الكريون في الساعة الثانية بعد الظهر. بالمناسبة، كيف هو شكل سيارتك؟ أكره الدخول إلى السيارة الخطأ". ضحك على الفكرة، على الرغم من أنه كان أكيداً من أن السائق سيسعد.

"أملك سيارة بيجو كحلية. سأضع قبعة رمادية، وأحمل وردة وأنتعل فردة حذاء واحدة". ضحكت. تذكرت الآن روحه المرحة أيضاً. لقد عرفت معه الضحك، وكذلك الحزن. لا تزال منزعجة من نفسها لأنها قبّلته في الليلة الفائتة. لن يفعلا ذلك مجدداً. لقد حسمت أمرها.

طلبت من ستيفي إجراء الترتيبات اللازمة لها، للسيارة، وتناولا الغداء على الصواني في غرفتها. تناولت كلوب سندويش، بدا رائع المذاق لها، وحساء الدجاج الخاص بالفندق.

"هل أنت واثقة من أنك تريدين الخروج؟". كانت ستيفي قلقة بشأنها. بدت أفضل حالاً من اليوم السابق، لكن الخروج للقيام بنزهة هو خطوة كبيرة، ولا يزال الوقت مبكراً جداً ربما. لا تريد من ماتيو أن يرهق كارول أو يزعجها. بدت مرهقة وشاردة حين غادر في الليلة الفائتة.

"سأرى كيف أشعر. إذا كنت متعبة جداً، أستطيع العودة". كان ماتيو قلقاً عليها أيضاً، ولن يدعها ترهق نفسها.

استعارت معطف ستيفي ورافقتها مساعدتها إلى السيارة التي انتظرتها في شارع كامبون. وضعت قلنسوة المعطف على رأسها والنظارة على عينيها. كانت ترتدي الثياب نفسها كما في اليوم السابق، وإنما مع كنزة بيضاء سميكة هذه المرة. ثمة اثنان من الباباراتزي ينتظران في الخارج، والتقطا لها الصور وهي تدخل السيارة. رافقتها ستيفي لمسافة مبنيين، ثم عادت إلى الفندق وبقي حارسا كارول معها.

كان ماتيو ينتظر خارج الكريون، تماماً حيث قال إنه سيفعل، وانتقلت من سيارتها إلى سيارته من دون أن يلاحظها أحد. لم يتبعها أحد. كانت أنفاسها منقطعة حين دخلت إلى السيارة معه، وشعرت بالقليل من الدوار.

"كيف حالك؟"، سألها بقلق. لا تزال شاحبة جداً، لكنها بدت أنيقة كثيراً، فيما أنزلت القلنسوة عن رأسها ونزعت نظارتها السوداء. لا تزال تقطع أنفاسه.

"بخير"، أجابت عن سؤاله. "مترنحة قليلاً. لكن من الجميل الخروج من الفندق". بدأت تسأم من تواجدها في غرفتها، وقالت إنها تأكل الكثير من الحلويات، بسبب قلة الأمور التي تستطيع القيام بها. "يبدو هذا غبياً، لكن من الجميل التنزه سيراً على الأقدام. هذا أجمل شيء فعلته خلال شهر". باستثناء تقبيله. لكنها لن تسمح لنفسها بالتفكير في ذلك الآن. لاحظ في عينيها أنها متيقظة جداً، وتريد إبقاءه على مسافة منها، على الرغم من أنها قبّلت وجنته حين دخلت إلى السيارة. نادراً ما تموت العادات القديمة، حتى بعد خمس عشرة سنة. ثمة عادة متأصلة داخلها في ما يتعلق بحميميتها معه. لقد دُفنت، لكنها لم تختفِ.

توجها إلى الباغاتيل، وكانت الشمس ساطعة. كان الطقس بارداً والرياح قوية، لكنهما ارتديا ثياباً سميكة، وتفاجأت كم هو رائع الخروج إلى الهواء الطلق. أقحمت يدها في ذراعه لتثبيت نفسها، ومشيا ببطء لوقت طويل. كانت تلهث حين عادا إلى سيارته. بقي الحارسان مسافة بعيدة كفاية لمنحهما الخصوصية، وإنما كانا قريبين كفاية لحمايتها.

"كيف تشعرين؟"، سألها مجدداً، وهو يتأكد من حالها. خشي أن يكونا ذهبا بعيداً. لام نفسه على ذلك، لكن رفقتها كانت رائعة جداً للتخلي عنها.

"رائعة!". كانت وجنتاها ساطعتين بعد المشي في الطقس البارد، وتلألأت عيناها حين أجابته. "من الجيد أن يكون الإنسان على قيد الحياة".

كان يود اصطحابها إلى مكان ما، لكنه لم يجرؤ. لاحظ أنها متعبة، وإنما مسترخية. تحدثت إليه بحيوية في طريق العودة إلى الفندق. وعلى

الرغم من خططهما بالتجسس، أوصلها إلى فندق الريتز في سيارته، فيما كانت سيارتها خلفهما. نسي كلاهما التوقف أمام الكريون. وصلا إلى الريتز من جهة الفاندوم، المدخل الأساسي للفندق. ذكّرت نفسها أنهما لا يملكان أي شيء لإخفائه. ليسا سوى صديقين قديمين الآن، وكلاهما أرملان. استغربت كم يملكان الآن من أمور مشتركة. على أي حال، إنهما حران وغير مرتبطين، وهو مجرد محامٍ وليس وزير داخلية فرنسا.

"هل تريد الصعود معي؟"، سألته فيما التفتت إليه ووضعت قلنسوتها مجدداً. لم تزعج نفسها في وضع النظارة السوداء. لاحظت أنه لا يوجد باباراتزي أو شخص آخر في انتظارها.

"هل تستطيعين ذلك؟ ألست متعبة كثيراً؟"، سألها وهو يبدو قلقاً.

"سأشعر بالتعب لاحقاً ربما. أنا بخير الآن. قالت الطبيبة إنه يجدر به المشي". كان يخشى أن يكونا مشيا كثيراً، لكنها بدت حيوية جداً. "سنشرب الشاي مجدداً، من دون القبلة"، ذكّرته، وضحك هو.

"لا شك في أن هذا يوضح الأمور. حسناً، سنشرب الشاي من دون القبلة. لكن عليّ الاعتراف أنني أحببتها"، قال بصراحة.

"وأنا أيضاً"، ابتسمت بخجل. "لكن هذا لا يدخل ضمن القائمة العادية. كان نوعاً من الترف الخاص لمرة واحدة أمس". كانت غلطة، مهما كان طعمها رائعاً حينها.

"يا للعار. لماذا لا تصعدين مع حارسيك؟ سأركن السيارة وأصعد خلال دقيقة". بهذه الطريقة، إذا صادفها أحد الباباراتزي، لن تضطر لشرح الأمر.

"أراك قريباً"، قالت وخرجت من سيارته فيما لحق بها حارساها ومشيا مباشرة خلفها. بعد برهة، ومضت سلسلة من الكاميرات في وجهها، وبدت متفاجئة في البداية، ثم ابتسمت ولوّحت. طالما أنهم رأوها، لا جدوى أبداً من أن تبدو فظة. تعلمت ذلك قبل سنوات عدة. دخلت بسرعة إلى الفندق، عبر الردهة الكبيرة، وأخذت المصعد إلى غرفتها. كانت ستيفي

تنتظرها في جناحها، على الرغم من أن كارول أخبرتها بأنها تستطيع الخروج. وكانت ستيفي قد عادت للتو هي أيضاً. ارتدت سترة قصيرة من الجلد كانت معها بدلاً من المعطف الذي استعارته كارول، وقامت بنزهة لطيفة في شارع السلام. من الجيد تنفّس بعض الهواء الطلق.

"كيف كانت النزهة؟"، سألت ستيفي بتهذيب، وأومأت كارول برأسها.

"كانت جيدة". إنها تثبت لنفسها أن في وسعهما أن يكونا صديقين. وصل ماتيو إلى الغرفة بعد دقيقة، وطلبت لهما ستيفي السندويشات والشاي، وقد التهمتها كارول فور وصولها. لقد تحسنت شهيتها ولاحظ ماتيو أن النزهة أفادتها. بدت متعبة وإنما سعيدة فيما مددت ساقيها وتحدثا، مثلما يفعلان دوماً، عن مجموعة منوعة من الأمور، فلسفية وعملية. في الأيام القديمة، أحب التحدث إليها حول السياسة، وكان يقدّر آراءها. لا تستطيع فعل ذلك بعد، وهي غير مطلعة على السياسات الفرنسية.

لم يبقَ لوقت طويل هذه المرة، ولم تكن هناك قبلة، مثلما وعد. الثلج الذي تساقط في الليلة الفائتة أعاد سيلاً من الذكريات، ومعها الكثير من المشاعر التي فاجأتها وأثرت فيها. لقد عادت حدودها إلى مكانها الصحيح الآن، واحترمها لذلك. فآخر شيء يريده هو إيذاؤها. كانت ضعيفة وهشة، وعادت مؤخراً إلى الحياة. لا يريد انتهازها، وإنما يريد فقط أن يكون معها، بالطريقة التي تسمح بها. إنه ممتن على ما هما عليه. يصعب التصديق أنه بقي شيء ما، بعد صفعة الماضي.

"تريدين القيام بنزهة أخرى غداً؟"، سألها قبل أن يغادر، وأومأت برأسها وهي تبدو مسرورة. إنها تستمتع بالوقت الذي تقضيه معه. وقفت في الباب الرئيسي لجناحها، فيما نظر إليها مع ابتسامة.

"لم أظن أبداً أنني سأراك مجدداً"، قال لها وهو يستمتع باللحظة.

"ولا أنا"، وافقت معه.

"أراك غداً"، قال بهدوء، ثم خرج من جناحها. ألقى التحية على الحارسين الواقفين في الخارج، وغادر الريتز برأس منخفض، وهو يفكر فيها، وكم كان جميلاً المشي قربها، فيما يدها مقحمة في ذراعه.

التقاها في اليوم التالي في الساعة الثالثة من بعد الظهر. مشيا لمدة ساعة، وتنزها في السيارة حتى الساعة السادسة عصراً. ركنا السيارة لبعض الوقت في غابة بولونيا وتحدثا عن منزلهما القديم. قال لها إنه لم يره منذ سنوات عدة، واتفقا على المرور أمامه في طريق عودتهما إلى الفندق. إنها مسيرة حج قامت بها سابقاً، لكنهما سيقومان بها الآن معاً.

كان الباب المؤدي إلى الفناء مفتوحاً هذه المرة أيضاً، ومشيا إلى الداخل جنباً إلى جنب فيما انتظر الحارسان بتكتم في الخارج. نظرا بطريقة عفوية إلى الأعلى حيث كانت غرفة نومهما، ثم نظرا إلى بعضهما، وأمسكا بأيديهما. لقد تشاركا الكثير من الأمور هنا، وتمنيا العديد من الأشياء، وأضاعا أحلامهما. الأمر أشبه بزيارة قبر دُفن فيه حبهما. وفكرت أيضاً في الطفل الذي خسرته، ثم نظرت إليه بعينين دامعتين. رغماً عنها، شعرت أنها أقرب إليه أكثر من أي وقت مضى.

"أتساءل ماذا كان سيحصل لو رزقنا به"، قالت بهدوء، وعرف هو ما الذي تقصده وتنهّد. كانت فترة مريعة بعدما سقطت عن السلم، وكل ما حصل لاحقاً.

"أفترض أننا كنا متزوجين الآن"، قال لها مع ندم عميق.

"ربما لا. على الرغم من ذلك ربما، لم تكن لتترك أرليت". هناك الكثير من الأطفال الذين يولدون خارج الزواج في فرنسا. إنه تقليد حتى مع ملوك فرنسا.

"كانت ستموت لو عرفت بذلك". التفت إلى كارول بحزن. "لكنك كدت تموتين أنت عوض ذلك". كانت مأساة كبيرة لهما معاً.

"لم يكن يجدر حصول ذلك"، قالت كارول بطريقة فلسفية. لا تزال تذهب إلى دار العبادة كل سنة في ذلك التاريخ، يوم مات طفلهما. أدركت أن التاريخ بات قريباً، وحاولت إبعاد الفكرة عن رأسها.

"تمنيت لو أنه ولد"، قال بهدوء، واضطر إلى كبح نفسه لعدم تقبيلها مجدداً. تذكر بدلاً من ذلك وعده لها وأخذها بين ذراعيه وأمسك بها لوقت طويل، فيما شعر بدفئها قربه، وفكر كم كانا سعيدين في ذلك المنزل قبل ما بدا وقتاً طويلاً جداً. في مخطط الحياة، لا تعتبر سنتان ونصف بالشيء المهم، لكنهما كانتا بالنسبة إليهما العالم كله.

هذه المرة التفتت كارول صوبه وقبّلته. أصيب بالذهول، وتردد، ثم ترك عزمه يتلاشى وقبّلها بدوره، ثم قبّلها مجدداً. بعد ذلك، خشي أن تغضب منه، لكنها لم تفعل. كانت مغمورة كثيراً بالمشاعر تجاهه لدرجة أن شيئاً لا يستطيع إيقافها. كانت مجروفة بتيار.

"الآن، ستقولين لي إنني لم أفِ بوعدي"، وبخها وهو يبدو قلقاً. لم يشأ أن تغضب منه، لكنه ارتاح لرؤيتها غير غاضبة.

"أنا لم أحافظ على وعدي"، قالت بهدوء فيما خرجا من الفناء وعادا إلى سيارته. "أشعر أحياناً كأن جسمي يتذكرك أفضل مما أفعل أنا"، قالت بصوت خافت. ولا شك في أن قلبها يفعل ذلك أيضاً. "الإبقاء على الصداقة فقط ليس أمراً سهلاً مثلما اعتقدت"، قالت بصراحة وأومأ هو برأسه.

"ليس الأمر سهلاً عليّ أنا أيضاً، لكنني أريد أن أفعل ما تريدينه أنت". يدين لها بذلك على الأقل في الوقت الحاضر. لكنها تفاجئه دوماً.

"يجدر بنا ربما الاستمتاع بعلاقتنا خلال الأسبوعين المقبلين، كتحية لتاريخنا، وتوديع هذه العلاقة حين أغادر".

"لا أحب هذه الخطة"، قال فيما صعدا إلى سيارته. "أين المشكلة إذا رأينا بعضنا مجدداً؟ لقد كتب لنا ربما أن نعثر على بعضنا. قد تكون هذه طريقة الله لمنحنا فرصة أخرى. نحن حران الآن، ولا نؤذي أي أحد. لسنا مضطرين لإرضاء أحد، سوى نحن فقط".

"لا أريد التعرض للأذى مجدداً"، قالت بوضوح فيما شغّل هو محرك السيارة ونظر إليها. "تأذيت كثيراً في المرة الأخيرة". أومأ برأسه. لا يستطيع إنكار ذلك.

"أفهم". ثم طرح عليها السؤال الذي طارده طوال سنوات. "هل سامحتني، كارول؟ لأنني خذلتك ولم أفعل ما قلت لك إنني سأفعله؟ أردت ذلك، لكن الأمور لم تحصل أبداً بالطريقة التي أردتها. لم أستطع فعل ذلك في النهاية. هل سامحتني على ذلك، وعلى إيذائك كثيراً؟". عرف أنه ليس لديه الحق في ذلك، لكنه أمل في أن تكون سامحته. لم يكن أكيداً. ولمَ ستفعل؟ لا يستحق ذلك.

نظرت إليه بعينين كبيرتين وصادقتين. "لا أعرف. لا أستطيع التذكر. لقد ذهب كل ذلك. أذكر الجزء الجيد، والألم. لا أعرف ماذا حصل بعد ذلك. كل ما أعرفه هو أنه استغرق وقتاً طويلاً". إنه أفضل جواب يستطيع الحصول عليه. وكان مميزاً كفاية أنها تريد قضاء الوقت معه، في هذه الظروف الاستثنائية. طلب السماح هو بالشيء الكثير، وعرف أنه لا يملك الحق في ذلك.

أنزلها أمام الفندق، ووعدها بالمجيء في اليوم التالي لاصطحابها في نزهة أخرى. أرادت العودة إلى حدائق اللوكسمبورغ، حيث كانت تذهب غالباً مع أنطوني وكلويه حين عاشوا هناك.

كل ما استطاع التفكير فيه هو تلك القبلة، فيما عاد إلى منزله. دخل إلى المنزل بمفتاحه ومشى في الممر وصولاً إلى مكتبه الخاص وجلس في الظلمة. لا يعرف ماذا يقول لها، أو ما إذا كان سيراها مجدداً بعد أن تغادر. شك في أنها لا تعرف الجواب هي أيضاً. للمرة الأولى، لا يملكان أي تاريخ، ولا مستقبل، وكل ما لديهما هو كل يوم يأتي. ما من طريقة لمعرفة ما سيحصل بعد ذلك.

الفصل السابع عشر

التنزه في حدائق اللوكسمبورغ مع ماتيو أعاد دفقاً من الذكريات لكارول، فتذكـرت كل الأوقات التي كانت فيها هنا مع ولديها، ومعه. لقد جاءت إلى هنا معه للمرة الأولى، ومئات المرات مع أنطوني وكلويه بعد ذلك.

تذكـرا بمـرح كـل الأشـياء السخيفة التي فعلها الولدان، والأمور الأخـرى التي فاتتها حتى الآن. التنزه في باريس معه يعيد إليها العديد من الأشـياء التـي لـم تكن لتتذكرها لولا ذلك، وكانت بمعظمها أوقاتاً جيدة ولحظـات دافـئة تـشاركاها معاً. الألم الذي سببه لها بدا خافتاً جداً الآن، مقارنة بالسعادة التي خطرت ببالها.

كانـا لا يـزالان يثرثران ويضحكان حين خرجا من سيارته أمام فندق الريتـز. دعـته لتـناول العشاء في جناحها، ووافق على المجيء. كان يسلّم مفاتيحه إلى المسؤول عن السيارات، فيما ذراعها تحت ذراعه، حين التقط لهما مـصور فوتوغرافـي صورة وومض الضوء في عينيهما. نظر كلاهما إلى الأعلـى، مذهولـين، وابتـسمت كارول في المرة الثانية فيما بدا ماتيو وقوراً وصارماً. لا يحب أن تلتقط له صور فوتوغرافية في أفضل الأوقات، ولا سيما علـى يدي باباراتزي للصحافة الصفراء. لطالما توخيا الحذر حين عاشا معاً، لكـن المخاطـر باتـت الآن أقل لهما. لا يملكان شيئاً لإخفائه. لكن من غير الجميل أن تلتقط له الصور ويتم الحديث عنه، لأن هذا ليس أسلوبه. كان يتذمر مـن الأمر حين دخلا الفندق. باتا يستعملان الباب الرئيسي هذه الأيام، لأن هذا أسهل من فتح الباب في جهة شارع كامبون في كل مرة. كانت ترتدي سروالاً

رماديـاً ومعطف ستيفي حين التقطت لها الصور، ونظارتها السوداء في يدها. تعرفوا إليها بوضوح، لكنهم لم يتعرفوا إلى ماتيو على ما يبدو.

ذكرت الأمر أمام ستيفي حين وصلا إلى الأعلى.

"سـيعرفون كل شيء"، كان كل ما قالته ستيفي. كانت قلقة بشأن الوقت الذي تمضيه كارول مع ماتيو. لكنهما كانا سعيدين ومسترخيين، فيما استعادت كارول قوتها يوماً بعد يوم. قضاء الوقت معه ليس مؤذياً لها على الأقل.

طلـبت لهمـا ستيفي العشاء من خدمة الغرف. طلبت كارول الكبدة المقلـية فـيما طلب ماتيو شرائح اللحم المشوية. تناولت ستيفي الطعام في غـرفتها مع الممرضة. قالت كلاهما أن كارول في حال جيدة. باتت أقوى بوضوح وعاد لونها. والأكثر من ذلك، أدركت ستيفي أنها تبدو سعيدة.

بقـي ماتيو، يتحدث إليها، حتى العاشرة مساء من تلك الليلة. يملكان دوماً الكثير من الأمور ليقولاها لبعضهما، ولا تنفد أبداً الموضوعات التي تهمهمـا معـاً. اتصلت بها الشرطة مجدداً، لأخذ بيان إضافي منها بشأن تفجيـر النفق. يريدون أن يعرفوا إذا تذكرت شيئاً إضافياً، لكنها لم تفعل. فقدت الوعي بسرعة كبيرة، ما إن انفجرت السيارة. لكنهم حصلوا على كم هائـل مـن البيانات من الآخرين. تشعر الشرطة أنه باستثناء الشاب الذي جاء إلى المستشفى، مات جميع الانتحاريين. لا يوجد مشتبهون آخرون.

أخبـرها ماتيو عن القضايا التي يعمل عليها في شركة القانون، ولا يـزال مـصراً على رغبته بالتقاعد. رأت أنه قرار غير سليم إلا إذا عثر على شيء آخر يبقيه مشغولاً.

"ما زلت صغيراً جداً على التقاعد"، قالت له بإصرار.

"أتمنى لو أنني كذلك، لكنني لست صغيراً. ماذا عن كتابك؟"، سألها. "هل فكرت فيه مجدداً؟".

"فعلت"، اعترفت له، لكنها لم تكن مستعدة للعودة إلى العمل بعد. ثمة أمـور أخرى في عقلها، مثله هو مثلاً. بدأ يملأ رأسها ليلاً ونهاراً. تحاول مقاومـة ذلك. لا تريد أن تصبح مهووسة به، وإنما فقط الاستمتاع برفقته

حتى تغادر. أدركت أنه من الجيد المغادرة قريباً، قبل أن تفلت الأمور من يديهما، مثلما حصل سابقاً.

قبّلا بعضهما مجدداً قبل أن يغادر تلك الليلة. كانت القبلة شبيهة بالماضي أكثر مما هي بالحاضر. إنها عادة ممزوجة بالتوق والمتعة والحزن والحب والخوف.

تحدثا بقية الوقت عن عمله، وكتابها، ومهنتها، وأولادهما، وكل شيء خطر بالبال. لم يتوقفا أبداً عن الكلام، وأحب كلاهما تبادل أفكارهما. شعرت بالتحدي للتحدث إليه بذكاء، وأجبرت نفسها على تمرين عقلها لإعادته مثلما كان من قبل. لا تزال تضطر أحياناً للبحث عن كلمة أو مفهوم. ولم تعرف بعد كيفية تشغيل الكمبيوتر. أسرار كتابها لا تزال محبوسة داخله. عرضت عليها ستيفي مساعدتها، لكنها أصرّت على أنها ليست جاهزة. يحتاج ذلك إلى الكثير من التركيز.

أحضرت لها ستيفي الصحف في صباح اليوم التالي في أثناء تناول الفطور. هناك كدسة منها. كانت كارول على الصفحة الأولى مع ماتيو في كل الصحف، وقد تعرفت كل الصحف إليهما وحددته هو بالاسم. بدا حزيناً ومذهولاً في الصورة. بدت كارول جميلة، مع ابتسامة كبيرة. استعملوا الصورة الثانية حين ابتسمت. بدت أنيقة، وظهرت الندبة على وجنتها بشكل طفيف، ولكن ليس بطريقة كافية لتزعجها. وأنجزت صحيفة الهيرالد تريبيون واجبها. فلم تحدد ماتيو فقط على أنه وزير داخلية سابق، وإنما أثار على ما يبدو فضول مراسل شاب متحمس، أو ربما صحافي قديم. فقد عادوا إلى الأرشيف خلال الوقت الذي عاشت فيه في فرنسا، وتحققوا لمعرفة ما إذا كانت توجد صور لهما معاً آنذاك. عثروا على صورة جيدة، تم التقاطها خلال حدث خيري في فرساي. تذكرتها كارول. حرصا كفاية على عدم الذهاب إلى الحفلة معاً. كانت أرليت هناك معه، وذهبت كارول مع نجم سينمائي التقطت لنفسها صورة معه، وكان صديقاً قديماً ويزور باريس في ذلك الوقت. شكلا ثنائياً مذهلاً، وجرى تصويرهما باستمرار، على الرغم من أن معجبيه لم يعرفوا ذلك. كان الغطاء المثالي لكارول.

التقت هي وماتيو في الحديقة لدقائق قليلة، في وقت متأخر من المساء. كانا يتحدثان بهدوء، حين فاجأهما مصوّر والتقط لهما الصورة. كل ما قيل في الصحف في اليوم التالي هو "ماتيو دو بيانكور، وزير داخلية". زوجته غضبت بشدة حين شاهدت الصحف في اليوم التالي.

المصوّران، من فرساي وأمام فندق الريتز في اليوم السابق، كان لهما رأي مختلف. "بين الماضي والحاضر. هل فوّتنا شيئاً ما؟". طرح السؤال. عرفت كارول أنهما لن يحصلا أبداً على الجواب. لقد أخفيا علاقتهما جيداً. كان الأمر سيختلف لو أنجبت الطفل، لو ترك أرليت من أجلها، لو تقدم للطلاق، أو استقال من الوزارة. لكن شيئاً من هذا لم يحصل. والآن هما مجرد شخصين يدخلان فندقاً، صديقان قديمان ربما أو أكثر. لقد تقاعد من الوزارة، وأصبحا أرملين. يصعب ابتكار قصة كبيرة بشأن ذلك، خصوصاً بعد إصابتها في الانفجار. لديها الحق في رؤية أصدقاء قدامى تعرفت إليهم حين عاشت في باريس. لكن الطريقة التي ذكرت فيها صحيفة التريبيون الخبر طرحت سؤالاً محيراً، لا يملك أحد الجواب عليه سوى ماتيو وكارول.

اتصل بها ما إن رأى الصورة. كان منزعجاً. فهذا النوع من التلميح يزعجه. لكن كارول معتادة على ذلك. لقد عاشت مع ذلك طوال حياتها الراشدة.

"كم هم أغبياء"، قال لها بغضب.

"ليس تماماً، بل أذكياء جداً. لا بد أنهم بحثوا كثيراً للعثور على تلك الصورة. أتذكر متى جرى التقاطها. كانت أرليت هناك معك، وبالكاد تكلمت معي طوال السهرة. كنت حاملاً آنذاك". ثمة انفعال في صوتها حين قالت ذلك، نوع من الاستياء والغضب والحزن. تشاجرا بعد ذلك، وكان هذا الشجار الأول بين شجارات عدة. كان قد أعطاها آلاف الأعذار حينها، وكانت هي تتهمه بالمواربة. بدأت حياتهما معاً تتبدل خلال الأشهر التالية، خصوصاً بعدما خسرت الطفل. أمضت أمسية بغيضة جداً ليلة التقطت فيها الصورة في فرساي. تذكرها هو أيضاً، وشعر بالذنب حيالها، ولهذا السبب انزعج من رؤية

الصورة في الهيرالد تريبيون. يكره أن يتم تذكيره بالحزن الذي سببه لها. وعرف أنها غاضبة هي أيضاً، إلا إذا كانت نسيت. لكنها لم تنسَ. "لا داعي لتغضب نفسك"، قالت أخيراً. "ما من شيء يمكننا فعله حيال ذلك".

"هل تريدين توخي المزيد من الحذر؟"، سألها وهو يبدو قلقاً.

"ليس تماماً"، قالت بهدوء. "لا يهم الآن. نحن شخصان حران. وسأغادر قريباً". ستغادر بعد عشرة أيام. "نحن لا نؤذي أحداً. نحن صديقان قديمان إذا أراد أحد أن يعرف الحقيقة". وهذا ما حصل لاحقاً طبعاً خلال النهار. فمجلة بيبول اتصلت لمعرفة ما إذا كانت توجد علاقة بينهما.

"طبعاً لا"، أجابت ستيفي نيابة عن كارول، التي لم تتلق الاتصال. وراحت تخبرهم كيف أن كارول في حال جيدة، على أمل صرف انتباههم، وأخبرت كارول بذلك بعدما أقفلت الخط.

"شكراً"، قالت كارول بهدوء وهي تنهي فطورها، فيما تناولت ستيفي قطعة كرواسان.

"هل أنت قلقة بشأن معرفة الصحافة للحقيقة؟"، سألت ستيفي مع نظرة قلقة.

"ما من شيء لمعرفته. نحن فعلاً مجرد صديقين. نقبّل بعضنا بين الحين والآخر، لكن هذا كل شيء". لا تجرؤ على قول ذلك لأحد سوى ستيفي، ولا حتى لولديها.

"ماذا سيحصل لاحقاً؟"، سألت ستيفي بقلق.

"لا شيء. نعود إلى المنزل"، قالت كارول وهي تنظر في عينيّ مساعدتها. لاحظت ستيفي أن كارول مقتنعة بذلك، لكنها لم تكن مقتنعة بنفسها. فقد لاحظت الحب في عينيّ كارول. أضاف ماتيو شيئاً سحرياً إلى حياتها التي عادت.

"ثم ماذا؟".

"الكتاب مغلق. إنه خاتمة قصة انتهت بطريقة سيئة قبل زمن بعيد". بدت صارمة، وكما لو أنها تحاول إقناع نفسها.

"لا تتمة للكتاب؟"، سألت ستيفي، وهزّت كارول رأسها.

"حسناً، إذا كان هذا رأيك. لكنني لا أرى ذلك، بحسب مجرى الأمور. لا يزال يبدو مجنوناً بحبك". ولا تبدو كارول غير مبالية له على الإطلاق، على الرغم مما قالته لستيفي ولنفسها.

"ربما"، قالت كارول مع تنهيدة، "وإنما بجنون هو أمر مبالغ فيه. كنا مجنونين آنذاك. أظن أننا كبرنا الآن وأصبحنا عاقلين. لم تتح لنا الفرصة أبداً".

"الأمر مختلف الآن"، أشارت ستيفي. بدأت تغير رأيها ببطء في ماتيو ورأت كم أن كارول تهتم له. لا شك في أن مشاعره أيضاً قوية تجاهها. أحبت ستيفي طريقة حمايته لكارول. "لم يكن الوقت مناسباً ربما آنذاك".

"هذا أمر مؤكد. لم أعد أعيش هنا. لديّ حياتي في لوس أنجلوس. لقد فات الأوان"، قالت كارول وهي تبدو مصممة. عرفت أنها أحبته، لكنها لا تريد العودة بالزمن إلى الخلف.

"قد يرغب ربما بالانتقال معك"، قالت ستيفي بأمل، وضحكت كارول.

"توقفي. لن أذهب إلى هناك مجدداً. كان حب حياتي. كان ذلك حينها. ونحن الآن. لا يمكنك إعادة ذلك خمس عشرة سنة إلى الوراء".

"ربما يمكنك فعل ذلك. لا أعرف. أكره أن أراك وحيدة. تستحقين أن تكوني سعيدة مجدداً". شعرت ستيفي بالأسى عليها منذ توفي شون. لقد أصبحت فعلاً ناسكة. ومهما حصل بينهما سابقاً، فإن الوقت الذي تمضيه مع ماتيو يعيد إليها الحياة مجدداً.

"أنا سعيدة. أنا حية. هذا كاف. لديّ ولداي وعملي. هذا كل ما أريده".

"لا، ليس أنا"، قالت كارول بحزم.

"ما زلت صغيرة جداً لإنهاء العرض".

نظرت إليها كارول مباشرة في عينيها. "نلتُ زوجين وحباً عظيماً. ما الذي تريدينه أكثر؟".

"أريدك أن تعيشي حياة سعيدة. تعرفين "وعاشا سعيدين إلى الأبد" وكل ما شابه. ربما السعادة الأبدية استغرقت وقتاً طويلاً حتى تأتي في هذه الحالة".

"يمكـنك قـول ذلـك مجـدداً. خمس عشرة سنةً. وقت طويل جداً. صـدقيني، سـيحدث الأمر جلية. أحببته هنا آنذاك. لا أعرف. أعيش في لوس أنجلوس. نعيش حياتين مختلفتين تماماً".

"حقاً؟ لا تتوقفان عن الكلام أبداً حين تكونان معاً. تبدين حيوية أكثر ممـا كنت طوال سنوات. لم أرك هكذا منذ موت شون". لا تريد إقناعها، لكـن علـيها الاعتـراف أنهـا أحبت الرجل، حتى لو كان صارماً قليلاً، وفرنـسياً جـداً. من الواضح أنه لا يزال يحبها. وزوجته ماتت الآن. بات مؤهلاً على الأقل هذه المرة، وعازباً. وكذلك كانت كارول.

"إنـه رجل ذكي ومثير. لا بل لامع. لكنه فرنسي"، أصرّت كارول. "سـيكون يائـساً في أي مكان آخر، ولا أريد أن أعيش هنا بعد الآن. أنا سـعيدة في لوس أنجلوس. بالمناسبة، ماذا عن ألان؟ ما الجديد معه؟". بدا واضحاً أنها أرادت تغيير الموضوع، وما إن طرحت السؤال، بدت ستيفي وكأنها ابتلعت بحصة مع الكرواسان.

"ألان؟ لماذا؟". بدت مذنبة وغامضة.

"مـاذا تقـصدين "لماذا؟". كنت أسأل فقط عن حاله". ثم ابتسمت إلى ستيفي. "حسناً، أنطقيها. ما الذي يجري؟".

"لا شـيء. لا شـيء على الإطلاق". بدأت تتورد. "إنه بخير. لا بل رائع. ويقول لك مرحبا".

"أنـت تكذبين كثيراً لدرجة أن لونك أصبح بنياً"، قالت كارول وهي تضحك عليها. "ثمة أمر يجري". ساد صمت طويل في الغرفة. لا تستطيع ستيفي أبداً الاحتفاظ بسرّ لنفسها. فقط أسرار كارول.

"حـسناً، حـسناً، لا أريد أن أخبرك قبل أن تعودي إلى المنزل. ولم أحسم أمري بعد. عليّ التحدث إليه ومعرفة ما هي الظروف".

"أي ظروف؟". بدت كارول محتارة فيما انهارت ستيفي على كرسي مثل البالون الذي انفجر، مع تنهيدة.

"طلبني للزواج الليلة الماضية"، اعترفت ستيفي مع ابتسامة إحراج.

"على الهاتف؟".

"لم يستطع الانتظار. لا بل إنه اشترى خاتماً. لكنني لم أقل نعم بعد".

"انظـري إلى الخاتم أولاً"، مازحتها كارول، وتأوهت ستيفي. "تأكدي من أنك تحبين الخاتم".

"لا أعرف إذا كنت أريد الزواج. يقسم إنه لن يفسد عليّ مهنتي. قال إن الوضع سيبقى كما هو الآن، وإنما أفضل، مع أوراق ثبوتية وخاتم. إذا قبلت الزواج، هل تكونين شاهدة على زواجي أو مهما كان الاسم؟".

"أظن أن الاسم الصحيح هو شاهد الشرف إذا كانت ذاكرتي صحيحة. وهذا شرف لي. أظن أنه يجدر بك قول نعم"، تطوعت كارول.

"لماذا؟".

"أظن أنك تحبينه"، قالت كارول ببساطة.

"إذاً؟ ولماذا علينا أن نتزوج؟".

"لست مضطرة. لكنه التزام جميل. شعرت مثلك حين تزوجت بشون. تخلـى عنـي جايسون من أجل امرأة أصغر سناً. كذب ماتيو عليّ وعلى نفـسه، ولـم يتـرك زوجته أو مهنته، وحطّم قلبي. آخر شيء أردته هو الزواج مجدداً، أو حتى الوقوع في الحب. تحدث شون إليّ عن الموضوع، ولم أندم على ذلك دقيقة واحدة. كان هذا أفضل شيء فعلته. تأكدي فقط من أن ألان هو الرجل المناسب".

"أظن أنه مناسب"، بدت ستيفي كئيبة فيما قالت ذلك.

"لنرَ إذاً كيف هو شعورك حين تعودين. يمكنك إجراء خطوبة طويلة".

"يريد الزواج ليلة رأس السنة في فيغاس. كم هذا مبهرج؟".

"جداً. لكنه قد يكون جميلاً. سيكون الولدان في باريس مع جايسون. أستطيع الذهاب إلى هناك"، قالت كارول، وجاءت ستيفي لمعانقتها.

"شكراً. سأبلغك. أخشى أن أقول نعم".

"ربمـا أنـت جاهزة"، قالت كارول، وهي تنظر إليها بحنان في محاولة لطمأنتها. "أظن أنك جاهزة. تحدثت كثيراً عن الأمر في الأونة الأخيرة".

"لأنه فعل هو ذلك. إنه مهووس بالأمر".

"شكراً على إخباري"، قالت كارول بحنان.

"من الأفضل أن تكوني موجودة هناك لتمسكي بيدي إذا فعلتها"، قالت ستيفي بعفوية، لكنها كانت تبتسم وبدت سعيدة.

"أعدك"، قالت كارول. "لن أفوّت الأمر".

تناولت كارول العشاء مع ماتيو مجدداً تلك الليلة. وخرجا معاً للمرة الأولى. ذهبا إلى لورانجوري في جزيرة سان لويس، في السين، وارتدت التنورة الوحيدة التي أحضرتها معها. ارتدى ماتيو بزة داكنة وقص شعره. بدا مرتباً جداً، ووسيماً جداً، على الرغم من أنه لا يزال غاضباً من التعليقات في الهيرالد تريبيون. كان مستقيماً جداً على ذلك.

"بحق الله"، قالت كارول وهي تضحك عليه. "إنهم محقون. هذا صحيح. كيف تغضب هكذا؟". كان أشبه بفاسقة تدّعي العذرية، على الرغم من أنها لم تقل ذلك له.

"لكن لم يعرف أحد!". كان فخوراً جداً بذلك، ولطالما حيّرها. كرهت الاختباء المستمر وعدم مشاركته حياته.

"كنا محظوظين".

"وكنّا منتبهين". إنه محق، كانا منتبهين. عرف كلاهما أن العلاقة يمكن أن تتحول إلى فضيحة كبيرة في أي لحظة. وكان من الغريب أن ذلك لم يحصل.

تحدثا عن أشياء أخرى خلال العشاء، وكان الطعام لذيذاً. انتظر وصول الحلويات لفتح موضوع دقيق معها. مستقبلهما. بقي مستيقظاً طوال الليلة الفائتة، يفكر في الأمر. والعبارة في الصحيفة أثرت فيه. لقد حان الوقت. عاشا في السر لفترة طويلة في الماضي، ويستحقان الاحترام على الأقل في الوقت الحاضر، في عمرهما. قال الكثير لها فيما تشاركا تارت تاتين مع بوظة الكاراميل التي ذابت في فمها.

"نحن محترمان"، أشارت له كارول. "محترمان جداً. على الأقل أنا. لا أعرف ما الذي كنت عليه في الأونة الأخيرة. لكنني أرملة محترمة جداً".

"وأنا أيضاً"، قال بصرامة. "لم أتورط مع أي امرأة منذ رحيلك"، أضاف، وصدّقته عند النظر إليه. لطالما قال لها إنها المرأة الوحيدة التي أقام علاقة معها، باستثناء زوجته. "المقالة في التريبيون تجعلنا نبدو غير شريفين وكاذبين"، تذمر لها.

"لا، ليس صحيحاً. أنت أحد الرجال الأكثر احتراماً في فرنسا وأنا نجمة سينمائية. ماذا تتوقع منهم أن يقولوا؟ ممثلة سابقة وسياسي قديم يذهبان للقيام بنزهة مثل عجوزين؟ هذا ما نحن عليه".

"كارول!"، ضحك على ما قالته وبدا مصدوماً.

"عليهم أن يبيعوا الصحف، ولذلك حاولوا جعلنا نبدو أكثر إثارة مما نحن عليه. وقد أجروا تخميناً محظوظاً أو طرحوا سؤالاً جيداً. لن يعرفوا أبداً الجواب الأكيد، إلا إذا أخبرتهم أنت أو أنا".

"نحن نعرف. وهذا يكفي".

"يكفي لماذا؟".

"يكفي لبناء الحياة التي كان يجدر بنا بناءها قبل سنوات، ولم نفعل، لأنني لم أستطع تدبر أمري وأنفذ ما وعدت به". اعترف بذلك الآن، لكنه لم يعترف حينها.

"ماذا تقول؟". بدت قلقة.

ذهب مباشرة إلى الموضوع. "هل تتزوجينني كارول؟". أمسك بيدها فيما طرح عليها السؤال ونظر بعمق في عينيها. جلست بصمت لوقت طويل، ثم هزّت رأسها. احتاجت إلى جهد كبير جداً لفعل ذلك.

"لا، ماتيو، لن أفعل". بدت واثقة وخاب ظنه. كان يخشى أن تقول له ذلك، وأن الوقت قد فات.

"ولمَ لا؟" بدا حزيناً، لكنه أمل في أن يستطيع تبديل رأيها.

"لأنني لا أريد الزواج"، قالت وهي تبدو متعبة. "أحب حياتي كما هي. تزوجت مرتين. هذا كافٍ. أحببت زوجي المرحوم. كان رجلاً رائعاً. وأمضيت عشر سنوات جيدة مع جايسون. هذا كل ما يمكنك الحصول عليه ربما. وأحببتك أنت من كل قلبي، وخسرتك". كاد يقتلها، لكنها لم تقل ذلك. عرف الأمر على أي حال، وندم عليه طوال خمس عشرة سنة. تجاوزت الأمر في النهاية. لكنه لم يفعل أبداً.

"لم تخسريني. أنت غادرت"، ذكّرها وأومأت هي برأسها.

"لم أمتلكك يوماً"، صححت. "زوجتك فعلت. فرنسا فعلت".

"الآن أنا أرمل ومتقاعد"، أشار لها.

"نعم، هذا صحيح. لكنني لست كذلك. أرملة وإنما غير متقاعدة. أريد إنجاز بعض الأفلام الإضافية، إذا حصلت على أدوار محترمة". كانت متحمسة لذلك مجدداً. "أستطيع السفر في كل أرجاء الأرض، مثلما فعلت حين كنت متزوجة بجايسون، وحتى عندما كنت معك. لا أريد أحداً في المنزل يتذمر من الأمر، أو ربما حتى يلاحقني في كل مكان. أريد حياتي الخاصة. وحتى لو لم أعد إلى تصوير الأفلام، أريد أن أكون حرّةً في فعل ما يحلو لي. لي أنا، للأمم المتحدة، للقضايا التي أنا مقتنعة بها. أريد قضاء الوقت مع ولديّ، وتأليف هذا الكتاب، إذا استطعت تشغيل جهاز الكمبيوتر مجدداً. لن أكون زوجة جيدة".

"أحبك مثلما أنت".

"وأنا أيضاً، أحبك. لكنني لا أريد الارتباط أو إجراء هذا النوع من الالتزام. وأكثر من أي شيء آخر، لا أريد أن يتحطم قلبي مجدداً". هذا هو الأساس بالنسبة إليها، أكثر من مهنتها وقضاياها. إنها خائفة جداً. تعرف تماماً أنها مغرمة به مجدداً. وهذا خطير لها. لا تريد أن تستسلم له الآن. كان الأمر مؤلماً جداً في المرة الأخيرة، على الرغم من أنه لم يعد متزوجاً.

"لن أحطم قلبك هذه المرة"، قال وهو يشعر بالذنب.

"قد تفعل. يفعل الأشخاص هذا لبعضهم. هذا هو الحب. القبول بالمجازفة بقلب محطم. لن أفعل. لدي قلب محطم. لم أحبه. لا أريد الحصول على آخر،

خصوصاً من الرجل نفسه الذي أعطاني الأول. لا أريد أن أتألم بهذا القدر مجدداً، أو أحب بهذا القدر مجدداً. عمري خمسين سنة، وأنا كبيرة جداً لأبدأ ذلك". لا تبدو هكذا، لكنها تشعر به، خصوصاً بعد الانفجار.

"هذا سخيف. أنت امرأة شابة. ثمة أشخاص أكبر منا يتزوجون طوال الوقت". كان يائساً لإقناعها، لكنه لاحظ أنه لا ينجح.

"إنهم أكثر شجاعة مني. عشت معك ومع شون وجايسون. هذا كافٍ. لا أريد فعل ذلك مجدداً". كانت صارمة في ما تقوله، وعرف أنها تعني فعلاً ذلك. وكان مصمماً أيضاً على تبديل رأيها. كانا لا يزالان يتناقشان بشأن الأمر حين غادرا المطعم، ولم يصل معها إلى أي نتيجة. لم يشأ أن تنتهي المسألة بهذه الطريقة. "كما أحب حياتي في لوس أنجلوس. لا أريد العيش في فرنسا مجدداً".

"لمَ لا؟".

"لست فرنسية. أنت فرنسي. أنا أميركية. لا أريد العيش في بلد شخص آخر".

"فعلت ذلك سابقاً. أحببت هنا"، أصرّ وهو يحاول تذكيرها، لكنها تتذكر كل شيء جيداً. لهذا السبب، يخيفها. كانت خائفة من نفسها أكثر مما هي خائفة منه هذه المرة. لا تريد اتخاذ قرار سيئ.

"نعم، فعلت. لكنني كنت سعيدة حين عدت إلى وطني. أدركت حينها أنني لا أنتمي إلى هنا. هذا جزء من المشكلة بيننا. الاختلافات الثقافية، مثلما كنت تسميها. كان مناسباً لك أن تعيش معي وتبقى متزوجاً بها، وحتى إنجاب طفل خارج مؤسسة الزواج. لا أريد العيش في مكان يفكرون بطريقة مختلفة عما أفكر. في النهاية، تتأذى حين تحاول أن تكون شخصاً لست عليه في مكان لا تنتمي إليه". لاحظ الآن أن الألم الذي سببه لها جرحها في الصميم لدرجة أنه بعد خمس عشرة سنةً، لا تزال الندوب قوية، لا بل أقوى مما هي في وجنتها. الندوب التي تركها فيها كانت عميقة جداً. لقد أثرت في شعورها تجاه فرنسا والفرنسيين. كل ما تريده هو

العودة إلى المنزل، وعيش بقية سنواتها لوحدها في سلام. تساءل كيف أقنعها شون بالزواج به. ثم تخلى عنها مجدداً حين مات. لقد أقفلت الآن أبواب قلبها.

تحدثا عن الموضوع طوال طريق عودتهما إلى الفندق، وودعا بعضهما في السيارة. لم تشأ أن يصعد معها إلى الأعلى هذه المرة. قبّلته برقة على الشفتين، وشكرته على العشاء، وخرجت من السيارة بسرعة.

"هلا فكرت في الأمر؟"، توسلها.

"لا، لن أفعل. فكرت في الأمر قبل خمس عشرة سنةً. لكنك لم تفعل. كذبت عليّ ماتيو، وعلى نفسك. أوقفت حياتي لثلاث سنوات تقريباً. ماذا تريد مني الآن؟". كانت عيناها كبيرتين وحزينتين، ولاحظ أن الأمر ميؤوس منه، لكنه لم يشأ تصديق ذلك.

"سامحيني. دعيني أحبك وأهتم بك لبقية حياتي. أقسم إنني لن أخذلك هذه المرة". لاحظت أنه يقصد ذلك فعلاً.

"أستطيع الاعتناء بنفسي"، قالت بحزن، وهي تنظر إليه عبر النافذة المفتوحة في السيارة بعدما خرجت. "أنا متعبة جداً لأجازف بهذه الطريقة مجدداً". استدارت حينها وصعدت بسرعة على درج الريتز، ولحق بها الحارسان. راقبها ماتيو حتى اختفت، ثم ذهب. انهمرت دموع صامتة على وجنتيه فيما عاد إلى المنزل. عرف الآن ما كان يخشاه طوال هذا الوقت، وأمل ألا يكون صحيحاً. لقد خسرها.

الفصل الثامن عشر

كانت كارول هادئة على نحو غير اعتيادي فيما جلست إلى طاولة الفطور مع ستيفي، فيما تناولت ستيفي عجة بالبيض وعدداً من شرائح الخبز بالشوكولا.

"سيصبح وزني ثلاثة آلاف باوند حين نعود إلى المنزل"، تذمرت ستيفي، فيما قرأت كارول الصحيفة بصمت. تساءلت ستيفي ما إذا كانت كارول بخير. بالكاد لفظت كلمة منذ أن استفاقت.

"كيف كان العشاء الليلة الماضية؟"، سألتها ستيفي أخيراً، فيما وضعت كارول الجريدة. جلست إلى الخلف على كرسيها وتنهدت.

"كان جيداً".

"إلى أين ذهبتما؟".

"لورانجوري، في جزيرة سان لويس. اعتدنا أنا وماتيو الذهاب إلى هناك طوال الوقت". إنه أحد مطاعمه المفضلة، وأصبح أحد مطاعمها المفضلة أيضاً، مثل لو فولتير.

"هل أنت بخير؟".

أومأت كارول برأسها إجابة عن السؤال. "متعبة فقط. كان المشي يفيدني". إنها تخرج مع ماتيو كل يوم، ويمشيان لساعات عدة فيما يتحدثان.

"هل كان غاضباً من المقالة في الهيرالد تريبيون؟".

"قليلاً. سيتخطى الأمر. لا أعرف كيف يمكن أن يكون مستقيماً أخلاقياً بشأن ذلك. إنهم محقون. من الغريب أن أحداً لم يعرف بالعلاقة من

قـبل، علـى الرغم من أننا كنا نتوخى الحذر كثيراً في تلك الأيام. خاطر بالكثير من الأمور، تماماً مثلي أنا. لقد نسي".

"قد يمرّ الخبر على أي حال"، طمأنتها ستيفي. "لا يستطيع أحد إثبات أي شـيء الآن علـى أي حـال. مضى وقت طويل جداً". أومأت كارول برأسـها مجـدداً. إنها توافقها الرأي. "هل استمتعت؟". هزّت كارول هذه المرة كتفيها، ثم نظرت عبر الطاولة إلى مساعدتها وصديقتها.

"اقترح عليّ".

"ماذا؟".

"اقتـرح علـيّ الزواج". كان وجهها خالياً من التعبير. بدت ستيفي مذهولة، ومن ثم مسرورة، لكن كارول لم تكن كذلك.

"اللعنة! ماذا قلت؟".

"قلت لا". كان صوتها هادئاً مجدداً، فيما حدقت ستيفي إليها.

"حقـاً؟ كان لديّ إحساس بأنكما ما زلتما تحبان بعضكما، وظننت أنه كان يحاول إصلاح الأمور مجدداً".

"إنه يفعل. أو فعل". تساءلت كارول ما إذا كان سيتحدث إليها مجدداً. لقد جُرح ربما في الليلة الفائتة.

"لماذا قلت لا؟". على الرغم من أنه أقلقها في البداية، خاب الآن أمل ستيفي.

"لقد فات الأوان. أصبح هناك الكثير من الماء تحت الجسر. ما زلت أحبه، لكنه يؤلمني كثيراً. كان صعباً جداً. ولا أريد الزواج مجدداً. أخبرته ذلك الليلة الماضية".

"أسـتطيع فهـم أول سببين، بشأن الألم. لكن لماذا لا تريدين الزواج مجدداً؟".

"عـشت ذلك. فعلت ذلك. مطلقة. أرملة. قلب محطم في باريس. لمَ أحـتج إلـى المجازفـة بكل ذلك مجدداً؟ لا أريد. حياتي أسهل هكذا. أنا مرتاحة الآن".

"تبدين مثلي". بدت ستيفي مستاءة.

"أنت شابة، ستيفي. لم تتزوجي أبداً. عليك فعل ذلك مرة واحدة على الأقـل، إذا كـنت تحبين الرجل كفاية للقيام بهذا النوع من الالتزام". إنها تـتحدث عن ألان. "أحببت الرجلين اللذين تزوجت بهما. جايسون تركني. والمـسكين شـون مات، وكان شاباً جداً. لا أريد أن أبدأ كل شيء مجدداً، خـصوصاً مع رجل حطم قلبي ذات مرة. لمَ المجازفة؟". لقد أحبته، لكنها تريد هذه المرة أن يتحكم عقلها في قلبها. هذا أكثر أماناً.

"نعـم، لكـن تبـين أنه لم يكن نذلاً معك، حسبما فهمت. على الأقل بحسب ما أخبرتني به. جعل نفسه يعلق في شباك الفوضى التي تحيط به. كـان يخـشى ترك زوجته، وكان موظفاً حكومياً رفيع المستوى، وجرى تعيينه لولاية أخرى، مما زاد الأمور تعقيداً. لكنه تقاعد الآن من الوزارة، وماتـت هي، ولا يحتمل أن يسبب الفوضى نفسها مجدداً. كما أنه يجعلك سعيدة، أو هذا ما يبدو. هل أنا محقة؟".

"نعـم"، قالـت كـارول بصراحة. "إنه يفعل. لكن حتى لو لم يسبب الفوضـى نفـسها مجـدداً، ماذا سيحصل؟ يموت ويتركني محطمة القلب مجـدداً". بدت حزينة فيما قالت ذلك. "لا أريد المجازفة بقلبي مجدداً. فهذا يـؤذي كثيراً". كانت خسارة شون صعبة كفاية، وكذلك محاولة استعادتها حـياتها الطبيعية. استغرق الأمر سنتين. وخمس سنوات من البؤس بعدما تـركت ماتـيو في باريس. كانت تأمل في كل يوم أن يتصل ليقول لها إنه ترك زوجته، لكنه لم يفعل أبداً. بقي معها. إلى أن ماتت.

"لا يمكنك الاستسلام هكذا"، قالت ستيفي وهي تبدو حزينة عليها. لـم تـدرك أن كارول شعرت بالبؤس إلى هذه الدرجة. "لست أنت من يستسلم".

"لم أشأ حتى الزواج بشون. أجبرني على ذلك. لكنني كنت في عمرك حينها. أنا كبيرة جداً الآن لأفعل ذلك".

"في عمر الخمسين؟ لا تكوني سخيفة. تبدين في الخامسة والثلاثين".

"أشعر كأنني في الثامنة والتسعين. وقلبي عمره ثلاثمئة واثنتي عشرة سنة. صدقيني، لقد عانى مراراً".

"هيا، كارول. لا تقولي لي هذا. أنت متعبة الآن لأنك عشت تجربة مريعة. شاهدت وجهك حين جئنا إلى باريس لإغلاق المنزل. لقد أحببت هذا الرجل".

"هذا هو رأيي. لا أريد أن أشعر هكذا مجدداً. كنت محطمة. ظننت أنني سأموت حين غادرت هنا وقلت له وداعاً. بكيت عليه كل ليلة طوال ثلاث سنوات. أو اثنتين على الأقل. من يحتاج إلى ذلك؟ ماذا لو تركني أو مات؟".

"وماذا لو لم يفعل؟ ماذا لو كنت سعيدة معه، بشكل حقيقي هذه المرة، غير مسروقة أو مستعارة أو مختبئة؟ أقصد سعيدة فعلاً، في شراكة ناضجة وحياة سعيدة. هل تريدين المخاطرة بتفويت هذا؟".

"نعم". لم يكن هناك أي شك في صوت كارول.

"هل تحبينه؟".

"نعم، أحبه. وهذا مذهل جداً، حتى بالنسبة إليّ، بعد كل هذا الوقت. أظن أنه رائع. لكنني لا أريد الزواج به، أو بأي شخص آخر. أريد أن أكون حرة لأفعل ما أريده. أعرف كم يبدو هذا أنانياً. لقد كنت أنانية دوماً ربما. وهذا ما أزعج كلويه ربما، وما دفع جايسون إلى تركي من أجل امرأة أخرى. كنت مشغولة جداً في متابعة مهنتي لأكون نجمة سينمائية، وفوّتت ربما هذه المسألة المهمة. لا أظن أنني فعلت، لكنك لا تعرفين أبداً. ربّيت ولديّ، وأحببت زوجيّ. لم أترك أبداً شون دقيقة واحدة قبل أن يموت. أريد الآن أن أقوم بما أرغب بالقيام به، من دون القلق ما إذا كنت أؤذي أحداً، أو أخذله، أو أجرح مشاعره، أو أدعم قضية لا يحبها. إذا أردت ركوب الطائرة والسفر إلى مكان ما، يمكنني ذلك. إذا لم أشأ الاتصال بالمنزل، لا أتصل. ولن يزعج ذلك أحداً. لا يوجد أحد الآن في المنزل على أي حال. بالإضافة إلى ذلك، أريد تأليف كتابي، من دون القلق

ما إذا كنت أخيب أمل أحد، أو يظن أنه يجدر بي التواجد في مكان ما لأفعل ما يلائمه. قبل ثماني عشرة سنةً، كنت مستعدة للموت من أجل ماتيو. كنت مستعدة للتخلي عن مهنتي من أجله، لو طلب مني ذلك. أو جايسون لهذا الغرض. أردت إنجاب أطفال من ماتيو وأن أكون زوجته. لكن هذا كان قبل وقت طويل. أنا الآن خائفة جداً للتخلي عن كل ذلك. أملك منزلاً أحبه، وأصدقاء أحبهم، وأرى ولديّ متى أستطيع. لا أريد البقاء هنا في باريس، متمنية لو أنني في مكان آخر. والأسوأ من ذلك، مع رجل قد يؤذيني، وقد فعل ذلك في الماضي".

"ظننت أنك أحببت باريس". بدت ستيفي مذهولة من كلامها. لقد فات الأوان فعلاً ربما. لم تصدق ذلك، لكن كارول أقنعتها تقريباً.

"أنا أحب باريس. أعشقها. لكنني لست فرنسية. لا أريد أن يقول لي أحد ما هو الخطب في بلدي، وكم أن الأميركيين بغيضون، أو أنني لا أفهم أي شيء لأنني جئت من بلد مختلف، غير متمدن على أي حال. عزا ماتيو نصف المشاكل إلى "الاختلافات الثقافية" لأنني توقعت منه أن يطلقها لكي يعيش معي. سواء أقلت إنني أملك عقلاً قديم الطراز أو مترمتاً، لم أشأ ببساطة المكوث مع زوج امرأة أخرى. أردت زوجاً لي أنا. تصورت أنه يدين لي بذلك. لكنه بقي معها". كان الأمر أكثر تعقيداً من ذلك، خصوصاً بسبب منصبه في الحكومة، لكن إصراره على أنه لا بأس في امتلاك عشيقة كان أمراً فرنسياً بحتاً، وقد أزعجها الأمر بشدة على الدوام.

"إنه حرّ الآن. لن تضطري إلى مواجهة ذلك. إذا كنت تحبينه، لا أفهم ما الذي يمنعك".

"أنا جبانة جداً"، قالت كارول بيأس. "لا أريد التعرض للأذى مجدداً. أفضل الهروب على أن يحدث ذلك مجدداً. فهذا يحصل دوماً".

"هذا حزين"، قالت ستيفي بحزن وهي تنظر إلى صديقتها.

"هذا حزين. كان الأمر حزيناً قبل خمس عشرة سنة حين تركته. كان حزيناً جداً. شعر كلانا بالإحباط. بكينا معاً في المطار. لكن لم يعد بإمكاني

البقاء أكثر، مثلما كانت الأمور. وقد يكون الأمر مختلفاً ربما. أولاده، عمله. بلده. لا أستطيع تخيله وهو يعيش خارج فرنسا. ولا أريد العيش هنا، ليس بدوام كامل على أي حال".

"ألا يمكنكما التوصل إلى تسوية بطريقة ما؟"، سألت ستيفي، وهزّت كارول رأسها.

"من الأبسط عدم فعل أي شيء على الإطلاق. لن يخيب أمل أحد، أو يشعر أنه حصل على أقل مما يستحقه. لن نؤذي بعضنا، أو نهين بعضنا، أو نقلل من احترام بعضنا. أظن أننا كبرنا جداً نحن الاثنان". لقد حسمت أمرها وما من شيء سيغيره. عرفت ستيفي كيف تكون حين تصبح في هذه الحالة. كانت كارول عنيدة.

"إذاً، ستكونين وحيدة لبقية حياتك، مع ذكرياتك، ورؤية ولديك مرات قليلة في السنة؟ ماذا يحصل حين يصبح لكل منهما حياته وأولاده، وبالكاد يملكان الوقت لزيارتك؟ ماذا يحصل حينها؟ تنجزين فيلماً مرة كل بضع سنوات، أو تستسلمين؟ تأليف كتاب، إلقاء خطاب بين الحين والآخر لقضية معينة قد لا تهمك حينها؟ كارول، هذا أسخف شيء سمعته في حياتي".

"أنا آسفة لأنك تشعرين بهذه الطريقة. هذا منطقي بالنسبة إليّ".

"لن يكون الأمر منطقياً بعد عشر سنوات أو خمس عشرة سنةً، حين تصبحين وحيدة وتشتاقين إلى كل تلك السنوات معه. قد يكون مات حينها، وتكونين فوتت فرصة العيش مع رجل أحبك فعلاً طوال عشرين سنة. فما تملكانه أنتما الاثنان تحدى كل المآسي والوقت. لا تزالان تحبان بعضكما. لمَ لا تستفيدين من الأمر حين يمكنك ذلك؟ لا تزالين شابة، وجميلة، وتملكين بعض الوقت في مهنتك. لكن حين يذهب ذلك، ستصبحين لوحدك. لا أريد أن يحصل ذلك لك". كانت ستيفي حزينة جداً عليها.

"ما الذي يفترض بي فعله إذاً؟ التخلي عن كل شيء من أجله؟ التوقف عن أن أكون من أنا؟ التخلي تماماً عن تصوير الأفلام؟ التخلي عن العمل الذي أقوم به لليونيسيف؟ والجلوس هناك لشبك اليدين معه؟ ليس هذا

ما أريد أن أكون عليه حين أكبر. عليّ احترام نفسي، وتكريم ما أعتقد به. وإذا لم أفعل، من سيفعل؟".

"ألا يمكنك الحصول على الأمرين معاً؟"، قالت ستيفي وهي تبدو محبطة. أرادت أن يكون لكارول في حياتها شيء أكثر من العمل الخيري، وتصوير فيلم بين الحين والآخر، وقضاء عطلات الأعياد مع الولدين. تستحق أن تكون محبوبة وسعيدة أيضاً، وتستمتع بصحبة أحدهم لبقية حياتها، أو لأي فترة. "هل يجدر بك أن تكوني جان دارك وأن تحافظي على العزوبية لتكوني صادقة مع نفسك؟".

"ربما"، قالت كارول عبر أسنانها المطبقة. كانت ستيفي تزعجها، وهذا هو تماماً ما أملت فعله، لكنها لا تظن أنها تنجح في إقناعها.

عادت المرأتان إلى قراءة الصحف، وهما تشعران بالاستياء من بعضهما. نادراً ما حصل أن اختلفتا حتى هذه الدرجة. لم تتحدثا إلى بعضهما إلى أن جاءت الطبيبة لزيارة كارول ظهراً.

كانت مسرورة بتقدم كارول، وبالمشي الذي تقوم به. فقوة العضلات في ساقيها باتت أفضل، وأصبح توازنها الآن جيداً، وتتحسن ذاكرتها بشكل كبير. كانت الطبيبة واثقة من أن كارول تستطيع العودة إلى لوس أنجلوس مثلما خططت. فما من سبب طبي يمنعها من فعل ذلك. قالت الطبيبة إنها ستأتي لرؤيتها مجدداً بعد أيام قليلة، وطلبت منها الاستمرار في ما تقوم به. قالت بضع كلمات للممرضة، ثم غادرت للعودة إلى المستشفى.

طلبت ستيفي الغداء لكارول بعدما غادرت الطبيبة، لكنها تركتها لوحدها على الطاولة وتناولت الغداء في غرفتها الخاصة. كانت منزعجة جداً مما قالته كارول لها لتتمكن من الثرثرة معها خلال الغداء. رأت أن كارول ترتكب أكبر غلطة في حياتها. فالحب لا يأتي في كل يوم، وإذا وقع في حضن كارول مجدداً، رأت ستيفي أن التفريط به هو جريمة. والأسوأ من ذلك الهروب لأنها كانت خائفة من التعرض للأذى مجدداً.

شعرت كارول بالضجر لوحدها إلى طاولة الغداء. قالت ستيفي إنها تعاني من صداع، شكّت كارول في أن يكون صحيحاً. لم تحرجها في ذلك، وبعدما ذرعت غرفة الجلوس في جناحها لبعض الوقت، اتصلت أخيراً بماتيو في مكتبه. ظنت أنه قد يكون خرج لتناول الغداء، لكنها اتصلت به على أي حال. حوّلتها السكرتيرة إليه على الفور. كان يتناول سندويشاً أمام مكتبه، وكان في مزاج سيئ طوال اليوم. أزعج سكرتيرته مرتين، وأغلق باب مكتبه بقوة بعد التحدث إلى زبون أزعجه. بدا جلياً أنه لا يتمتع بيوم جيد. لم تشاهده أبداً هكذا. وكانت حذرة حين أخبرته بهوية المتصلة. أخذ الاتصال على الفور، آملاً في أن تكون كارول بدّلت رأيها.

"هل أنت منزعج جداً للتحدث إليّ؟"، قالت كارول بصوت هادئ.

"لست منزعجاً منك، كارول"، قال بحزن. "أتمنى أنك تتصلين بي لتخبريني أن قلبك تبدل. لا يزال العرض سارياً". ابتسم. سيبقى كذلك إلى الأبد، طالما أنه على قيد الحياة.

"لم أفعل. أعرف أنني محقة. بالنسبة إليّ. أنا خائفة جداً من الزواج مجدداً. في الوقت الحاضر على أي حال. ولا أريد فعل ذلك. تحدثت إلى ستيفي بشأن الموضوع هذا الصباح، وأخبرتني أنني سأبدل رأيي بعد عشر سنوات أو خمس عشرة سنة".

"أكون متّ حينها"، قال بطريقة عملية فيما ارتعدت كارول.

"من الأفضل ألا تفعل. ماذا كان العرض؟ قصير الأمد أو طويل الأمد؟".

"طويل الأمد. هل تلعبين معي؟". عرف أنه يستحق ذلك. يستحق أي شيء تعطيه له الآن، بعد ما فعله بها في الماضي.

"لست ألعب معك، ماتيو. أحاول العثور على نفسي، والشرف الذي أعتقد فيه وفي من أكون. أحبك، لكن عليّ تكريم نفسي، وإلاّ من أكون؟ هذا كل ما لديّ".

"لطالما كرّمت نفسك كارول. لهذا السبب تركتني. احترمت نفسك كثيراً لدرجة عجزت عن البقاء. لهذا السبب أحبك". إنه قرار صعب لكليهما، له هو آنذاك ولها هي الآن. إنهما يعلقان دوماً بين الخيارات المستحيلة التي لها علاقة باحترام الآخرين والذات، في الوقت نفسه أحياناً.

"هل تتناول العشاء معي الليلة؟"، سألته.

"أودّ ذلك". بدا مرتاحاً. كان يخشى ألا تراه مجدداً قبل أن تغادر.

"الفولتير؟"، سألته. ذهبا إلى هناك مئات المرات. "في الساعة التاسعة؟". إنها ساعة العشاء القياسية في باريس، حتى لو كانت باكرة نسبياً.

"رائع. هل تريدين أن أصطحبك من الفندق؟".

"سألاقيك هناك". أصبحت أكثر استقلالية مما كانت في الأيام الماضية، لكنه أحب ذلك فيها أيضاً. ما من شيء فيها لا يحبه. "شرط واحد"، أضافت فجأة.

"ماذا؟". تساءل عما كانت تريده.

"لن تطلب يدي للزواج مجدداً".

"ليس الليلة. لكنني لن أقبل بذلك على المدى الطويل".

"حسناً. هذا جيد". جوابها دفعه إلى الأمل في أن يتمكن من إقناعها يوماً ما. ربما بعدما تتعافى كلياً من حادثها، أو بعدما تنهي كتابها. سيقترح عليها الزواج مجدداً في يوم من الأيام، ويأمل في أن تقبل في النهاية. سينتظر، خصوصاً أنه انتظر خمس عشرة سنة، فلن يؤذيه الانتظار لبعض الوقت. أو حتى لوقت أطول. رفض الاستسلام، مهما قالت له.

وصلت إلى الفولتير في تمام الساعة التاسعة مساءً، في الكاي فولتير. كان الحارسان في السيارة معها، وكان ماتيو يقف عند باب المطعم حين وصلت. كانت ليلة صافية فيما هواء ديسمبر البارد يلفحهما. قبّلها على

وجئتها حين اقتربت منه، ونظرت إليه وابتسمت. كل ما يريد فعله هو إخبارها بأنه يحبها. شعر كأنه انتظرها طوال حياته.

جلسا في زاوية هادئة، وكان المطعم مزدحماً. أحضر النادل مازات نيئة إلى الطاولة مع خبز ساخن محمص وزبدة.

تناولا كل الطعام وصولاً إلى الحلوى من دون التطرق إلى الموضوعات الحساسة بالنسبة إليهما. وبعد الحلويات، فيما كانا يتناولان سكاكر الموكا بالشوكولا التي قالت إنها تبقيها مستيقظة طوال الليل، تطرق إلى الموضوع. خطرت له فكرة بعدما تحدث إليها بعد الظهر. إذا كانت لا تريد الموافقة على الزواج، يملك خطة أخرى.

"قبل زمن بعيد، حين التقيت بك، أخبرتني أنك لا تثقين بالأشخاص الذين يعيشون معاً. اعتقدتِ بالالتزام الكامل للزواج. ووافقت معك. يبدو أنك لم تعودي تفكرين بهذه الطريقة الآن. ما رأيك في نوع من التعايش الحر، بحيث يمكنك الذهاب والمجيء متى تريدين؟ سياسة مفتوحة الأبواب نوعاً ما". ابتسم لها، فيما استمرت في تناول سكاكر الموكا. لقد تناولت أصلاً ما يكفي لإبقائها مستيقظة حتى الأسبوع المقبل، وكذلك فعل هو. لكن من يحتاج إلى النوم حين يكون الحب على الأبواب؟ وربما لمدى العمر.

"ماذا يعني ذلك بالضبط؟". نظرت إليه باهتمام. إنه مبدع، وعنيد وقوي العزيمة، وكذلك هي. وهذا ما أبقاهما مع بعضهما قبل سنوات عدة. هذا وحقيقة أنهما أحبا بعضهما.

"لا أعرف. ظننت أنه يمكننا التوصل ربما إلى شيء يلائمنا نحن الاثنين. أفضل الزواج بك، لأكون صريحاً معك. فهذا يتطابق مع مفاهيمي، كما أنني أردت دوماً الزواج بك. أحب فكرة أن تكوني زوجتي، وأعرف أنك أحببت هذه الفكرة أنت أيضاً. لا نحتاج ربما إلى الأوراق أو الألقاب الآن، إذا كان الأمر يقيدك كثيراً. ماذا لو عشت معي في باريس لستة أشهر، وعشت أنا معك في لوس أنجلوس للأشهر الستة الأخرى في السنة؟ هكذا، يمكنك التحرك مثلما يحلو لك، والسفر، وإنجاز مشاريعك، وتصوير

الأفلام، والكتابة، ورؤية الولدين. سأكون بانتظارك متى شئت. هل يلائمك ذلك بصورة أفضل؟".

"لا يبدو هذا عادلاً لك"، قالت بصراحة. "ماذا ستستفيد من الأمر. ستكون لوحدك لوقت طويل". بدت قلقة فيما طرحت السؤال، وربتت على يدها.

"أحصل عليك، حبي. هذا كل ما أريده. وفي أي وقت يمكنك تخصيصه".

"لست واثقة من أن العيش معاً يبدو ملائماً لي، حتى الآن، على الرغم من أننا كنا سعيدين جداً حين فعلنا ذلك من قبل. لكن بدا غريباً جداً ألا أتزوج بك، ولا يزال الأمر كذلك الآن ربما". بالإضافة إلى ذلك، لن يحميها الاقتراح الذي يقدمه لها من التعرض للأذى مجدداً، أو من إمكانية ترك أحدهما للآخر. لكن ما من طريقة لضمان ذلك. لا توجد أي ضمانات. إذا كانت ستجازف بقلبها، عليها المجازفة به، مهما كانت طريقة عيشهما معاً. لكن الأشياء التي قالتها لها ستيفي هذا الصباح لم تمرّ مرور الكرام.

"أليس هذا ما تريدينه؟"، قال ببساطة.

"أخاف أن أتألم".

"وأنا أيضاً"، اعترف لها. "ما من طريقة للتأكد من أننا لن نتألم. إذا كنا نحب بعضنا ربما، علينا المجازفة بذلك. ماذا لو تأتين وتذهبين لبعض الوقت، ونرى كيف تجري الأمور؟ أستطيع الذهاب لزيارتك في لوس أنجلوس بعد عطلة الأعياد". عرفت أنه سيذهب مع أولاده، وأرادت أن تكون هي مع ولديها. ولحسن الحظ، ستذهب إلى زواج ستيفي في لاس فيغاس ليلة رأس السنة. "أستطيع الذهاب في الأول من كانون الثاني، إذا كان هذا يناسبك"، اقترح بتهذيب. "أستطيع البقاء معك للوقت الذي تريدينه. ثم تأتين أنت إلى باريس لزيارتي في الربيع. لماذا لا نجرب السفر جيئة وذهاباً لبعض الوقت، بحسب جداول مواعيدنا، ونرى كيف تجري

الأمور؟". عرفت أنه كان مستعداً للزواج بها، ولذلك لم تشعر أنه يحاول خداعها. إنه يبذل ما في وسعه لتوفير راحتها، ومنحها الحرية التي تريدها لنفسها. "كيف يبدو لك هذا؟".

"مثير". ابتسمت له. ليست مستعدة للالتزام بأي شيء. لكن مجرد النظر إليه أخبرها أنها تحبه. أكثر مما فعلت من قبل، وإنما بعقلانية أكبر. إنها تحمي نفسها هذه المرة. وعدم فعل ذلك يعيد توليد الفوضى التي عرفتها معه في المرة الأخيرة.

"هل ترغبين بفعل ذلك؟"، ألح عليها، وضحكت هي.

"ربما". ابتسمت مجدداً وتناولت مجموعة أخرى من سكاكر الموكا. راقبها وهي تفعل ذلك ثم ضحك. لطالما عجزت عن مقاومة سكاكر الموكا. ذكّره ذلك بالأيام الغابرة. فبعد تناول هذه السكاكر، كانت تبقيه مستيقظاً طوال الليل.

"ستبقين مستيقظة طوال أسابيع"، حذرها. أسف فقط لأنها لن تبقيه مستيقظاً هذه الليلة.

"أعرف"، ابتسمت بسعادة. أحبت فكرته. لم تشعر وكأنها تبيع روحها، أو تجازف كثيراً. لكنها قد تتأذى أيضاً لأنها لا تزال تحبه، لكنها تريد تجربة الأمر لترى كيف تسير الأمور معهما.

"هل أستطيع الذهاب لرؤيتك في شهر يناير؟"، سألها مجدداً، فيما ابتسما لبعضهما. أصبحت الأمور أفضل حالاً مما كانت عليه الليلة الماضية. أدرك الآن أنه تحرك بسرعة كبيرة. فبعد كل الألم الذي سببه لها من قبل، عرف الآن أنه عليه التصرف ببطء، واكتساب ثقتها مجدداً. عرف أيضاً كم هو مهم بالنسبة إليها أن تحترم ذاتها. لطالما كان الأمر بهذه الطريقة. لا تريد أن تبيع نفسها هذه المرة، من أجل راحته، أو بطريقة تلائم حياته. إنها تهتم بنفسها. وهي تحبه.

"نعم"، قالت بهدوء. "أودّ أن تأتي لزيارتي. وكم ستمكث؟ أسابيع؟ أياماً؟ أشهراً؟".

"أستطيع التدبر للمكوث شهرين تقريباً، لكنني لست ملزماً بالبقاء كل هذا الوقت. يعود الأمر لك أنت".

"دعنا نرى كيف ستسير الأمور"، قالت له وأومأ برأسه. أرادت إبقاء الأبواب مفتوحة، في حال أرادت التراجع.

"يبدو هذا ملائماً"، قال لها وهو يريد طمأنتها. لا يريد القيام بأي خطوة متسرعة وإخافتها مجدداً. ذكّر نفسه أيضاً أنها عاشت للتو محنة رهيبة وكادت تموت، وهذا ما جعلها تشعر بالضعف والخوف.

"أستطيع المجيء إلى باريس معك في شهر مارس، بعدما أذهب إلى تاهيتي مع كلويه. وربما البقاء هنا حتى الربيع، بحسب ما يجري في حياتي"، أضافت بسرعة.

"طبعاً". باتت هي الأكثر انهماكاً الآن بينهما، خصوصاً إذا تقاعد من شركة المحاماة. سيأخذ إجازة عمل في الوقت الحاضر. التوقيت مثالي بالنسبة إليه. إنه ينهي معظم مشاريعه خلال الأسابيع القليلة المقبلة، ولم يأخذ أي مشاريع جديدة. بدا وكأنه شعر بعودتها إلى حياته.

دفع فاتورة العشاء، وكانا آخر من غادر المطعم. لقد تأخر الوقت، لكنهما تناولا الكثير من الموضوعات. لقد اقترح عليها شيئاً تستطيع التعايش معه. لن يكون قلبها محمياً من الإصابات المحتملة، لكنها لن تتخلى عن حياتها من أجله. هذا مهم بالنسبة إليها الآن، أكثر مما كان من قبل.

أعادها إلى الفندق في سيارته، فيما لحقت بهما سيارتها. كاد يأخذها عبر النفق المشؤوم قرب اللوفر، لكنه انحرف في الدقيقة الأخيرة. أعيد فتح النفق مجدداً، لكنه لم يشأ اصطحابها عبره. كاد ينسى، لكنها لم تنسَ. فتحت عيناها ذعراً حين انعطف بالسيارة.

"أنا آسف"، قال معتذراً وهو ينظر إليها بعينين حنونتين. لا يريد أن يفعل أي شيء يزعجها أو يخيفها، بأي طريقة.

"شكراً"، قالت له وانحنت لتقبيله. أحبت الخطط التي أعدّاها للتو، وكذلك فعل هو. لم يكن هذا ما يريده بالضبط، لكنه عرف أنه يجدر به

كسب ثقتها مجدداً، وفهم احتياجاتها، وكيفية تبدل حياتها. إنه يرغب بفعل هذا من أجلها. كل ما يريده هو جعلها سعيدة.

وصلا إلى الفندق بعد خمس دقائق، وأخذها بين ذراعيه وقبّلها قبل أن تخرج من السيارة.

"شكراً، كارول، على منحي فرصة جديدة. لا أستحقها. لكنني أعدك أنني لن أخيّب أملك هذه المرة. أقسم لك". قبّلها مجدداً، فيما دخل معها الفندق، ممسكاً بيدها.

"أراك غداً؟". نظرت إليه بابتسامة مسالمة.

"سأتصل بك في الصباح. بعدما أتصل بآير فرانس".

رافقها حارساها إلى الغرفة، وكان يبتسم فيما عاد إلى سيارته. إنه رجل سعيد. ولن يفسد الأمر هذه المرة، وهذا أمر مؤكد.

استيقظت ستيفي في تمام الرابعة فجراً، وشاهدت الضوء في غرفة كارول. اقتربت على أطراف أصابعها، للتحقق من أنها على ما يرام. ذهلت لرؤيتها جالسة إلى مكتبها، متكئة فوق كمبيوترها. كان ظهرها مداراً لستيفي ولم تسمعها وهي تدخل.

"هل أنت بخير؟ ماذا تفعلين؟". ذهلت ستيفي لأن كارول لم تتمكن من استعمال الكمبيوتر منذ الحادث وهي تعمل عليه الآن بسرعة وغضب.

"أعمل على كتابي". نظرت من فوق كتفها بابتسامة عريضة. لم ترها ستيفي على هذا النحو منذ الفترة التي سبقت مرض شون. سعيدة، تعمل، وحيوية. "عرفت كيف أدير الكمبيوتر، وكيف أعيد حبك الرواية. سأبدأ كل شيء مجدداً وأتحقق مما كتبته سابقاً. أعرف أين أنا ذاهبة الآن".

"واو!". ابتسمت ستيفي لمديرتها. "تبدين وكأنك تسيرين بسرعة مئة مايل في الساعة".

"أنا أفعل هذا فعلاً. تناولت طبقين من سكاكر الموكا بالشوكولا في مطعم لوفولتير. تناولت ما يكفي لإبقائي مستيقظة لسنوات". ضحكت

كلتاهما، ثم استدارت كارول للنظر إليها مع تعبير امتنان. "شكراً على ما قلته لي هذا الصباح. عرفنا أنا وماتيو ما يجدر بنا فعله الليلة".

"هل ستتزوجان؟". نظرت إليها ستيفي بحماس، وضحكت كارول.

"لا. ليس الآن على أي حال. يوماً ما ربما، إذا لم نقتل بعضنا أولاً. إنه الشخص الوحيد الذي أعرفه وهو أكثر عناداً مني. سنسافر لزيارة بعضنا بين الحين والآخر، لنرى كيف تجري الأمور. في النهاية، يرغب بالعيش في لوس أنجلوس نصف السنة. سنعيش بهذه الطريقة في الوقت الحاضر". ضحكت، وهي تفكر في سخرية القدر القائلة بأنها لا تريد الزواج الآن، فيما يريد هو. لقد تبدلت الأدوار.

"هذا جيد"، قالت ستيفي بسعادة. "أتمنى أن تتزوجي به يوماً ما. أظن أنه الرجل المناسب لك. لا بد أنك رأيت هذا أيضاً وإلا لما كنت تحملت كل ذلك الأسى قبل سنوات".

"نعم. أظن ذلك أيضاً. أحتاج فقط إلى الوقت. كانت مسألة صعبة".

"هناك بعض الأمور الصعبة، لكنها تستحق العناء في النهاية". أومأت كارول برأسها وتثاءبت ستيفي. "كيف هو الكتاب؟".

"أحبه حتى الآن. عودي إلى السرير. أراك في الصباح".

"حاولي النوم قليلاً في النهاية"، قالت ستيفي فيما عادت إلى غرفتها. لكن لا يبدو أن هذا سيحصل في وقت قريب. كانت كارول يقظة وتعمل مجدداً.

الفصل التاسع عشر

أمضى كارول وماتيو الليلة الأخيرة في باريس بتناول العشاء في مطعم جديد سمع عنه وأراد تجربته. كان الطعام ممتازاً، والجو رومنسياً وحميماً، وأمضيا وقتاً جميلاً. لقد حضر خططه، وسيذهب إلى لوس أنجلوس في الثاني من شهر يناير. سيعود من عطلة التزلج في فال ديزير مع أولاده في اليوم الذي قبله. تحدثا عن خططهما للعطلات، وأخبرته بشأن قضائها المزيد من الوقت مع كلويه قبل ذكرى الميلاد. ليس بالأمر الكثير، لكنه بداية.

"لم تخدعيها يوماً في أي شيء، تعرفين ذلك"، طمأنها. لا يزال يعتبر استياء كلويه من أمها غير منطقي، نظراً لما رآه هو حين كانت طفلة. إلا أن انطباعات كلويه في ذلك الوقت كانت مختلفة.

"تظن أنني خدعتها. هذا هو المهم ربما. البعيد عن العين، بعيد عن القلب. لديّ بعض الوقت لأقضيه معها، فلمَ لا أفعل؟". على الرغم من أنهما يملكان وقتاً قصيراً قبل وصول والدها وشقيقها.

لم يكن هناك أي شيء حزين في أمسيتهما معاً، لأن كارول عرفت أن ماتيو سيذهب إلى لوس أنجلوس خلال أسبوعين. إنها تتطلع لقضاء عطلة الميلاد مع ولديها وجايسون. وتأمل في أن تذهب إلى لاس فيغاس ليلة رأس السنة لحضور زفاف ستيفي. وعلى الرغم من ذلك، قالت ستيفي إنها ستأتي معها إلى باريس في شهر مارس أو أبريل. ألان مستعد تماماً ليكون متفهماً. وفي مرحلة ما، تنوي كارول التجربة من دونها لبرهة. قد

تقوم هي وماتيو ببعض الرحلات في إيطاليا وفرنسا. تأمل في أن تكون أنجزت قسماً مهماً من كتابها في هذه المرحلة.

حين وصلت الحلويات، سحب شيئاً من جيبه وأعطاها علبة كارتييه. إنها هدية الميلاد التي اشتراها لها.

فتحت العلبة بحذر، وارتاحت لرؤية أنها لم تكن علبة خاتم. ما من شيء رسمي في علاقتهما بعد. إنهما يحاولان تكييفها بحسب رغباتهما. حين فتحت العلبة، لاحظت أنها سوار ذهبي جميل. إنه بسيط جداً باستثناء ثلاث ماسات محفورة فيه. طلب حفر عبارة داخل السوار، وقال إن هذه العبارة هي أفضل ما في السوار. حملت السوار قرب الشمعة على الطاولة لتتمكن من قراءة العبارة المحفورة فيها، وحين فعلت، تلألأت الدموع في عينيها. قالت العبارة: "كرّمي ذاتك. أحبك. ماتيو". قبّلته ووضعت السوار. إنها طريقته ليقول لها إنه موافق على ما تفعله ويحبها مثلما هي. إنها دليل احترام وحب على حد سواء.

لقد أحضرت له هدية هي أيضاً، وابتسم حين رأى أن الهدية من المحل نفسه. فتحها بحذر مثلما فعلت هي، ورأى أنها ساعة ذهبية أنيقة. أهدته واحدة قبل سنوات ولا يزال يضعها حتى الآن. عرفت أرليت أنها منها، وامتنعت عن التعليق. إنها قطعة المجوهرات الوحيدة التي وضعها، وعرفت كم تعني بالنسبة إليه. جعلت كارول هديتها له محفورة أيضاً. فقد كتب على متن الساعة "ميلاد سعيد. أحبك. كارول". كان مسروراً بهديتها بقدر ما كانت هي مسرورة بهديته.

كان المطعم قريباً جداً من الفندق وعادا مشياً إلى الريتز ببطء، فيما مشى الحارسان خلفهما. أصبحت كارول معتادة عليهما الآن، وكذلك هو ماتيو. توقفا أمام الريتز وقبّلا بعضهما فيما ومضت كاميرا أمام وجهيهما. التفتا، وهمست له كارول بسرعة "ابتسم". وهكذا فعل، ثم ضحك كلاهما والتقط لهما البابارازتي صورة مجدداً. "طالما أنهم عثروا عليك، يمكنك الابتسام جيداً للكاميرا"، قالت وهي تنظر إليه، ثم ضحك مجدداً.

"أبدو دوماً مثل مجرم حين يفاجئني المصورون".

"تذكر أن تبتسم في المرة المقبلة"، قالت كارول فيما دخلا إلى ردهة الفندق. لا يهتمان إذا ظهرا في الصحافة. ما من شيء ليخبآه.

أوصلها إلى غرفتها وقبّلها مجدداً في غرفة الجلوس في جناحها. كانت ستيفي قد خلدت إلى النوم، بعدما وضّبت آخر أغراضها. كان كمبيوتر كارول لا يزال على الطاولة، لكنها لا تنوي العمل عليه هذه الليلة.

"ما زلت مدمناً عليك"، قال لها بشغف، فيما قبّلها مجدداً. إنه يتطلع إلى الاكتشافات التي سيقومون بها حين يذهب إلى لوس أنجلوس للمكوث معها. لا يزال يذكر تماماً كم كان ذلك رائعاً من قبل.

"لا تفعل"، قالت كارول بهدوء إجابة على تعليقه. لا تريد جنون ما تشاركاه في الماضي. تريد شيئاً مسالماً وحنوناً، وليس الشغف المؤلم الذي عاشاه سابقاً. لكن عند النظر إليه، تذكرت أنه ليس شون. إنه ماتيو. إنه رجل قوي وشغوف، لطالما كان كذلك، ولا يزال هكذا، على الرغم من سنّه. ما من شيء هادئ أو فاتر في ماتيو. لم يكن شون هكذا أيضاً، لكنه كان رجلاً من نوع مختلف. ماتيو هو قوة جارفة، والرجل المثالي لها. يمكن لطاقتهما معاً أن تنير العالم. هذا ما أخافها في البداية، لكنها بدأت تعتاد عليه مجدداً.

كان كلاهما يضعان هدايا الميلاد التي قدماها لبعضهما، وجلسا في غرفة جلوس جناحها لوقت طويل وتحدثا. إنه أحد الأمور التي يجيدانها، وتأتي البقية في وقت قريب كفاية. لم يجرؤ أي منهما على المباشرة في علاقة جسدية أقوى. لقد أصيبت بقوة منذ فترة وجيزة، ونصحتها الطبيبة بالانتظار، الأمر الذي بدا أكثر حكمة بالنسبة إليهما. لا يريد فعل أي شيء يعرضها للخطر، وكان قلقاً بشأن الرحلة.

سيأتي ماتيو لاصطحابها إلى المطار في الصباح. سيغادرون في الساعة السابعة، وعليها التواجد في المطار في الساعة الثامنة من أجل رحلة الساعة العاشرة صباحاً. الطبيب الجراح الذي يسافر معهما وعدها

بالوصول إلى الريتز في السادسة والنصف صباحاً ليفحصها قبل المغادرة. أعدّ الترتيبات مع ستيفي وأخبرها أنه متحمس للرحلة.

غادر ماتيو الغرفة أخيراً بعد الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. بدت كارول مسالمة وسعيدة حين نظفت أسنانها وارتدت ثوب نومها. إنها متحمسة لقدومه إلى لوس أنجلوس، ولكل شيء تنوي فعله قبل وصوله. لديها الكثير لتتطلع إليه في الأسابيع القادمة. إنها حياة جديدة بالكامل.

أيقظتها ستيفي في السادسة من صباح اليوم التالي. كانت كارول قد ارتدت ثيابها وتناولت الفطور حين وصل الطبيب الشاب. بدا مثل ولد. ودعت طبيبة الأعصاب في اليوم السابق، وأهدتها ساعة كارتييه أيضاً، هي ساعة عملية من الذهب الأبيض. كانت الطبيبة متحمسة جداً للهدية.

وصل ماتيو في تمام السابعة صباحاً. كان يرتدي بزة وربطة عنق، كما يفعل دوماً، وقال إن كارول تبدو مثل فتاة شابة في سروال الجينز والكنزة الرمادية الفضفاضة. أرادت أن تكون مرتاحة في الرحلة. وفي حال التقط لها المصورون الفوتوغرافيون صوراً، وضعت بعض الماكياج. كانت تضع سواره، وتلألأت الماسات في ذراعها. وضع ماتيو ساعته الجديدة بفخر، وأعلن الوقت لكل من يهمه الأمر، فيما ضحكت كارول. كان كلاهما سعيدين ومسترخيين.

"أنتما ظريفان"، قالت ستيفي فيما جاء الحاجب لحمل الحقائب. ومثلما تفعل دوماً، كانت قد نظمت كل شيء. تركت بقشيشاً لخدمة الغرف والخادمات، والحجّاب الذين ساعدوا، ومساعديّ المدير على مكتب الاستقبال. هذا ما فعلته. تأثر ماتيو فيما رافقت الطبيب الشاب عبر باب الغرفة، وحملت كمبيوتر كارول وحقيبة يد كبيرة، وتدبّرت أمر أمتعتها الخاصة، وصرفت الممرضة، وتحدثت إلى الحارسين.

"إنها ممتازة"، قال لكارول فيما أخذا المصعد للوصول إلى ردهة الفندق.

"نعم، إنها كذلك. إنها معي منذ خمس عشرة سنة. ستأتي معي حين أعود في الربيع".

"ألا يمانع زوجها؟". أخبرته كارول أن ستيفي قد تتزوج.

"لا يبدو ذلك. أنا جزء من الصفقة". ابتسمت له ابتسامة عريضة.

ذهبوا إلى المطار في سيارتين، فركبت كارول في سيارة ماتيو، فيما ركبت ستيفي والطبيب والحارسان في سيارة الليموزين المستأجرة. التقط المصورون الفوتوغرافيون، الذين باتوا مألوفين الآن، صوراً لها في أثناء ركوبها في سيارة ماتيو. توقفت لدقيقة للابتسام والتلويح. بدت في كل حركة نجمة سينمائية مع ابتسامتها المشرقة، وشعرها الأشقر الطويل، وقرطيها الماسيين. لا يتخيل أحد أنها كانت مصابة أو مريضة. وبالكاد لاحظ ماتيو الندبة الخفيفة على وجنتها، بفضل الماكياج الماهر.

تحدثا بعفوية في الطريق إلى المطار، ولم تتوقف كارول عن تذكر المرة الأخيرة التي ذهب فيها إلى المطار معها، قبل خمس عشرة سنةً. كان صباحاً حزيناً لكليهما. لم تستطع التوقف عن البكاء طوال الرحلة. ظنت حينها أنها لن تراه أبداً مجدداً. على الرغم من التطمينات الغامضة التي قالتها، عرفت أنها لن تعود، وكذلك فعل هو. أما هذه المرة فكانت تبتسم كلها حين خرجت من السيارة إلى المطار، وتجاوزت رجال الأمن، وذهبت إلى قاعة الدرجة الأولى مع ماتيو، فيما تولت ستيفي أمر الحقائب. رتّبت له آير فرانس إمكانية عبور حواجز التفتيش معها، نظراً لمن يكون.

فحص الطبيب كل أعضائها الحيوية بطريقة متكتمة قبل نصف ساعة من الرحلة. إنها بخير. وهو يتطلع إلى السفر في الدرجة الأولى.

رافقها ماتيو إلى البوابة حين أعلنوا عن اقتراب موعد الرحلة، ووقفت تتحدث إليه حتى الدقيقة الأخيرة ثم أخذها بين ذراعيه.

"الأمر مختلف هذه المرة"، قال لها مشيراً إلى ما تذكرته هذا الصباح.

"نعم، إنه مختلف". كانا ممتنين للفرصة الثانية. "كان أحد أسوأ الأيام في حياتي"، قالت كارول بهدوء، وهي تنظر إليه.

"وأنا أيضاً"، قال وأمسكها قربه.

"اعتني بنفسك حين تصلين. لا ترهقي نفسك. لست مضطرة إلى فعل كل شيء دفعة واحدة"، ذكّرها. بدأت تعمل أكثر وتتحرك أسرع في الأيام القليلة الماضية. بدأت تشعر كما كانت من قبل.

"قالت الطبيبة إنني بخير"، قالت له.

"لا ترهقي نفسك"، أصرّ عليها، فيما جاءت ستيفي لتذكيرها بأن الوقت قد حان للصعود إلى الطائرة. أومأت كارول برأسها ونظرت إلى ماتيو مجدداً. عكست عيناه السعادة نفسها التي شعرت بها.

"استمتعي مع ولديك"، قال لها.

"سأتصل بك ما إن أصل"، وعدته. أعطته ستيفي سابقاً تفاصيل الرحلة.

قبّلا بعضهما، من دون مصورين هذه المرة لمقاطعتهما. بالكاد استطاعت كارول إبعاد نفسها عنه. قبل أيام قليلة فقط، كانت خائفة من فتح قلبها له مجدداً، وهي تشعر الآن أنها تقترب منه أكثر فأكثر يوماً بعد يوم. كانت حزينة لترك ماتيو، وإنما سعيدة للعودة إلى لوس أنجلوس أيضاً. كادت ألا تعود أبداً من هذه الرحلة. إنهم مدركون جميعاً لذلك، وبعد أن ابتعدت عنه أخيراً، مشت ببطء نحو الطائرة. توقفت، والتفتت، ونظرت إليه مع ابتسامة عريضة، هي الابتسامة نفسها التي تذكرها دوماً. إنها ابتسامة النجمة السينمائية التي جعلت عشاقها ينتشون في كل أرجاء العالم. وقفت تنظر إليه لبرهة طويلة، ولفظت له كلمة "أحبك"، ثم لوّحت له واستدارت ومشت إلى الطائرة. كانت رحلة غريبة، وهي الآن تعود إلى منزلها مع ماتيو في قلبها. هذه المرة مع الأمل، وليس مع القلب المحطم.

الفصل العشرون

كانت الرحلة إلى لوس أنجلوس خالية من أي حوادث. قام جراح الأعصاب الشاب بفحص أعضائها الحيوية مرات عدة، لكن كارول لم تواجه أي مشكلة من أي نوع. تناولت وجبتين، وشاهدت فيلماً سينمائياً، ثم حوّلت مقعدها إلى سرير والتفت تحت البطانية ونامت لبقية الرحلة. أيقظتها ستيفي قبل أن يصلوا لتتمكن من ترتيب ماكياجها وتنظيف أسنانها وتمشيط شعرها. ثمة احتمال كبير أن تكون الصحافة في انتظار الطائرة. قدمت لها شركة الطيران كرسياً نقالاً، لكنها رفضته. أرادت المشي وفق وتيرتها الخاصة. تفضل كثيراً قصة التعافي الغريب على منظر عودتها كامرأة عاجزة، لأنها ليست كذلك. على الرغم من الرحلة الطويلة، شعرت أنها أقوى مما كانت طوال أسابيع. يعود جزء من ذلك إلى الأمل الجديد الذي تتشاركه مع ماتيو، لكن الجزء الأكبر يعود ببساطة إلى إحساسها بالامتنان والسلام. فهي لم تنجُ فقط من تفجير النفق، وإنما رفضت أيضاً أن تُهزم.

نظرت خارج نافذتها بصمت، فرأت الأبنية وأحواض السباحة والمشاهد المألوفة والمعالم الأساسية في لوس أنجلوس. شاهدت إشارة هوليوود، وابتسمت ثم ألقت نظرة سريعة على ستيفي. جاء وقت ظنّت فيه أنها لن ترى هذه الأشياء مجدداً. تلألأت الدموع في عينيها. لقد حصل الكثير لها خلال الشهرين الماضيين. من المريع التفكير في الأمر فيما لامست الطائرة أرض المدرج ثم حطّت.

"أهلاً بك في بلدك"، قالت ستيفي مع ابتسامة عريضة، فيما نظرت كارول إليها وكادت تنفجر في البكاء بسبب الارتياح. كان الطبيب الشاب متحمساً جداً لوصوله إلى لوس أنجلوس. ستأخذه شقيقته من المطار ليمضي أسبوعاً كاملاً معها قبل أن يعود إلى باريس.

كانت كارول ومرافقاها من أول النازلين من الطائرة. ثمة شخص مهم جداً من الأير فرانس ينتظرهم لمساعدتهم على عبور الجمارك. ما من شيء تريد كارول التصريح عنه، باستثناء السوار من ماتيو. قبلت أخيراً بكرسي نقال لكي تعبر الممر الطويل المؤدي إلى قسم الهجرة. الطريق طويلة جداً عليها. تم إبلاغ الجمارك من قبل بوصولها. فجرى تحضير ورقة التصريح لها مسبقاً، وأخبروها عن المبلغ الواجب دفعه، فكتبت لهم شيكاً خلال دقائق قليلة. وبعد أن سلّمتهم الشيك، سلّمها الموظف المسؤول جوازات سفرهم ولوّح لهم.

"أهلاً بك آنسة باربر". ابتسم لها موظف الجمارك فيما نزلت عن الكرسي النقال تحسباً لوجود مصورين فوتوغرافيين في انتظارها حين تخرج من الباب. وكانت سعيدة لأنها فعلت ذلك إذ تواجد حشد كبير منهم هناك، يصرخون لها وينادونها باسمها فيما ومضت الكاميرات في وجهها. حصل ما يشبه الهتاف حين لمحوها ولوّحت لهم بيدها، ومشت بثبات، وبدت متألقة وقوية.

"كيف تشعرين؟... هل رأسك بخير؟... ماذا حصل؟... كيف هو شعور العودة؟". طرحوا عليها سيلاً من الأسئلة.

"رائعة! فقط رائعة!". ابتسمت ابتسامة كبيرة فيما أمسكت ستيفي بذراعها وساعدتها على شق طريقها. أوقفوها لخمس عشرة دقيقة لالتقاط الصور لها.

بدت متعبة حين دخلت الليموزين التي كانت تنتظرهما في الخارج. واستأجرت ستيفي ممرضة لتبقى معها في المنزل. لا تحتاج إلى رعاية طبية، لكن بدا من الأفضل ألا تبقى لوحدها في المنزل في البداية. اقترحت

كـــارول التخلي عن خدماتها ما إن يصل ولداها، أو على الأقل حين يصل ماتيو. من المريح وجود شخص هناك في الليل، وستكون ستيفي في منزلها مـــع رجلها وحياتها وسريرها. لقد غابت لوقت طويل جداً وسُرّت بالعودة هـــي أيضاً. خصوصاً بعد اقتراح آلان في أثناء غيابها. تريد الاحتفال معه الآن.

كـــان ماتيو أول من اتصل بكارول، ما إن خرجت من الباب تقريباً. كـــان قلقـــاً بشأنها ليلاً ونهاراً. كانت الساعة العاشرة ليلاً في باريس حين وصلت إلى المنزل، والواحدة بعد منتصف الليل في لوس أنجلوس.

"هـــل كـــان كـــل شيء على ما يرام؟"، سألها وهو يبدو قلقاً. "كيف حالك؟".

"بخيـــر. لم تحصل أي مشكلة على الإطلاق، حتى في أثناء الإقلاع والهـــبوط". قلق طبيبها نوعاً ما من التأثير الذي قد تحدثه تغيرات الضغط فيها أو تسبب بصداع قوي لها، لكن هذا لم يحصل. "كل ما قاله لي الطبيب هو الأكل ومشاهدة الأفلام".

"جـــيد. أنا مسرور لأن الأمور جرت بهذه الطريقة"، قال ماتيو وهو مرتاح.

"وأنا أيضاً"، اعترفت له. كانت قلقة هي أيضاً نوعاً ما.

"بـــدأت أشتاق إليك"، تذمّر لها، وبدا بمعنويات جيدة مثلها هي أيضاً. ســـيريان بعـــضهما خلال وقت قصير، ويمضيان حياتهما معاً، مهما كانت الطريقة، ويبدآن كل شيء مجدداً.

"وأنا أيضاً".

"مـــاذا ســـتفعلين أولاً؟" كان متحمساً. عرف كم أن العودة تعني لها الكثير بعد كل ما عانته.

"لا أعرف. التنزه والتجول وحمد الله لأنني هنا".

يـــشعر بالامتنان هو أيضاً. تذكر كم شعر بالصدمة حين رآها للمرة الأولـــى، علـــى جهاز التنفس في مستشفى لابيتييه سالبيتريير. بدت ميتة.

وكانـــت تقريباً كذلك. تعافيها أشبه بالولادة مجدداً، ويملكان الآن بعضهما. الأمر أشبه بالحلم لكليهما.

"يبدو منزلي جميلاً"، قالت وهي تلقي نظرة حولها، فيما لا تزال على الهاتف معه. "نسيت كم كان جميلاً".

"أتشوق لرؤيته".

أقفلا السماعة بعد دقائق قليلة، وساعدتها ستيفي على الاستقرار. وصلت الممرضة بعد عشرة دقائق، وكانت امرأة لطيفة متحمسة لرؤية كـــارول. لقد قرأت هنا، مثل كل الأشخاص الآخرين، وذهلت بالحادث الذي تعرضت له في فرنسا، وقالت إن بقائها على قيد الحياة بمثابة أمر غريب.

تجـــولت كارول في غرفتها ونظرت حولها. تتذكرها جيداً الآن، وقد فعلت ذلك قبل فترة. نظرت إلى الحديقة، ثم دخلت إلى مكتبها وجلست أمام الطاولة. لقد جهزت لها ستيفي الكمبيوتر. وذهبت الممرضة لتناول الغداء. طلبت ستيفي من عاملة التنظيف شراء بعض الحاجيات. كالعادة، إنها تفكر في كل شيء، وصولاً إلى أدنى التفاصيل. ما من شيء لا تفعله ستيفي.

جلـــست ستيفي وتناولت العشاء معها في المطبخ، مثلما كانا يفعلان غالباً. كانت كارول في منتصف سندويش الحبش حين بدأت تبكي.

"مـــا المـــشكلة؟"، سألت كارول برفق، لكنها عرفت. إنه يوم عاطفي بالنسبة إلى كارول، وحتى بالنسبة إليها.

"لا أصـــدق أننـــي هنا. لم أظن أبداً أنني قد أعود مجدداً". استطاعت أخيـــراً الاعتراف بالخوف المريع الذي عاشته. ليست مضطرة لأن تكون شـــجاعة بعـــد الآن. وحتى بعد نجاتها من التفجير، جاء الإرهابي الأخير لقتلها. هذا أكثر مما يستطيع كائن بشري تحمله.

"أنت بخير"، ذكّرتها ستيفي وعانقتها، ثم أعطتها محرمة لمسح أنفها.

"أنـــا آسفة. لا أظن أنني أدركت كم أن الأمر مريع. وحتى ماتيو... الأمر عاطفي جداً بالنسبة إلي".

"لديك الحق في ذلك"، ذكّرتها ستيفي. "يمكنك الوقوف هنا والصراخ إذا أردت. لديك الحق في ذلك".

أخـــذت الممرضة أطباق الطعام، وجلست كارول وستيفي إلى طاولة المطـــبخ لـــبعض الـــوقت. ثـــم حضّرت لها ستيفي كوباً من شاي الفانيلا وأعطتها إياها.

"عليك العودة إلى منزلك"، ذكّرتها كارول. "لا بد أن ألان قلق عليك".

"ســيأتي لاصـــطحابي خلال نصف ساعة. سأتصل بك وأبلغك بما يحدث". بدت ستيفي عصبية ومتحمسة.

"اســتمتعي بـــه. يمكنك إخباري غداً". شعرت كارول بالذنب لمقدار الـــوقت والحـــياة الذي أخذته منها. لطالما أعطتها ستيفي أكثر مما يبدو أو يعتبـــر واجـــباً طبيعياً. لقد أعطت جسدها وروحها لمديرتها ومهنتها، أكثر مما يفعل أي كائن بشري.

غـــادرت ستيفي بعد ساعة، حين ضغط ألان على الزمور مرتين في الخـــارج، وأسرعت إلى الباب، وتمنت لها الحظ. ساعدتها الممرضة على إفـــراغ حقائـــبها، ثـــم ذهبت إلى مكتبها وحدّقت خارج النافذة. الكمبيوتر ينتظـــرها، لكنها متعبة جداً للمسه. لقد أصبحت الساعة الثالثة بعد الظهر، أي منتصف الليل في باريس. إنها مرهقة.

خـــرجت إلى حديقتها بعد ظهر ذلك اليوم، واتصلت بولديها. ستصل كلـــويه فـــي الـــيوم التالي وقالت إنها بالكاد تستطيع الانتظار لرؤية أمها. أرادت كـــارول الاستراحة تلك الليلة، لكنها تريد الاعتياد على توقيت لوس أنجلـــوس، ولـــذلك لم تذهب إلى السرير إلا قرابة العاشرة مساء. لقد حلّ الـــصباح فـــي باريس. نامت كارول لحظة وضعت رأسها على الوسادة، وذهلـــت لوجـــود ســـتيفي هـــنا حين نهضت في اليوم التالي في العاشرة والنـــصف صـــباحاً. استيقظت حين دخلت ستيفي إلى غرفتها مع ابتسامة كبيرة.

"هل أنت مستيقظة؟".

"كـــم الـــساعة؟ لا بد أنني نمت اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة ساعة". استلقت كارول في السرير، ممددة، وتثاءبت.

"كـــنت بحاجـــة إلى ذلك"، قالت ستيفي فيما رفعت الستائر، لاحظت كارول على الفور أن هناك خاتماً ماسياً صغيراً في يدها اليسرى.

"إذاً؟"، قالـــت وهي تجلس في السرير مع ابتسامة نعسانة. عانت من صداع، وأخذت موعداً من طبيب الأعصاب وطبيب الأعصاب النفسي لهذا الصباح. إنهما يعملان كفريق واحد مع المرضى الذين يعانون من إصابات في الدماغ. تصوّرت أن الصداع طبيعي ربما بعد فارق التوقيت والرحلة. لم تكن قلقة.

"هل ما زلت حرّة ليلة رأس السنة؟"، سألت ستيفي، وهي تكاد تنفجر من الحماس، وابتسمت كارول ابتسامة عريضة.

"هل ستفعلينها؟".

"نعم"، قالت ستيفي، وهي تبدو خائفة قليلاً ورفعت الخاتم لفحصه. إنه خـــاتم ماســـي قديم صغير وإنما جميل، يلائم يدها. كانت ستيفي متحمسة، وسُرّت كارول لأجلها. تستحق كل السعادة التي منحتها إياها الحياة، بسبب الحـــب والـــراحة اللذين تعطيهما للآخرين، ولاسيما مديرتها. "سنذهب إلى لاس فيغاس صباح ليلة رأس السنة. حجز ألان غرفاً في بيلاجيو لنا، ولك أنت أيضاً".

"سأكون هناك. بكل جهوزيتي. يا الله، علينا الذهاب إلى التسوق. أنت بحاجـــة إلى فستان". بدأت كارول تصبح أكثر حيوية فيما قالت ذلك. إنها متحمسة لصديقتها.

"تستطيع الذهاب مع كلويه. عليك الاستراحة اليوم. كان يومك طويلاً البارحة".

نهـــضت كـــارول من السرير ببطء، وشعرت بالتحسن حين شربت كوب شاي وتناولت بعض التوست. ذهبت ستيفي معها إلى الطبيب، وتحدثا بشأن الزفاف خلال الطريق. قال طبيب الأعصاب إنها بخير، وطلب منها

تهوين الأمور. ذُهل عندما نظر إلى سجلاتها وقرأ تقرير الطبيبة من باريس. أعدّت له خلاصة نهائية بالإنكليزية.

"أنت امرأة محظوظة"، قال لها. توقّع لها أن تعاني من هفوات الذاكرة لمدة ستة أشهر إلى سنة، وهذا ما قالوه لها في باريس أيضاً. لم يعجبها الطبيب كثيراً، بل أحبت الطبيبة في باريس أكثر. لكنها ليست مضطرة لزيارته مجدداً قبل شهر واحد، لمجرد المراجعة. سيجرون لها حينها صورة جديدة للدماغ، لمراقبتها. وسيستمر المعالجون الفيزيائيون في العمل معها.

أما الطبيب الذي أثّر في كارول وستيفي معاً كان طبيبة الأعصاب النفسية. رأتها كارول في العيادة نفسها مباشرة بعد طبيب الأعصاب، الذي كان منهجياً ودقيقاً وصارماً جداً. أما طبيبة الأعصاب النفسية فكانت امرأة، دخلت بسرعة غرفة المعاينة لرؤية كارول وكأنها نور شمس. كانت صغيرة القامة، مع عينين زرقاوين كبيرتين ونمش، وشعر أحمر ساطع. تبدو مثل الجنية، وكانت ذكية جداً.

ابتسمت لكارول ما إن دخلت، وعرّفت عن نفسها بأنها الدكتور أونا أورورك، وهي إيرلندية مثل الجني الخبيث، مع حذاء إيرلندي غليظ. ابتسمت كارول لمجرد النظر إليها فيما قفزت الطبيبة باتجاه الطاولة مثل الشبح في معطفها الأبيض، وابتسمت للمرأتين الجالستين أمامها في كرسييهما. كانت ستيفي في غرفة المعاينة مع كارول لتوفير الدعم المعنوي لها ومساعدتها على إعطاء التفاصيل التي نسيتها ربما أو لا تعرفها.

"إذاً، سمعت أنك قمت ببعض التحليق في نفق في باريس. مؤثر جداً. قرأت عن ذلك. كيف كان؟".

"ليس ممتعاً كثيراً بقدر ما كان يفترض به"، علّقت كارول. "لم يكن هذا ما خططت له لرحلتي في باريس". ألقت حينها الدكتور أورورك نظرة سريعة على السجلات وعلّقت على فقدان الذاكرة وأرادت أن تعرف ماذا يجري.

"أفضل بكثير"، قالت كارول بصراحة. "كان الأمر غريباً جداً في البداية. لم أكن أعرف من أكون، أو من يكون أي شخص آخر. ضاعت ذاكرتي بالكامل".

"والآن؟". لاحظت عيناها الزرقاوان كل شيء، وكانت ابتسامتها دافئة. لديها ميزة إضافية لم تكن موجودة لديهم في باريس، لكن طبيب الأعصاب الجديد في لوس أنجلوس رأى أن العامل النفسي مهم، وتبرز الحاجة إلى ثلاثة أو أربعة اجتماعات معها على الأقل، على الرغم من أن كارول في حال جيدة.

"ذاكرتي أفضل بكثير. ما زلت أعاني من بعض الثغرات، لكنها لا تساوي شيئاً مقارنة بما كان حين استعدت وعيي".

"هل عانيت من نوبات اكتئاب؟ مشاكل في النوم؟ صداع؟ سلوك غريب؟ اكتئاب؟". أجابت كارول "لا" على كل الأسئلة السابقة، باستثناء صداع خفيف عانت منه هذا اليوم حين استيقظت. وافقت الدكتور أورورك مع كارول على أنها في حال ممتازة. "يبدو أنك كنت محظوظة جداً، إذا أمكن قول ذلك. يصعب التوقع كثيراً بهذا النوع من إصابة الدماغ. العقل هو شيء غريب ورائع. وأظن أحياناً أن ما نفعله هو فن أكثر مما هو علم. هل تنوين العودة إلى العمل؟".

"ليس في الوقت الحاضر. أنا أعمل على كتاب، وأظن أنني سأبدأ بقراءة السيناريوهات في الربيع".

"لا تستعجلي. قد تبقين متعبة لبعض الوقت. لا تضغطي على نفسك. سيقول لك جسمك ما أنت جاهزة لفعله، وقد تنتكسين إذا أرهقت نفسك كثيراً. قد تعانين من هفوات ذاكرة مجدداً إذا أفرطت في العمل". تأثرت كارول بإمكانية حصول ذلك، ووجهت إليها ستيفي نظرة تحذير. "هل من شيء آخر أنت قلقة بشأنه؟"، سألت وانتظرت جواب كارول.

"ليس تماماً. أخاف أحياناً حين أفكر كم كنت قريبة من الموت. ما زلت أعاني الكوابيس بشأن ذلك".

"هذا منطقي". أخبرتها كارول حينها عن اعتداء المستشفى، على يد الانتحاري الذي جاء لقتلها. "يبدو أنك عانيت كثيراً، كارول. أظن أنه يجدر بك الاستراحة لفترة. امنحي نفسك فرصة التعافي من الصدمة العاطفية وكذلك من الأذى الجسدي. لقد عانيت كثيراً. هل أنت متزوجة؟".

"لا. أنا أرملة. سيأتي ولداي وزوجي السابق لقضاء عطلة الميلاد". بدت سعيدة فيما قالت ذلك، وابتسمت الطبيبة.

"هل من شخص آخر؟".

ابتسمت كارول. "أعدت إشعال حب قديم في باريس. سيأتي مباشرة بعد عطلة الأعياد".

"جيد. استمتعي. فأنت تستحقين ذلك".

جلستا وتحدثتا لبعض الوقت، واقترحت عليها بعض التمارين لتحسين ذاكرة كارول، مما بدا مثيراً وممتعاً. كانت الطبيبة ذكية ومليئة بالحياة والحيوية. علّقت كارول وستيفي على الأمر حين غادرتا العيادة.

"إنها ظريفة"، علّقت ستيفي.

"وذكية"، أضافت كارول. "أحبها". شعرت وكأنها تستطيع سؤالها أو إخبارها أي شيء إذا حصل أمر غير اعتيادي. سألتها حتى عن ممارسة الجنس مع ماتيو، وقالت الدكتور أورورك إنه لا بأس في ذلك، وحذرتها بضرورة استعمال الواقي الذكري، ما جعل كارول تتورد خجلاً. لقد مضى وقت طويل على قلقها بشأن ذلك. قالت الدكتور أورورك مع ابتسامتها الشيطانية إنها ليست مضطرة لالتقاط عدوى جنسية فوق كل ما عانت منه. وافقت كارول وضحكت، وشعرت كأنها فتاة صغيرة مجدداً.

ارتاحت حين غادرت العيادة لأنها تعرفت إلى طبيبة تستطيع التحدث إليها، في حال شعرت بتأثيرات مختلفة للحادث بعد أن عادت الآن إلى وطنها. إنها في حال جيدة وبخير حتى الآن. وهي تتطلع بشوق إلى قضاء عطلة الأعياد مع عائلتها وحضور زفاف ستيفي، خصوصاً وأن الأمرين يبدوان ممتعين.

أصرّت كارول على التوقف في متاجر بارني لشراء فستان لستيفي في طريق عودتهما من عيادة الطبيبة. جرّبت ستيفي ثلاثة فساتين ووقعت في غرام الفستان الأول. اشترته لها كارول بمثابة هدية الزفاف، وعثرتا على حذاء مانولو من الساتان الأبيض في الطابق الأرضي. كان الفستان طويلاً ويبرز قامة ستيفي الطويلة. ستتزوج بالأبيض. عثرتا على فستان أخضر داكن لكارول. إنه فستان قصير من دون أكمام، بلون الزمرد. قالت إنها تشعر كأنها أم العروس.

لن تصل كلويه قبل الساعة السابعة مساء، وكان لديهما فترة بعد الظهر لترتيب المنزل وتحضير الأشياء. ستذهب ستيفي لإحضارها، وفي الدقيقة الأخيرة، قررت كارول أن تذهب معها. غادرتا المنزل في الساعة السادسة بعد الظهر. أوصل لها محل الأزهار شجرة ميلاد مزينة في الساعة الخامسة بعد الظهر، وبدا المنزل فجأة في جو الميلاد.

تحدثتا عن الزفاف مجدداً في الطريق إلى المطار. كانت ستيفي متحمسة جداً، وكذلك كانت كارول.

"لا أستطيع التصديق أنني أفعل هذا"، قالت للمرة المئة هذا اليوم، وابتسمت لها كارول. عرفت كلاهما أنه الشيء الصحيح، وقالت كارول ذلك مجدداً. "تظنين أنني مجنونة، أليس كذلك؟ ماذا لو كرهته بعد خمس سنوات؟". كانت ستيفي بحراً من العواطف.

"لن تفعلي، وإذا فعلت، سنتحدث عن الأمر حينها. ولا، لا أظن أنك مجنونة. إنه رجل جيد، وهو يحبك، وأنت تحبينه. هل يقبل فكرة عدم إنجاب الأولاد؟"، سألت كارول وهي تبدو قلقة.

"يقول إنه يقبل. يقول إنني أكفيه".

"هذا جيد"، قالت كارول.

حين خرجتا من السيارة، رنّ هاتف كارول. إنه ماتيو. "ماذا تفعلين؟"، سألها بصوت سعيد.

"أنا أصطحب كلويه من المطار. رأيت الطبيب اليوم، وقال إنني بخير. وعثرنا على فستان زفاف لستيفي في طريق العودة". من الممتع مشاركة نشاطاتها معه. بعد الكابوس في باريس، بدت كل دقيقة بمثابة هدية.

"جعلتني الآن أقلق عليك. تفعلين الكثير من الأمور. هل قال الطبيب إنه يمكنك فعل ذلك، أم يفترض بك الاستراحة؟".

إنها الساعة الرابعة فجراً تقريباً في باريس. لقد استيقظ وقرر الاتصال بها. بدت بعيدة جداً. أحب سماع صوتها. بدت هي متحمسة وشابة.

"قال إنني لست بحاجة إلى زيارته قبل شهر". وفيما قالت ذلك، تذكرت فجأة حين كانت حاملاً بطفله، لكنها أبعدت الفكرة عن رأسها. جعلها ذلك حزينة جداً. أراد دوماً تقارير الطبيب منها آنذاك أيضاً، وقبّل بطنها فيما كان يكبر. أتى معها إلى أحد مواعيدها للاستماع إلى خفقان قلب الطفل. عاشا الكثير من التجارب معاً، خصوصاً بعد فقدان الطفل وبعدما ماتت ابنته. تملك هي وماتيو تاريخاً يجمعهما ببعضهما، حتى الآن.

"اشتقت إليك"، قال لها مجدداً مثلما فعل في اليوم السابق. لقد خرجت من حياته لمدة خمس عشرة سنةً، وبعد أن عادت الآن، بات كل يوم يبدو طويلاً جداً من دونها. تمنى لو أنها تستطيع الانضمام إليهم، في الرحلة، حتى لو كانت لا تستطيع التزلج. لم تلتقِ أبداً بأبنائه في الأيام السابقة وأرادها أن تفعل ذلك الآن. عرفت أن الأمر سيكون صعباً وحلواً لها حين تفعل ذلك. في غضون ذلك، إنها تتطلع لقضاء الوقت لوحدها.

انتظرت هي وستيفي خروج كلويه من قسم الجمارك. عرفت أن ستيفي آتية إلى المطار، لكنها ذهلت حين رأت أمها.

"جئت؟"، قال لها، مذهولة، ووضعت ذراعيها حولها. "هل كان يجدر بك فعل ذلك؟ هل أنت بخير؟". بدت قلقة وإنما متحمسة، ما ضاعف سعادة كارول بعودتها إلى منزلها. تبين أن الجهد يستحق العناء عند النظر إلى

وجه كلويه الذي كشف عن سرور مذهول وتقدير في الوقت نفسه. إنها تجد متعة في حب أمها، وهذا هو ما أرادته كارول.

"أنا بخير. رأيت الطبيب اليوم. أستطيع فعل ما يحلو لي، ضمن المعقول. بدا هذا منطقياً لي. لم يعد بوسعي الانتظار لرؤيتك"، قالت فيما وضعت ذراعها حول خصر ابنتها، وذهبت ستيفي لإحضار السيارة. لم تعاود كارول القيادة بعد، ولا تنوي فعل ذلك قبل فترة. لا يريدها الأطباء أن تفعل ذلك، ولا تشعر أنها قادرة على تحمل زحمة السير في لوس أنجلوس.

ثرثرت النساء الثلاث في طريق العودة من المطار، وأخبرتها كارول عن خطط زواج ستيفي. تحمست كلويه لها أيضاً. لقد عرفت ستيفي طوال حياتها تقريباً، وتحبها مثل أخت كبيرة.

تركتهما ستيفي بعدما وصلن إلى المنزل، وجلست كلويه وأمها في المطبخ. نامت في أثناء الرحلة بحيث باتت الآن مستيقظة تماماً. حضّرت لها كارول البيض المخفوق، وتناولتا البوظة بعد ذلك. كاد الوقت يقارب منتصف الليل حين خلدتا أخيراً إلى النوم. وفي اليوم التالي، ذهبتا للتسوق لذكرى الميلاد. لم تحضر كارول أي شيء بعد لأي كان. أمامها يومين لفعل ذلك. ستكون ذكرى الميلاد بخيلةً هذه السنة. وإنما مناسبة جيدة.

بحلول اليوم التالي، اشترت كل شيء كانت بحاجة إليه من متاجر بارني ونيمان، لكل من جايسون وستيفي وولديها. كانتا تدخلان عبر الباب، حين اتصل بها مايك أبلسون.

"لقد عدت! لماذا لم تتصلي بي؟". بدا منزعجاً.

"وصلت أول من أمس"، اعتذرت منه. "ووصلت كلويه الليلة الماضية".

"اتصلت بالريتز وقالوا لي إنك غادرت. كيف حالك؟". بدا وكأنه لا يزال قلقاً عليها. كانت على شفير الموت قبل شهر.

"رائعة. متعبة قليلاً، لكن هذا طبيعي بسبب الرحلة الطويلة. كيف حالك مايك؟".

"مشغول. أكره هذه الفترة من السنة". تحدث إليها في أمور عامة لدقائق قليلة، ثم ذكر سبب اتصاله بها. "ماذا تفعلين في سبتمبر المقبل؟".

"سأذهب إلى الجامعة. لماذا؟"، مازحته.

"حقاً؟". بدا متفاجئاً.

"لا. كيف لي أن أعرف ماذا سأفعل في سبتمبر؟ أنا سعيدة لكوني هنا الآن. أوشكت على ألا أكون هكذا". عرف كلاهما كم هذا صحيح.

"لا تقولي لي، أعرف"، قال لها. لا تزال متأثرة برحلته إلى باريس لرؤيتها. لم يكن أي شخص آخر غيره ليفعل ذلك، أي السفر لليلة واحدة من لوس أنجلوس. "حسناً، صغيرتي، لديّ دور لك. دور رائع. إذا لم تشاركي في هذا الفيلم، أتوقف عن العمل". أخبرها من سينتج الفيلم، ومن هم النجوم المشاركين. لديها دور بطولي مع ممثلين أساسيين وممثلة شابة محترمة، وستحصل على مبلغ محترم. إنه فيلم مذهل، مع ميزانية كبيرة، ومخرج عملت معه سابقاً وأحبته. لم تستطع تصديق ما سمعته.

"هل أنت جاد؟".

"أنا كذلك. المخرج سيبدأ فيلماً آخر في أوروبا في شهر فبراير. سيعود إلى هنا في شهر يوليو. ولا يستطيع بدء هذا الفيلم قبل سبتمبر. عليه إنهاء العمل على الفيلم الآخر في شهر أغسطس. هكذا، تملكين الوقت لإنهاء كتابك، إذا كنت لا تزالين تفعلين هذا.

"أنا أفعل. بدأت العمل عليه". كانت متحمسة لما قاله.

"سيتم تصوير بعض المشاهد في أوروبا. في لندن وباريس. أما البقية فسيتم تصويرها في لوس أنجلوس. كيف يبدو لك هذا؟".

"على الطلب". لم تخبره بعد عن ماتيو. لكن ما قاله للتو يتطابق تماماً مع مشاريعها الحالية، لقضاء الوقت مع ماتيو في باريس وفي لوس أنجلوس. أما لندن فهي الأروع ويمكنها قضاء الوقت هناك مع كلويه.

"سأرسل لك السيناريو. يريدون الجواب في الأسبوع المقبل. ثمة ممثلتان أخريان تنتظران في حال رفضت. سأرسل لك السيناريو غداً. قرأته الليلة الماضية وهو رائع". إنها تثق به. لطالما قال لها الحقيقة، ويملكان ذوقاً مماثلاً في السيناريوهات. يحبان عادة السيناريوهات نفسها.

"سأقرأه على الفور"، وعدته كارول.

"كيف تشعرين فعلاً؟ هل تظنين أنك ستكونين قادرة على فعل ذلك حينها؟". بدا قلقاً.

"أنا قادرة. أشعر بالتحسن يوماً بعد يوم. وقد منحني الطبيب الضوء الأخضر".

"لا ترهقي نفسك"، ذكّرها مثلما فعل ماتيو. إنهما يعرفانها جيداً. لطالما أرهقت نفسها، بطريقتها الخاصة. إنها تقسو على نفسها، وفعلت ذلك منذ بداية مهنتها، على الرغم من أنها أبطأت الوتيرة في السنوات الأخيرة. لكنها تستطيع الإحساس بمحركاتها الداخلية قيد العمل مجدداً. لقد أخذت إجازة طويلة كفاية. "ستندمين لاحقاً"، حذرها.

"أعرف. لست بهذا الغباء". إنها مدركة تماماً لما مرّت به وكم كان الأمر صعباً. لا تزال بحاجة إلى فترة نقاهة. لكنها لا تملك مشاريع مهمة في الوقت الحاضر. تستطيع هي وماتيو تسهيل الأمور بينهما أيضاً. وستؤلف الكتاب وفق وتيرتها الخاصة. أمامها ثمانية أشهر قبل أن تعود إلى العمل.

"حسناً، صغيرتي. ستعودين إلى العمل في هذا الفيلم". كان متحمساً لها.

"يبدو لي هذا. لا أستطيع الانتظار لقراءة السيناريو".

"سيعجبك كثيراً"، وعدها. "سآكل حذائي إذا لم يعجبك". إنه أمر صارم. فهو رجل كبير وينتعل المقاس أربعة عشر.

"سأتصل بك في اليوم الذي يلي ذكرى الميلاد". أي بعد غدٍ، وسيصل جايسون وأنطوني من نيويورك.

"ميلاد مجيد، كارول"، قال مايك وهو يبدو مختنقاً. لم يكن في وسعه التحمل لو أنها لم تبقَ على قيد الحياة، ولو أنهم يندبونها الآن. الأمر يتخطى حدود التفكير وكان الأمر بمثابة مأساة بالنسبة إليه، وإلى العديد من الأشخاص الآخرين.

"ميلاد مجيد لك أنت أيضاً مايك"، قالت له ثم أقفلت السماعة.

أخبرت كلويه عن السيناريو في أثناء تناول العشاء، ولاحظت الوجوم يسيطر على وجهها. إنها المرة الأولى التي تدرك فيها كم تكره ابنتها مهنتها.

"سنصور بعض المشاهد في لندن، إذا قبلت بالسيناريو. سيكون هذا رائعاً. أستطيع قضاء الوقت معك. ويمكنك القدوم إلى باريس حين نكون هناك". أشرق وجه كلويه عند سماع هذه الكلمات، وعرفت كم تحاول أمها بكدّ، وعنى لها ذلك الكثير. مهما كانت أخطاؤها في الماضي، إنها تكفّر الآن عنها.

"شكراً، أمي. سيكون ذلك ممتعاً".

تناولتا العشاء لوحدهما تلك الليلة. طلبتا طعاماً صينياً جاهزاً، وذهبت الممرضة لإحضاره. لم تشأ كارول تبديد دقيقة واحدة مع ابنتها. نامت كلويه على سريرها تلك الليلة، وضحكتا مثل فتاتين صغيرتين. وفي اليوم التالي، ذهبت كلويه وأمها لاصطحاب جايسون وأنطوني من المطار. ستيفي في إجازة. إنها ليلة الميلاد، وهي تستحق الإجازة. لن تعود إلى العمل قبل اليوم التالي لذكرى الميلاد.

وصل السيناريو الذي أخبرها مايك عنه بعد الظهر. ألقت نظرة سريعة عليه، وبدا رائعاً مبدئياً، تماماً مثلما وعدها. ستحاول قراءته ليلة الميلاد، بعد أن يخلد الجميع إلى النوم. لكنها واثقة تماماً من أنها ستحبه. مايك محق. والدور الذي سيعطى لها رائع. أخبرت ماتيو عن ذلك عبر الهاتف. بدا متحمساً لها. عرف أنها تريد العودة إلى العمل. وبدا هذا الدور المثالي لها.

كان أنطوني وجايسون بين أول النازلين من الطائرة. قادت كلويه السيارة في طريق العودة إلى المنزل، وتحدثوا في الوقت نفسه في طريق العودة. كانوا يضحكون ويقهقهون، مع قصص محرجة من عُطَل الميلاد السابقة. تحدثوا عن السنة التي ارتطم فيها أنطوني عن غير قصد بشجرة الميلاد حين كان في الخامسة، وهو يحاول التقاط بابا نويل في أثناء نزوله من المدخنة في نيويورك. كانت هناك عشرات القصص المماثلة التي أثرت في قلب كارول وأسعدت الآخرين. باتت تتذكر كل القصص الآن.

طلبوا البيتزا حين عادوا إلى المنزل، وبعدما ذهب الولدان إلى غرفهما، ذهب جايسون إلى المطبخ بحثاً عن شيء يشربه ووجد كارول هناك.

"كيف تشعرين، صراحة؟"، سألها بجدية. بدت أفضل مما كانت حين رآها في المرة الأخيرة، وإنما لا تزال شاحبة. لقد فعلت الكثير من الأمور منذ أن عادت إلى المنزل. الكثير الكثير ربما، برأيه خصوصاً وأنه يعرفها.

"جيدة، فعلاً"، قالت وهي تبدو متفاجئة.

"لقد أخفتنا كثيراً"، قال وهو يشير إلى التفجير وما حصل بعده. كان رائعاً معها في هذه الفترة، ولا تزال متأثرة بكل ما قاله.

"خفت كثيراً أنا أيضاً. كان حظاً سيئاً، لكن الأمور جرت على ما يرام في النهاية".

"نعم، صحيح"، قال وهو يبتسم لها. تحدثا لبعض الوقت، ثم ذهب إلى السرير وتوقفت كارول في مكتبها لدقائق قليلة قبل أن تذهب إلى غرفتها. تحب هذا الوقت من الليل، حين يكون كل شيء هادئاً. لطالما فعلت ذلك، خصوصاً حين كان الولدان صغيرين. إنه وقت خاص لها. وهي تحتاج إلى ذلك.

ألقت نظرة سريعة على ساعتها ولاحظت أن الساعة تجاوزت منتصف الليل بقليل. إنها التاسعة صباحاً في باريس. يمكنها الاتصال

بماتيو، وأرادت فعل ذلك في مرحلة ما، لتتمنى له ميلاداً مجيداً. لكنها لم تفعل الآن. ثمة وقت أمامهما، الكثير منه، وسيكون معها في لوس أنجلوس قريباً. إنها سعيدة بعودته إلى حياتها. إنه هدية غير متوقعة. جلست إلى مكتبها، وألقت نظرة سريعة على كمبيوترها، وقرأت آخر ما أنجزته في كتابها. أصبحت الأفكار منظمة في رأسها الآن، وتعرف ما تريد كتابته.

نظرت إلى الحديقة، مع نافورة المياه المضاءة والبركة. ولداها في المنزل، في غرفهما. جايسون هنا مثل صديق محب وأخ. انتقالهما من الماضي إلى الحاضر كان ناعماً. لديها فيلم لتصويره. ستتزوج ستيفي خلال أسبوع. نجت من تفجير إرهابي مريع، واستعادت ذاكرتها. أغمضت كلويه عينيها وحمدت الله بصمت على النعم التي لديها، ثم فتحت عينيها مجدداً وابتسمت. لديها كل شيء تريده وأكثر. والأفضل من ذلك، أنها تملك نفسها. لم تساوم على نفسها في مسار حياتها. لم تتخلَ عن مثلها أو قيمها، أو الأشياء التي تهمها. كانت صادقة مع نفسها ومع الذين تحبهم. ألقت نظرة على السوار الذي أعطاها إياه ماتيو، وقرأت العبارة المحفورة مجدداً "كرمى ذاتك". لقد فعلت ذلك برأيها. لم تخبر عائلتها بعد عن ماتيو. لكن حين يصبح الوقت مناسباً، ستفعل. عرفت أن أنطوني قد يعارض في البداية، لكنه سيهدأ مع الوقت. لديه الحق في آرائه ومخاوفه عليها. ولديها الحق في حياتها، واتخاذ الخيارات التي تبدو الأمثل لها.

"ماذا تفعلين؟"، سأل صوت خلفها. إنها كلويه، واقفة في ثوب نومها في باب الغرفة. تريد النوم في سرير أمها مجدداً، ولم تمانع كارول ذلك. ذكّرها ذلك حين كانت كلويه طفلة صغيرة. كانت تحب النوم مع أمها آنذاك.

"أفكر فقط"، قالت كارول وهي تستدير للابتسام لها.

"في ماذا؟".

"في الأشياء الكثيرة التي يجدر بي شكر الله عليها هذه السنة".

"أنا أيضاً"، قالت كلويه بهدوء، ثم جاءت لتعانق أمها. "أنا مسرورة لأنك هنا". ثم مشت في الغرفة على ساقيها الطويلتين والرشيقتين. "هيا أمي، دعينا نخلد إلى النوم".

"حسناً، سيدتي"، قالت كارول فيما أطفأت الأنوار في مكتبها ولحقت بابنتها في الممشى المؤدي إلى غرفتها. "شكراً لك"، همست كارول وهي تنظر إلى السماء مع ابتسامة امتنان. إنه بالفعل ميلاد مجيد هذه السنة، لهم جميعاً.

ممثلة عالمية مشهورة تقع ضحية تفجير إرهابي في باريس وتبدأ رحلة شجاعة في الصمود واسترجاع الذاكرة واكتشاف الذات في قصة جديدة ورائعة للكاتبة دانيال ستيل.

جاءت كارول باربر إلى باريس للعمل على قصتها الجديدة واكتشاف ذاتها. كارول هي أسطورة في السينما والمسرح، تملك الكثير من المزايا الفاضلة وقد كرّست نفسها لعائلتها والقضايا الإنسانية حول العالم. لكن لحظة رعب واحدة كانت كفيلة بالقضاء على مئات الأرواح وترك كارول وحيدة، من دون وعي ومن دون هوية.



في الأيام التي تلت الحادثة، ومع ظهور الحقيقة، تَدافَع مصورو الباباراتزي. ثمة رجل غريب وغامض زار المستشفى بهدوء لرؤية المرأة التي أحبها ذات مرة ولم ينسها أبداً. هرع ولدا كارول الراشدان إليها للمكوث قربها، وهما ينتظران ويصليان- إلى أن تبدأ الأعجوبة بالحصول. لكن فيما بدأت المرأة التي يعرفها العالم أجمع تستعيد وعيها، لم تكن هي تعرف أي شيء عن نفسها. لا بد من إعادة جمع كل التفاصيل معاً- بدءاً من الطفولة في أرياف الميسيسيبي إلى الأيام الأولى في مهنتها، من الأذى غير المقصود الذي ألحقته بابنتها إلى علاقة الحب السرية التي مضى عليها خمسة عشر عاماً وانتهت نهاية مأساوية. لقد أعطيت كارول فرصة ثانية للاستفادة من النعم التي منحت لها لشفاء قلبها المجروح، واستعادة حبها الضائع... وعيش حياة تكرّم فعلاً الآخرين- انطلاقاً منها هي.

إنها قصة صمود وكرامة، قصة أعاجيب صغيرة ومفاجآت كبيرة. «كافئي نفسك» تعطينا صورة لا تنسى عن شخصية عامة لها آمالها ومخاوفها وحسراتها تماماً مثلنا نحن. وقصتها الشجاعة تلهمنا نحن جميعاً.



ISBN 978-9953-87-637-5





الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com
ص. ب. 5574-13 شوران 2050-1102 بيروت – لبنان
هاتف: 785107/8 (1-961+) فاكس: 786230 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb